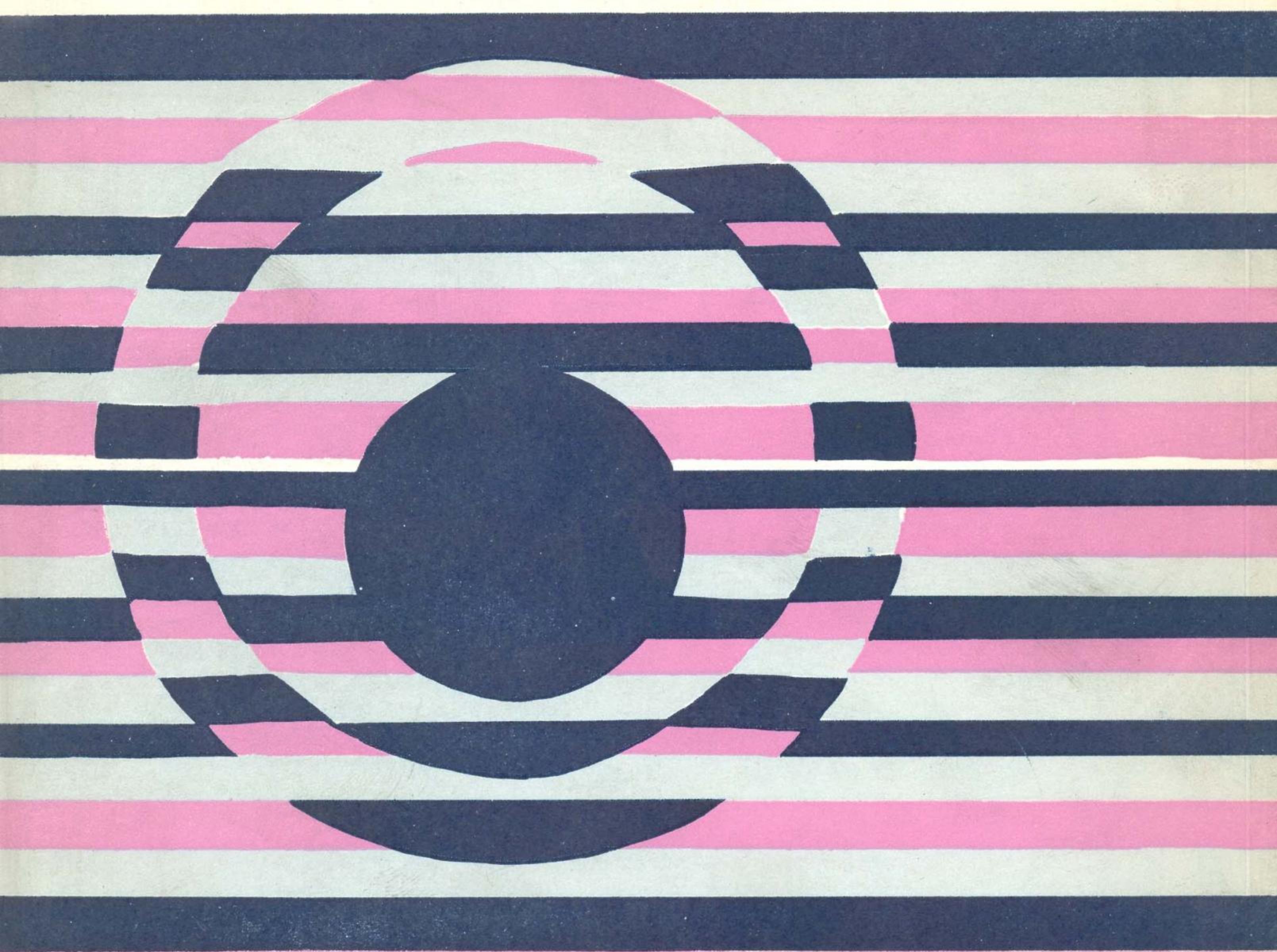


الاداب الاجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق



الادب الجنبي

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق

السنة الثانية - العدد الرابع - نيسان ١٩٧٦

المدير المسؤول : حافظ ابجحالي
رئيس التحرير : د. احمد سليمان الأحمد

هيئة التحرير :

د. ابراهيم كيلاني
د. حسام الخطيب
د. نايف بتور

الادارة، اتحاد الكتاب العرب - دمشق - شارع مرشد الخاطر
هاتف .. ٤٤٦٧ - المراسلات باسم رئاسة التحرير من ب .. ٣٩٣ دمشق



تنويه

- جميع المراسلات تكون باسم رئيس التحرير .
- تتوجه رئاسة التحرير الى الأدباء والمتجمين في الوطن العربي لتزويدها بمواد مترجمة من الأدب العالمي في مجالات القصة والشعر والمسرحية والنقد والبحث الأدبي ، وتقديم او تلخيص الكتب ذات الشهرة والفائدة الفنية والفكرية .
- ويرجى من الأساتذة الذين يرسلون المواد المترجمة أن يرفقوها بالأصل ، من آية لغة كانت ، أو الاشارة الى مرجعها اذا كان مشهوراً . وتعتذر الادارة عن اعادة هذه المواد سواء نشرت او لم تنشر .

كلمة المجلة



مع هذا العدد من «الآداب الأجنبية» نودع عاماً ثانياً ، ونستشرف عاماً ثالثاً جديداً . وهكذا تمر الأيام ، وهكذا يظل الشيء الأساسي أن تكون مرئات علينا بالجمال والعمليات .

ولا بأس من استطلاع لغة الأرقام ، من العودة إلى الاحصاء ، واستقراره . أليس أنَّ العلم قد أصبح يتدخل في كل شيء ، أو أنَّ كل شيء أصبح ينتمي إلى العلم ، أو أنَّ العلم أخيراً أصبح القاسم المشترك في كل إبداع إنساني . أنا مع كل هذا جملةً وتفصيلاً .

لقد حملت أعداد المجلة الثمانية آداب من سنذكر من الأمم ، موزعة - تقاد تكون موزعة - على هذا الشكل ، وبحسب المواد : فرنسا - ١٢ مادة أدبية ، إنكلترا - ١٠ ، الولايات المتحدة ٩ ، الاتحاد السوفيتي ٩ ، المانيا - ٧ ، بلغاريا - ٧ ، اليابان - ٢ ، السويد - ٢ ، تشيلي - ٢ ومادة أدبية واحدة لكل من : نيوزيلندا ، وجنوب أفريقيا ، ورومانيا ، وتركيا ، وغويانا وبولونيا وكندا والبرازيل وهنغاريا وبليزيكا وايرلندا وفيتنام . وكان عدد القصص التي قدمناها - ٢٩ ، والدراسات - ٢٧ ، والأعمال الشعرية - ٢٠ ، والمسرحيات - ٣ . وترواحت هذه المواد طولاً وقصراً ، وكان بعضها أعملاً متكاملة حقاً بلغت مئة صفحة أو

زادت وأعطت فكرة تكاد تكون ، بدورها ، متكاملة عن أدب من الأدب ، أو اتجاه من الاتجاهات في هذه الأدب .

وقدّمت المجلة أدباء وشعراء ، ربما لأول مرة في اللغة العربية ، بشكل يرضي عنه التقديم .

إننا ، في خط المجلة الواضح ، الهدف ، نحاول أن نقترب ، أكثر فأكثر من الواقع العصر الأدبي ، ونحاول أن نمد حقلنا المغناطيسي لنجذب الوانة جديدة من العطاءات العالمية ، لنعرف أدباً جديداً لم يسبق أن قدمناها ، لأننا ، من خلال إحصائياتنا ومن خلال غيرها بالطبع ، نتبين أنَّ عالم الأدب ، ما زال رحباً أمامنا ، على مدى ما يرمي البصرُ والبصرة . وسيظل ، حتماً ، كذلك ، ولا نطمئن أبداً في عكس ذلك . وإنما ، هو بالذات ، علَّةٌ رسالتنا وطموحنا في هذا المجال .

ولقد مرَّ بنا أعمى المعرَّة الذي يهدي المبصرين ، فترك لنا في عيدنا هاتين الشمعتين - النجمتين :

رَدَّيْ كلامَكِ مَا أَمْلَأْتِ مسْتِمِعًا
وَهَلْ يُمَلِّ مِنَ الْأَنفَاسِ تَرْدِيدُ



فلا نزلت علىَّ ولا بارضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

رئيس التحرير

مختارات

من الشعراليو غسلا في المعاصر

ترجمة : د. أحمد سليمان الأحمد

ديسانكا ماكسيموفيتش (١٨٩٨)

DESANKA MAKSIMOVITCH

تميز ديسانكا « بين شعراً، جيلها ، بلغتها وحساسيتها الأنثوية » . تلامس النفس غنائتها العذبة ، العاطفية ، وبساطتها وعفويتها الشاعرية .

في العاصفة

طوال السهرة ، على التلة المقفرة
ينتصب خيال ،
دعيني أنظر ، يا أم ،
أهو رجل أم صنوبرة .
دعيني أتأمل

من يرنو طوال السهرة
إلى يتنا المتواضع الأبيض .

دعيني ، يا أم ، فالسير
لا يتعبني قط :
التلة قرية ، قرية من منزلنا .
أوه ، أشعر أنه قريب مني ، قريب ،
هذا الرجل أو هذه الصنوبرة
الذي يتحدى ، طوال السهرة ، الصاعقة
وينصب ، ويرنو إلى يتنا .

أنظري هذه الغيمة الداكنة ،
سفينة ضخمة مشؤومة
تبحر في اتجاهه
حاملة الموت .
أوه يا أم ، ناديه ،
وليحتم بسقنا ،
هذا الرجل او هذه الصنوبرة
الذى ينتصب طوال السهرة ويرنو
إلى يتنا المتواضع الأبيض .

وحيد هو على التلة المقرفة

مثل طفل يطوي الدراعين
على ألمه الأول ،
فدعني أنا ملي اللدنة
 تكون هدف الرياح الشريرة .

دعيني ، يا أمي الطيبة ،
 فكم هي مخاللة
 وشريرة هذه الفيمة
 التي تدوّم فوقه .

تين أويفيتتش (١٨٩١ - ١٩٥٥)

TINE OUYEVITCH

يمثل شعر تين اويفيتتش مرحلة من أهم المراحل في
الشعر اليوغسلافي . ولقد بقىت أجيال من الشعراء ضمن
العقل المفناطيسي لصورة الرائعة ولسرعه الموسيقي .
تذكرنا حياته البوهيمية ، وعذوبة اشعاره المنتقاة بالشاعر
الفرنسي بول فيرين . متأثر بـ « البرناس » وـ « شعراً ،
« الرمزية » كما انتا تلمح ، ولو من بعيد ، « ثمار الفلسفة
الهنديه ، في شعره .

نشيد الى جسدي

أنا لا أغني مدائحي ،

لا أبكي على قبحي .
دون خجل أو زهو على رملة رائقة
أتأمل شكلي العاري ، ويهبط الصفاء على فكري .

كنت هشاً في طفولتي ، ولكنني أمسكت دموعي
وتخليت عن الألم ،
أخذت الفضول أجمل أفراحني
وتركت لغيرها الآلام والدموع .

مجيدة حياة هذه الدودة ،
فقد عرفت كيف تتصدى لضعفها الشديد .
كان اليأس والزهو نقصتها الأولى ،
وكان طعم الشمار اللذيدة فضيلتها الأخيرة .

أيها الجسد ! فيك اكتشفت الثالوث الأصلي :
مجموع مقاييسك الثلاثة ،
الروح والفكر ، كنمي وذاتي ،
وفي أعماقك القلق واصططخابه .

الذي يربط بين هذه المقاييس الثلاثة يسمى « الزمن » ،
المقياس الرابع حيث الحياة تدور ،
حقيقة الابداع الفضحة : البذرة الانسانية

التي يتکاثر فيها اللحم والوجود ٠

يا جسدي ! يا جزئية كوتية ،
ما أنت الا صقالة عظميّة عجيبة ،
ليس مدحًا ما أزجيه وانما فيك ألقى الكواكب والسماء ،
الغبار والشمس ، كل الحياة ، الغنية البسيطة ٠

كل هذا العمل في اليد ، كل هذه الفراسخ في الساق ،
هذه الآمال في العيون ، وبركان الاشتلاء بين الصلب والترائب ،
هذه الوجبات الشهية في الأنف ، هذه القامة التي تحسدها الآلة ،
هذه الملحة المنطوية على الظماء والنزوّات ٠٠ كل الظماء والنزوّات ٠

وهذا النهم في الدماغ النشيط
حيث الدمى الفاتنة توشوش كما في حلم
حيث انامل المثال تعجن الشمع ،
مدينة المعرفة هذه ، عاصمة ودaskaة ٠

ثم هذه الأعصاب التي يتلاعب بها الكون ،
هذه الرئات التي تتنفس فيها الألوهة ،
الذى كان ، الذى سيكون يتكوّر في صدرى ،
ما أنا الا غبار وحياة ، وكل الضباء ٠

هكذا أنا ، الله الأسحار والخليل ، خاطيء كبير ،

انسان يحوّل الأحلام الى ملذّات حقيقة ،
بي نهم الى جميع النظرات ، الى جميع المداعبات ،
رغبتي اللامتناهية أن أحيا في عالم العشق ،

أن أكون مساوياً لكل شيء كي أندمج
عندما تحين الساعة ، في هذا الكل الذي يأوي اليه ،
كي تصبح جثتي الجامدة ، الخرساء
عدما ، وشيئاً مجيداً مع ذلك .

أنا لا أمجد الجمال ولا العواطف المتقدة
لا ولا مياه الينابيع الفائرة
ولكنني ، وأنا الشيخ ذو الشعر الأبيض ، أمجد الآلام
التي يحتل خريفها فكري الناضج .

كانت مهمتك ان تنتصر على الآلام ،
على جميع الخيانات في كل عام جديد ،
أنت يا ضحية العالم ، ايها المصلوب الوحيد ،
ثم أن تنتصب بعد ذلك في الافق .

لقد حول الآلة الصلصال الى فولاذ ،
هذا الجسد هو انعكاس الشكل الالهي ،
زائلا ورائعاً ، ولكن جميلاً في خطره ،

منارة ذكاء ، معبد اراده ، قلعة فكر •

أغنى صبرك ، قوتك ، احتمامك ،
احتمالك الألم كما يحتمله عملاق ،
يا جسدي الجبار حتى على عتبة القبر ،
أي شيء أنت ما لم تكن وجداناً وروحاً حية ؟

أي شيء أنت ما لم تكن معرفة يقظى ،
منبقة أخيراً من كل الدياجير ،
من كل الحضور المفقود ، إلا وحدته
على الطريق التي تجتازها الذرة في الفضاء ؟

يا جسدي ! كم من الأفراح خبت فيك ،
كم من الحماسة ، ومن الموهاب المهدورة ،
انت لم تخلق للندم أو للتبخل ،
انت مضطرب بالحياة ، سليم ، معافي ، قوي ،

عات على العتاة ، شهيد مصلوب ،
نكرة وحقيقة ، مجد فتي في الموت ،
صيف في البرد ، مقاتل شرس ،
وأنا أغنى نشاطك الخالد •

ما هو ثمن القطرة الكريمة من الدم الأحمر
التي يسكبها الإنسان دون حساب ،
ما ثمن رعشة اللحم والفكر ،
ان لم يكن الحياة والخلود بأسره ؟

جسدي ، دعابة القدر ، نزوة الكون ،
تعبير عن الخواء وعن المجانية
ما يبقى منك بعد المحرقة
يدل على تلك المعركة الكبيرة .

ليس لديك من امنيات الا أن تكون ينبوع الخمر ،
عنقود النشوة في جنس الأرواح ،
قدحا على الصخرة التي يأتي اليها الموت
ليشرب بين الآلهة الجفاة ،
 أصحاب القطايف الشرعين .

دوشان ماتيتش (١٨٩٨)

DOUCHAN MATITCH

أحد مؤسسي المدرسة السريالية فيما قبل الحرب .
عرف كيف يطبق تجاربها السريالية الثمينة على شعر مثقف
ذي لغة متربة .

البحر

تنام ، يا جمala صيفياً كثيفاً
تنضج في قلب آب
مثل انشى ادركت ان الحب هو كل شيء ،
رماد ولكنه لا ينفد ،
شعلة توججها النفحـة الاولـى ،
تطـئـها النفحـة الثـانـىـة
ولكن الثالثـة تـوجـجـها من جـديـد
وهـكـذا دـوـالـيـكـ ،
أطـفالـ ولـدوا ، وأطـفالـ يولـدونـ ،
أبداً لا تـكـتـرـثـ المـوجـةـ الغـائـضـةـ .

تنام ، يا جمala صيفياً كثيفاً
أنت يا سعة باهرة

يا ثريّا على ثريّا ، يا ثريّا في ثريّا ،
يا هوة على هوة ، يا هوة في هوة ،
صيحات جميع الغرقى متماثلة فيك
وهاكم خامدين في انسجامك الماسي المتغطّر ،

نم ، أنت أيضًا ، أمام هذا اللامحدود
أمام هذه الروعة الأروع من الروعة
نم على وسادة الذكريات الهائجة
الذكريات التي فتحت اللحظات الضائعة ثغرة فيها .

نم ، ثملا بالنيسيان
نم على شاطئ السحر الذي لم تعرف كيف ترنو إليه
على ساحل المعرفة الجديب
على ضفة العمى واللذة المفقودة
وحيث تلتقي العواصف
وحيث ينقسم الشفق
وحيث لا توجد أنت البتة
لا في الصيحات ولا في خضرة الديمومة .

نم
ولكن ماذا ت يريد أذن
مزامير العقل الفضوليّة هذه

و تلك الأيدي الدائمة على العمل الذي تجهله
تبتل الخلود هذا لا أريده ، لا مقابل الاجهاضات
ولا مقابل أسحاق الأطفال الذين سيولدون من نساء معتضبات
عندما يمر على الأرض الفاتحون الطيبون للسراب الباطل
ما هم إلا قمم جرداء
تنام فيها الأمساء ، والأغاني المحطمة
للعشاق الأنانيين ملاء البطون ٠

على أول سرير تنشر خارطة العالم
تسجل جميع الأحداثيات وتفتح جميع البركارات
من هنا حتى إفريقيا
دوماً نفس الدوران ، نفس هبات الرياح ، نفس نداءات الصحراء
نفس الأيدي الحزينة الواقعة في شرك اللحم كما في قلب أول عابر ٠

نعم ، فهذا أفضل
لا تضحك اذا أحببت ما لم تعتقد انك تحبه
شدّ رأسك بين يديك
فهل يمكن تحطيم هذه الدائرة الحديدية ؟

الشتائم والقلب لن ينفجرا قبل
أن تضع شفتيك على الشفتين المرتدين

التي تفصلن العالم الخائف من الفرحة ، والخائف من الألم ٠

يا وردة الرعب الناعم ، يا وردة الغياب المهمسة ،
يا نفس وردة الرعب
يا وردة الدم الوحشية
نهار ، ولا نهار
ليل ، ولا ليل
الكواكب والدم مطفأة ٠

نم ، فهذا أفضل
هرءة تسمطى على الجدار الظليل
والعنب ينضج على الكرمة
وهدوء البحر مستلق على الكون ٠

نم

فراشتان متآخرتان تسرعان نحو الشمس الخادعة
وعند هبوط الليل تتواريان
ومعهما جمالان ٠

نم ، ما دام شيء آخر لم ييق لك
نم ، فالحب ينتظرك ، أنت والغد والأجنحة الممحورة
للفضاء الذي تأتلق فيه ألوان الخلود
حتى ولو كانت الظلمات في جذور بصرك وفي صدرك المعذب

حتى ولو جذبتك غابة دمك العذراء
حقيقةك الفانية .

نـمـ

فالخلود هو هذه الثريا ، هذا اللامحدود
هذا الانسجام المتغطّر فوق زغب الغرقي
وحلّمك عبر كل العدالات والمظالم
والخلود هو هذه الموجة التي تفور بلا كلل
على أعقابك الفانية
هذه الموجة العاصفة الجباره التي تعرف كيف تحطم
وتغدو كلباً صغيراً وديعاً
عند أقدام الأحباب المغفرين بلا شفقة .

ميلان ديديناتز (١٩٠٢)

MILAN DEDINATZ

لغة ميلان ديديناتز نقية ، لا فضول فيها ، ولا تبعث عن آية زينة ما لم تكن هذه الموسيقى الفريدة التي تنبع منها . كتب قصيدهاته التي تترجمها هنا أثناء العرب ، في أحد معسكرات الاعتقال وهي مقططفة من دفتر مذكرات شعرية سجلها الشاعر .

فجأة انبثق الجوع

فجأة انبثق الجوع ذو العينين الواسعتين الرصاصيتين !
— ولكن كيف تمكن من المرور عبر الأسلاك الشائكة والحرس ؟ —

ثم قدَّمْ مادِبْ لأحلام ليالينا الخاوية
وترَكَ لنا الأيام مقرُوضة ، قاسية ٠

اجتازَ المَعْسَرَ ، مهروت الشدق
وها هو يلتهم ، بدلاً عنَّا ، جميع الوجبات ،
ولا يترك وراءه إلا العظام والرعب
كي يهتدي الموتلينا ولا يتبعه ٠

لدى اقترباه ، كانوا قد تركوا الباب مفتوحاً على مصراعيه
وبلمحة عين كبس المكان بأسره ٠
والآن ، بين السماوات العلى والرمل المقفر
لا شيء إلا هيأكلنا الجوفاء ٠

لقد جاب الجوع المَعْسَرَ
ثاقباً كل القصاع
لم يعد ثمة من حسأء ساخن :
لم يعد ثمة إلا الجوع !

سبيلتاي اللتان ربيتهما ، طوال شهور ، في الأرض القاحلة
سبيلتان تحت الأسلام المنتشرة
هذه الليلة أيضاً التهمهما الشره !
من كان سيفعل ذلك غيره ؟ فالسماء دون عصافير !

دخل الجوع المعسكر
ويمخرزه النقاد يعيش تخريباً في أجسادنا .
خطاناً تغدو أبطأ فأبطأ
ولكنها تقودنا الى الموت أسرع فأسرع .

لقد جاب الجوع المعسكر منقباً عن كل شيء :
لم نستطع أن نخفي عنه كسرة خبز واحدة !

ذلك لأن الجوع ذو عينين واسعتين ترصدان وتسهران :
وللجوع اذنان دقيقتان ، تسترقان السمع
وللجوع وجه شاحب وشعر قاتم
وللجوع فم مهروت وجسد من نار .

الطرق التي يختارها متماثلة دوماً :
يمضي مع الحروب ، والمعسكرات ، والصيف الجديب .
ويداء نظيفتان .
وارغتان .

تزيني فيبوتنيك (١٩١٤)

TZENE VIPOTNIK

فنان مرهف ، كتب في مواضع مثيرة ، مقلقة يعيشها
عصرنا ، ولكنه استطاع أن يعبر عن عاطفة الوحدة باقوى
ما يكون من الزخم .

الساقيه الجوفيه

الشمس العذبة تخرج من مأواها الليلي ،
ويتمتد السحر على العالم الحجري ،
وأدخل في الليل الذي تدعوني إليه الأرض .

الساعة المخاللة ربطني بالأرض ،
وموكب الاهانات الأسود قوّض
السحر الأول للأحلام الشاردة .

في الحفرة العميقه يواصل ما قذر
مسيرته المشؤومة الى طبقته الأخيرة ،
وينفترق قلبي ، وأسقط في الظلام .

الشمس الريبيعة تبعد عن فمي
أشعتها التي تشربها براعم الوردة ،
وفي نعشي أستلقى خرساء .

السماء والغرين ، في تغيراتهما ،
وجداني وسط العاصفة الخالدة :

الظلمات تحيط بي أسوارها المغلقة .

وعندما ، على توالي الفصول ، غدا الظل جاهزاً
لاستقبال روحي ، المتجمدة على شكل نوازل ،
دخل النهار سجني معيّداً .

تعادر الشمس مأواها الليلي ،
ويتمدد السحر على العالم الحجري ،
وأدخل في الليل الذي تدعوني إليه الأرض .

يوري كاشتيلان (١٩١٩)

YOU'RE KACHTELANE

قصائد دعوة حارة ، مواقبة ، إلى التأخي بين
الناس ، وإلى عالم إنساني العواطف . تذكرنا قصائده
الموسيقية ، البسيطة ، بالشاعر الإسباني لوركا وبالشاعر
الذاتيين الإيطاليين .

لقاءات

الأموات يحيون فينا . يكبرون . دوماً يكبرون .
رفاقى الفتى الذين ينشدون .

الأموات فينا يحيون ٠
وفي الأكواخ ، في الورشات ، في السحر ،
وفي ضحوة النهار
غالباً ما يجيئون ، واحداً واحداً ٠ ويعبرون ٠
ودون أن تتبادل التحية ، دون أن تتصافح ،
مستغرين في الحياة ،
نشيي الواحد إلى جانب الآخر ٠
الأموات والأحياء ٠ الواحد إلى جانب الآخر ٠

قيسنا بارون (١٩٢٢)

VESNA PAROUN

ساهمت قيسنا بارون بتجديد الشعر العدبيث ٠ تدلُّ
لوحاتها المثيرة ، المفعمة بالقلق والغموض ، والشباب
المسجعون في إطار العرب الرهيبة ، على خيال خلاق وقوية
إبداعية نادرة ٠ غداً العب ، فيما بعد ، تشهد إنشادها ،
وعبرت عنه بكل الفنائية البسيطة ، الهادئة ٠٠٠

أنت يا ذات اليدين

الأنقى من يدي

أنت يا ذات اليدين الأنقى من يدي ٠ ،
أنت يا وديعة كاللامبالاة ،

يا أمهر مني ٠ اذ تقرأين على جبينه
الوحدة التي تقل عليه ،
يا أقدر مني على ابعاد ظل
التزد عن وجهه ،
مثل أنفاس الرياح
التي تبدد الغيوم المحومة على الجبال ٠

اذا كانت ذراعاك تشجعاني ،
اذا كان حضنك يهدى آلامه ،
اذا كان اسمك ينعدو ملحاً
لأفكاره ، وعنقك
ينطوي أغصاناً على مضجعه ،
اذا كان ليلاً صوتك
بستانأ تهابه العواصف ،
فظللي قربه
وكوني أكثر اخلاصاً
من جميع من أحبنه قبلك ،
اتبهي للأصداء
التي تقترب من أسرة العشاق العفيفة ٠

اسهري على اغفأته
تحت الجبل اللامرأي
على شاطئ البحر المزبد ٠

جובי شاطئه ، صادفي
الدلافين التعيسة ،
انسي نفسك في غاباته ٠ فالجراذين الأنثى
لن تصييك بأذى ٠

حتى الأفاعي المنهومة التي روضتها
ستخرأً أمامك ساجدة ٠

فلتشنك ، في الليالي الصقيعية ،
العصافير التي أهديتها ملحاً دافئاً ،
وليحن عليك بحب

الفتى الذي حميته
من قطاع الطرق على الدروب المقرفة
ولتغمرك بعطرها الزهور
التي سقتها دموعي ٠

الحظ حرمني من أجمل لحظات رجولته ٠
وفات نهديًّا أن يكوننا

مستودع خصبه ،
نهدي ، اللذين اجتاحتهم
نرات رعاة البقر الغرباء
واللصوص الخلقاء ٠

أبدأ لن أقود ييدي
أطفاله ٠ والحكايات التي كنت أعدها لهم
لربما قصتها باكية
على الديبة الصغيرة التعيسة
الضائعة في الغابة ٠

أنت يا ذات اليدين الأنقى من يدي ٌ
اسهري على رقاده
الذي ظل طهوراً ،

ولكن فلتسمحي لي أن أشاهد وجهه
على امتداد السنوات التي تتكدس فوقه
قصيّ عليّ أحياناً بعض شؤونه
كي توفرني عليّ ، ان أسأل الغرباء
المشدوهين ، والجيران
المشفقين على استمراري في حبه ٠

أنت يا ذات اليدين الأنقى من يدي
ظلّي عند سريره
واسهري برفق على أحلامه .

دانى زايتز (١٩٢٩)

DANE ZAYTZ

أحد أبرز ممثلي الشعر السلوفيني الموهوبين .
متعرّر من قيود التقليدية ولكنه يرفض مزاجيات العدائية
التي انساق فيها بعض أقرانه . يعبر في شعره عن عزلة
الفرد وعن المساوي في حياة عصرنا .

أغنية الشبيبة

الموت
من معارفي القدامي .
شجرة أنا
لن تحمل أزهاراً .

منذ زمن طویل أوى الخريف
إلى أغصاني .

أحمل في نفسي

عقدة الجبل الدامي
في وتد السنديانة .

أحتفظ في نفسي
بالقبور الصقيعية
والعظام المروضة
والجمجمة الملقاء
على التراب الرطب .

تبعد وكأنها تقول : انظر ، لقد كنت .

مسألة ، مهزلة ،
ذلك لأن اذنيها وعينيها
مسدودة بالتراب ،
وفوقها تدوّم
أغنية حزينة
نسمة

وسماء الخريف القاتمة .

فليتغلغل عطر الزهور
هناك حيث لم يعد ،
حيث لم يعد هناك شيء .

جمجمة ذات سمات لم تتحقق هويتها .

الموت من معارفِي القدامى ٠
شجرة أنا
أوراقها متاثرة على القبور ٠
في نفسي أحمل مشنقة أحلامي ٠

وحتى النهاية سيرن^ث في سمعي
النشيد القاتم الذي لا يرحم :
« هذا اليوم المتلىء سعادة ! »

الذئب الأسير

يركض ، يركض ، يركض ٠
برجليه الرشيقيتين الوحشيتين
وخطاه المخملية ٠
يجري صامتاً مثل شبح رمادي ٠
يجري في قفص ٠
على أوراق مهترئة ٠

يجري إلى الأمام ،
يجري إلى الوراء ،
الصدق مهروت ،
اللسان أحمر ،

يجري في قفص مثل ظل أشهب
ظل للحقد ، أخرس ، أشهب
ظل للكره أشهب
يجري ، يجري ، يجري
يعوي ، يعوي
شرساً وحشياً ،

أين جماعات الذئاب العرفة ؟
أين قطعان الأطياف الرمادية
السابحة في حليب القمر
مثل عصابة من الشياطين الرشيقة ؟
أين هي أعناق الخراف الناعمة ؟
أوه ، ما أذب ازدراد دم النعاج اللذيد !
وبعد ذلك العواء ! العواء !

لماذا تئن أيها الذئب
كمالو تئن الأرض
تحت ركام الصخور ؟

لماذا تئن " أيها الذئب
كما لو أنَّ حراباً طويلة سوداء
تنفرز في عنقك ؟

ستيفان راتشكوفيتش (١٩٢٨)

STEVAN RAITCHKOVITCH

شاعر غنائي عاطفي ، عفوي ، استطاع أن يرتفع
بعالمه الأثيري ، المخدر ، المعمور بالعصافير والعشب
والصغور ، إلى أفكار ، أشمل ، حتى إلى الرمز .

نشيد العشب

للعشب فكرة ثقيلة كالحجر
ذلك لأنه يقول لي : « باطل نشيدك .

قرء فيء . ضع رأسك على يديك المتلاصقتين .
وحافظ على الصمت حتى نسيان اللغة .

تأمل ، طلق الوجه ، الجبل البعيد الأزرق
الصامت بعمق . عند ذاك ، ارفع عينيك ، بطبيئاً ،
نحو الغيوم الصاخبة ، البيضاء ، التي تجوب السماء .

ومن هنا ، اخفض بصرك إلى نفسك . ثم ، بلا حراك
وعيناك غائستان في كيانك ، ظل مستلقياً تحت السحابة
عند سفح التل .

ثم ، ممترجاً بالليل الداخلي ، ارفع نظرك وافهم ببساطة
(ببساطة ، كما لو أن نسمة تلامسك) :

فوق الجبل توارت الغيمة . والجبل يصمت ، وحيداً ،
وقد خلع عليه الغروب لون السمرة الحزينة ،
مستلقياً على العشب الداكن ، تتواли أفكاره غائمة .
نملة على ركبتي ، مثل رجل على هضبة .
قلقة ، تثبت بلا حراك . وأحافظ على الصمت . هكذا نشيدني .
ساهماً ، أظل مستلقياً على العشب .
والعشب يصبح ثقيراً مثل حجر .

ماتي ماتيفسكي (١٩٢٩)

MATEY MATEVSKI

شاعر الرؤى والأحلام ، يواجه أعقد قضايا العبارة
العديدة بشقة فنية تدعو للإعجاب . شعره ذو موسيقاً
أخاذة .

القلق

الخيول المنهكة خيول الفضاء المثقلة تقترب
هيدبى بعيدة للغة المنسية نحسها
وحيدة تندفع بلا هوادة تحت النوافذ المغلقة
وتدق بحوارها الحافية ، تدق أبداً . . .
أوه ايتها الأرض الراشحة عرقاً ، الغضاربة ، الصبور

انهَا تخبَّ عليكِ في عرائِكَ كثيَّب
كيف النجاة من هذه الكوكبة
من هذا الأفق القطني دون حدود
من هذا اللحم القاتم للسماء والليل
من هذا الركام الكثيف والعميق معاً
انهيارات ثلوجية بالنسبة للبصر وتقصف جليدي بالنسبة للفضاء
أين أنت ماضٍ أيها البحر اللامتناهي المرعد
أيها السطح المتسق الافقي المتعب
الملهوف إلى فرحة صاحية ، عمودية ، معرضة للريح
أين تمضي ، أين اذن
عيينة كثيفة من مطر وتراب
حجرًا بين الأيدي حمأة في العيون

الأغنية

من أين تأتين ، أنت المعروفة جيداً أين تمضين
إيتها الأغنية التي لا تنسى ، يا طفلة يائسة ساذجة
سهماً طرياً عصفوراً من حما
دربياً قاحلاً لامتناهياً تحت المطر
دربياً يتعرج أفعى فضية الجرس
أين تمضين بي *

أَنْتَ دَوْمًا نَحْسَنَكَ فِي أَعْمَقِ الْمَيَاهِ وَالظَّلَمَاتِ
عَرْفًا نَاعِمًا عَرْفًا خَشْنَا
مُتَمَرِّدًا تَلَقَائِيًا

لَحْمًا يَئِسَّا لِلأَرْضِ وَاللَّيلِ
عَرْفًا قَاطِعًا حَدًّا مَعْكَرًا لِلنَّظَرِ
كَاسِحًا دَرْبَ الْفَضَاءِ الْفَضِيِّ
مَؤْتَلِقًا سَاطِعًا

فَلْتَحْمِلِينِي ، أَقُولُ لَكَ احْمَلِينِي إِيْتَهَا الطَّفُولَةَ
احْمَلِينِي قَصِيدَةَ هَرْمًا خَالِدًا لَا يَنْسِى
وَهَمَا أَسْمَى دُونَ تُورِيَّةَ
مَلْتَقِي مَفْتُوحًا بِخَرْقٍ ، عَمِيقًا بِقَسْوَةِ
عَلَى جَمِيعِ أَلْوَانِ الْخَلُودِ •

احْمَلِينِي درَبًا عَبْرَ هَذِهِ الْعَاصِفَةِ
وَعُودِي مَعِي هَادِئَةً إِلَى مَرْفَأِ الْعَبُورِ هَذَا
عَشِ الْأَحْلَامِ النَّاعِمِ

الجياد

الجياد المنهكة جياد الفضاء المثقلة تقترب
(أمطاراً باهتة صامتة لا تعبر ،)

تحت مهود راحتيَّ في مفترق الطرق
اوه أيها الغداء ، أقول غذ نفسك ناضحاً من العرق
مرتعداً من الرطوبة الدافئة التي ترشح
من أعطاف الليل

انطلق يا عصفوراً منسيَّ الجناحين
راقصة بأقدام الماعز ، فرساً منهكة ،
لنقفر عبر هذه المفترقات
ثم من جديد ، عبر النافذة
بلا انقطاع ، أبداً
في وضح الفضاء الظليل

ميو دراغ بافلوفيتش (١٩٢٨)

MIODRAG PAVLOVITCH

بعد رحلة في عالم الخيال ، ثم الشعر الثقافي
والاستدلالي عاد الشاعر الى الطبيعة حيث اكتشف الاساطير
الجماعية القديمة . ويعتبر واحداً من ابرز شعراء جيله ،
يتميز بلغته البهème بعنابة ، والواضحة بتعذر وصلف في
الوقت نفسه .

صلاة للموتى

(الى شاعر مات تحت القسر)

الشاعر

من أقول : وداعاً
وأنا الذي عرفت أن ليس ثمة مسافات ؟
الشكل الوحيد والزمن الوحيد
الذي احتفظت منه بذكرى فوق الشجرة المقتلة
هو الألم
لقد جعلني مرئياً
في حياتي
وادعاء في مماتي
ولكن لا يمكن أن تقول للألم وداعاً
أو أي شيء آخر

قلب النساء

قلب الأموات

وداعاً تحت القبة السوداء
اضغط جبينك على الوسادة الفولاذية
أعد لنا الأزهار التي ازدريتها
أرقق بدموعنا المتواصلة
وساعدنا على أن نبقى أحياء

وفر على نفسك الحلم بالنشور
أنت الذي اختارك فك من بارود
أصغ - أنت الذي تعلم سهولة التواري -
إلى الأصوات المتخلقة للطيور الجوفية
دون تفكير بأسباب ابشاق اللحم

وداعاً يا من تمضي
شرايين مفتوحة وفماً مفتوحاً
بين الحجارة التي تنتظرك

يا من اختاره الغضب المألف
يواكبك ولاء طاريء
ثمار انحلالك الكايبة

اعرض قناعك الفولاذي
على حشود أكلة اللحوم السذج
الذين سيهجونك بخدماتهم الصغيرة

حرر نفسك من فضول ما وراء القبر
ليس ثمة آفاق لا مجده
في عمق الأحداد الصفراء هذه

أعد لنا الهدايا التي لا تحتاجها
أعد لنا الفضة والشمع
اللذين حفظانا منك

ستزدرد ، دون مشقة ، اللقمة الكبيرة
لجسده الذي يفقد مفهوم ذاته
وقد غدا جزيرة استطلاعات سرية

ارفق بالدموع الشقيقة
بقربان الخدود المتلهبة

انس هو الفولاذ الذي يدور
أصغ الى صوت الأوتار الجوفية

ساعدنا على أن نأكل عندما نجوع
وأن ننchez جلوتنا
تحت الضربات التي تصنع آلاف الكيلومترات

دون أن نفكر بمعنى التمديد
أو بشروق الشمس وغروبها
اللذين يتکاثران كالفطر

الشاعر

لم سأقول وداعاً
عندما تتمزق آذان الهواء ؟
من سيتعرف على في الأهرام الخشبية
دون باب دخول إلى القبر ؟
على المفترق الطارئ حيث يرتد البصر حسيراً
ما من نشيد يشير
إلى اللقاء الخائب ،
ماذا لدى من قول يذيعه حلقي المسحوق
في هذا الوعاء حيث استلقيت
عارياً من العادات ومن مجرد الذكرة ؟
وفروا على الأرض مزيداً من الحراثة
دعوني أتنفس في العفن
واذكروني عندما تكون الكواكب قد غيرت مسارها
وتكون الريح قد تحدثت بصوت يحمل العزاء

القلبان

وداعاً تحت القبة السوداء
يا من اختارك فك البارود
اضغط جبينك على الوسادة الفولاذية
حرر نفسك من الايمان بالقيامة
وأعد لنا الأزهار التي ازدريتها
أنت الذي تعلم سهولة التواري
مصغياً إلى دموعنا المتواصلة
اسمع غناء العصافير الجوفية
وساعدنا على البقاء أحياء
دون تفكير بأسباب الولادات القديمة





إِمْرَهُ فُورسْتَر

ترجمة : د. منير صلاحى الأصبجى

لا شك أن الكتيب الذى قدمته «الأداب الأجنبية» عن إِمْرَهُ فورستر وأعماله في عدها السابق يكفى كمقدمة للقصص التي نقدمها في هذا العدد . ولستنا بحاجة إلى أكثر من أن نذكر أن هذه القصص هي من مجموعتي القصص القصيرة الوحيدتين اللتين كتبهما فورستر وهما «الأمنيس السماوى » The Eternal Moment و «اللحظة الخالدة» The Celestial Omnibus وقد طبعتان مجموعتان فيما بعد في مجلد واحد تحت عنوان Collected Short Stories والقصص التي اخترناها ليست بالضرورة أفضل قصص المجموعتين ولكن طبيعة هذه القصص وطولها يجعلها أنساب قصص المجموعة في رأينا لهذه المجلة . والقصص الثلاث هي : «The Other Side of the Hedge» (جانب السياج الآخر) - مع ملاحظة أن كلمة Hedge تعنى سياجاً من الشجيرات - و «The Curate's Friend» (صديق راعي الأبرشية) و «Co-Ordination» . ونحب أن ننوه هنا أننا كتبنا اسم الكاتب في العدد السابق «إِمْرَهُ فورستر» ولكننا وجدنا أن الأصح هو «فورستر» .

جانب السياج الآخر

عدد الخطى الذي كان معى بين لي أننى في الخامسة والعشرين ، وعلى الرغم من أن التوقف عن السير أمر فظيع ، فاننى كنتأشعر بتعب شديد جعلنى أجلس على إحدى علامات الطريق لأستريح . أخذ الناس يسبقونى ، ويسيخرون منى

أثناء ذلك ، لكنني كنت في حالة من اللامبالاة جعلتني لا أشعر بأي غضب ، بل حتى حين مرت بي الآنسة إلإيزادمبلي ، المربية الكبيرة ، بسرعة خاطفة ، وهي تعصبني على المثابرة ، اكتفيت بالابتسام وبرفع قبعتي .

في البداية اعتتقدت أنني سأكون مثل أخي ، الذي اضطررت أن أتركه على جانب الطريق عند المنعطف قبل عام أو عامين . لقد بدد طاقته في الغناء وبدد قوته في مساعدة الآخرين . أما أنا فقد كنت في ترحالٍ أكثر حكمة ، ولم يكن ما جعلني أشعر بالاغتمام سوى رتابة الطريق - الغبار تحت قدمي والوحاجز البنية التي تحدث حقيقةً منذ أبعد وقت تعود بي الذاكرة إليه .

وقد أسقطت حتى الآن أشياء عديدة - حقاً ، لقد كان الطريق ورائي مغطى بالأشياء التي سقطت منا جميعاً ، وكان الغبار الأبيض يستقر فوقها ، بحيث أنها لم تكن في مظهرها أفضل من العجارة . كانت عضلاتي منهكة إلى حد أنه لم تعد باستطاعتي حتى أن أتحمل ثقل تلك الأشياء التي لازلت أحملها . انزلقت من على علامة الطريق وسقطت فوق الطريق ، مستلقياً على ظهري ، ووجهي نحو السياج الكبير الملفوح بالشمس ، وأنا أدعوا أن تنفذ قدرتي على الاحتمال .

أنعشتنى هبة من الهواء . وقد جاءت على ما يبدو من السياج ، وحين فتحت عيني ، كان هناك ومض من النور عبر تشابك الفروع والأوراق الميتة . لا بد أن السياج لم يكن كثيفاً كما هو في العادة . وفي حالي الضعيفة المرضية شعرت بتوق لاقتحامة ورؤية ما يوجد في الطرف الآخر . لم يكن هناك من شخص على مدى بصري ، وإنما جرأت على المعاولة . إذا أنا - جماعة الطريق لم نكن نعرف في أحاديثنا بوجود طرف آخر على الاطلاق .

استسلمت للغراء ، وأنا أقول لنفسي أنني سأعود خلال دقيقة . خدشت الأشواك وجهي ، واضطررت لاستعمال ذراعي كدرع وقایة ، معتمداً على قدمي وحدهما في التقدم إلى الأمام . كنت أود العودة من منتصف الطريق ، إذ أن جميع الأشياء التي أحملها سقطت أثناء مروري ، وتمزقت ملابسي . لكنني كنت قد انحشرت بشكل يجعل العودة مستحيلة ، واضطررت أن أشق طريقي إلى الأمام

متلويًا على نحو عشوائي ، وأنا أتوقع في كل لحظة أن تخونني قواي وأن ألقى حتفي بين الشجيرات .

فجأة غمر الماء البارد رأسي ، وبدا لي أنني أغوص إلى الأسفل غوصاً أبداً . لقد سقطت من السياج إلى بركة عميقه . أخيراً طفوت إلى السطح ، وأنا أصبح طلباً للنجدة ، وسمعت شخصاً على الضفة المقابلة يضحك ويقول : « واحد آخر ! » ثم انتشلت ومددت فوق الأرض اليابسة وأنا الهث .

حتى حين لم يعد الماء يملأ عيني استمر شعوري بالدور ، إذ لم أكن قبل الآن قط في مكان بمثيل هذا الاتساع ، ولا رأيت عشبًا مثل هذا أو أشعة شمس بهذه . فالسماء الزرقاء لم تعد مجرد شريط ، والأرض تعتها ارتفعت بأبهة مشكلة هضاباً — أعمدة نظيفة عارية تضم أشجار زان بين ثناياها وتمتد مروج وبرك صافية عند أقدامها . لكن الهضاب لم تكن عالية وكان هناك في المشهد الممتد أمامي ما يشعر بوجود الإنسان — بحيث كان من الممكن للمرء أن يسميه متزهاً أو حديقة لو لا أن هاتين الكلمتين توحيان بشيء من التفاهة والتقييد .

في نفس اللحظة التي التقطت فيها أنفاسي التفت إلى منقذى وقلت :

« إلى أين يقود هذا المكان ؟ »

« لا يقود إلى أي شيء والحمد لله ! » قال ، وضحك . كان رجلاً في الخمسين أو الستين — بالضبط في تلك السن التي كانت توحى إلينا ، جماعة الطريق ، بعدم الثقة — لكن لم يكن هناك اضطراب في تصرفاته ، وكان صوته صوت صبي في الثامنة عشرة .

صحت : « ولكن لا بد أن يقود إلى مكان ما ! » وقد غلبتني الدهشة لدى سماع جوابه حتى أنها أنسنتني أن أشكره على إنقاذه حياتي .

« يريد أن يعرف إلى أين يقود المكان ! » قال ذلك صائحاً موجهاً كلامه لبضعة رجال على طرف الهمبة ، فأجابوه بالضحك وبالتلويح بقبعاتهم .

عندئذ لاحظت أن البركة التي سقطت فيها كانت في الواقع خندقاً مائياً

يتعرج إلى اليمين وإلى اليسار ، وأن السياج كان يتبعه باستمرار . كان هذا الطرف من السياج أخضر - وبدت جذوره في الماء الصافي ، والأسماك تسبح بينها - وكانت تَسْوِيْجُهُ أزهار من أنواع مختلفة . لكنه كان حاجزاً ، وفي لحظة فقدت كل شعور بالسرور لرؤية العشب والسماء والأشجار والرجال والنساء السعداء ، وأدركت أن المكان رغم كل جماله وامتداده لم يكن سوى سجن .

ابتعدنا عن الحاجز ، ثم بدأنا بالسير على ممر مواز له تقريراً يمر عبر المروج . وقد وجدت صعوبة في المسير ، ذلك أنني كنت طيلة الوقت أحاول أن أسبق رفيقي ، ولكن لم يكن ثمة جدوى في ذلك إذا كان الطريق لا يقود لأني مكان . ولم أكن قد مشيت بنفس السرعة مع أي شخص قط منذ تركت أخي .

وكان من المслبي له أنني توقفت فجأة وقلت بوجوم ، « هذا مریع تماماً لا يمكن للمرء أن يسير إلى الأمام ، لا يمكن له أن يتقدم . بينما نحن جماعة الطريق ... »

« نعم . أعرف . »

« كنت على وشك أن أقول أننا نتقدم باستمرار . »

« أعرف . »

« إننا دائماً في حالة تعلم ، توسيع ، تطور ، في الواقع حتى خلال حياتي القصيرة أتيحت لي رؤية قدر كبير من التقدم - حرب بلاد « ما وراء القال » ، المسألة المالية ، العلم المسيحي ، الراديو . هنا على سبيل المثال ... »

أخرجت مقاييس المشي ، ولكنه لا يزال يشير إلى خمس وعشرين ، دون أن يزيد حتى درجة واحدة .

« أوه ، لقد توقفت . كنت أود أن أريك . كان المفروض أن يسجل جميع الوقت الذي سرت فيه معك . لكنه يجعل عمري خمساً وعشرين فقط . »

قال : « أشياء كثيرة لا تعمل هنا . في أحد الأيام أحضر رجل آلة ولكنها لم تعمل . »

« ان قوانين الطبيعة تنطبق بشكل شامل . لا بد أن الماء في الخندق هو الذي عطل الآلات . في الظروف الطبيعية كل شيء يعمل . العلم والرغبة في التفوق - هاتان هما القوتان اللتان جعلتا منا ما نحن عليه . »

اضطررت الى قطع كلامي للاستجابة إلى التحيات اللطيفة الصادرة عن الناس الذين كنا نمر بهم . كان بعضهم يغنى ، والبعض يتحدث ، والبعض الآخر ينهمك في أعمال الحدائق أو صنع التبن أو في صناعات أولية أخرى . كانت تبدو عليهم السعادة جميعاً ، وكان من الممكن أن أشعر أنا أيضاً بالسعادة ، لو استطعت أن أنسى أن المنطقة لا تقود إلى أي مكان .

بوغيت^١ لروية شاب يudo بسرعة عبر مرمنا ، ويقفز بطريقة رائعة فوق سياج صغير ، ويجتاز حقلًا مفلوهاً إلى أن رمى بنفسه في بحيرة وأخذ يسبح عبرها . كانت هذه حيوية حقيقية ، وصحت : « سباق ضواح ! أين الآخرون ؟ »

« ليس هناك آخرون ، » أجاب مرافقي ؛ وفيما بعد ، حين مررنا بعشائش عالية كان يصدر عنها صوت فتاة تغنى لنفسها برقه شديدة قال مرة أخرى : « ليس هناك آخرون » . وشعرت بالحيرة لهذا التبديد للانتاج ، وتمتت أخاطب نفسي : « ما هو معنى هذا كله ؟ »

قال : « انه لا يعني أكثر من ذاته » - وكرر الكلمات ببطء كأنني طفل .

قلت بهدوء : « ابني فاهم ولكنني لا أوفق . انه لا قيمة هناك في أي إنجاز إذا لم يكن حلقة في سلسلة التطور . وعلى ألا تستغل لطفك أكثر مما فعلت . فلا بد لي أن أعود بطريقه ما إلى الطريق ، وأن أصلاح مقياس المشي الخاص بي . »

أجابني : « يجب أولاً أن ترى البوابات ، اذ لدينا بوابات وان كان لا تستعملها أبداً . »

وافقت بأدب ، وقبل مضي زمن طويل وصلنا الى الخندق المائي مرة أخرى عند نقطة امتد فيها جسر فوقه . كانت هناك فوق الجسر بوابة ضخمة ، لونها

أبيض كالعاج ، أقيمت في فتحة في السياج الفاصل . كانت البوابة تنفتح نحو الخارج ، وتفحصتها بدهشة ، اذ أنها كانت بداية لطريق - يماثل تماماً الطريق الذي غادرته - ينطليه الغبار عند موته ، وعلى جانبيه سياجان لهما حفيظ ممتدان على مدى البصر .

صحت : « هذا طريري ! »

أغلق البوابة وقال : « لكن هذا ليس جزء الطريق الخاص بك . ان هذه هي البوابة التي خرجت منها الانسانية قبل عصور لا عد لها ، حين تملكتها رغبة السير لأول مرة . »

أنكرت ذلك ، مشيراً الى أن جزء الطريق الذي غادرته أنا نفسي لم يكن يبعد أكثر من ميلين . ولكنه كرر بعناد من هم في سنه : « انه نفس الطريق . هذه هي البداية ، ورغم أن اتجاهه من هنا يبدو مستقيماً فإنه ينبعطف انعطافات كثيرة جداً بحيث أنه لا يبعد أبداً عن حدودنا وأحياناً يحاذيها . » وانحنى فوق الخندق المائي ورسم على حافته المبللة شكلًا يشبه متاهة . وبينما كنا نسير عائدين عبر المروج حاولت أن أقنعه بأنه مخطيء .

« الطريق ينبعطف أحياناً بالتأكيد ، ولكن ذلك جزء من نظامنا . من يستطيع الشك بأن اتجاهه العام هو الى الأمام ؟ لانعرف الى أي هدف - قد يكون الهدف جيلاً يوصلنا الى السماء ، قد يكون عبر هاويات الى البحر . ولكن من يستطيع الشك بأنه يتوجه الى الأمام ؟ ان التفكير بذلك هو الذي يجعلنا نسعى الى التفوق ، كل بطريقته الخاصة ، ويعطينا حافزاً تفتقرون انتم اليه . فالرجل الذي مرسينا مثلًا : من الصحيح أنه أحسن الجري وأحسن القفز وأحسن السباحة ، لكن لدينا رجال يستطيعون الجري بشكل أفضل . لقد أعطى التخصص نتائج ستددهشك . وكذلك تلك الفتاة »

هنا قاطعت نفسي وصحت : « ياللعجب ! أكاد أقسم أنها الآنسة إلإيزا دمبلي الواقع هناك ، وقدمها في البحرة ! »
كانت هي بذاتها في اعتقاده .

« مستحيل ! لقد تركتها على الطريق ، والمفروض أنها ستلتقي محاضرة هذا

المساء عند ترنيبردج ولز . وقطارها سيفادر شارع كانن بعد ٠٠٠ طبعاً توقفت ساعتي مثل كل شيء آخر . إنها آخر شخص يفترض أن يوجد هنا .

« يندھش الناس دائمًا للقاء بعضهم البعض . جميع الأنواع تأتي عبر السياج ، وتأتي في أي وقت — حين يكونون على وشك احتلال المرتبة الأولى في السباق ، حين يكونون متعرّين في الخلف ، حين يتركهم الآخرون على اعتقاد أنهم ماتوا . غالباً ما أقف عند الحد الفاصل وأصفي إلى أصوات الطريق — إنك تعرف ما هي هذه الأصوات — وأتساءل ما إذا كان أحد ما سينتحي الجانب . إن سعادتي الكبرى هي في مساعدة شخص ما على الخروج من الخندق ، مثلما ساعدتك . فبلادنا تمتليء ببطء ، رغم أنها وجدت من أجل الجنس البشري باكملاه . »

« الجنس البشري له أهداف أخرى ، » قلت بلطف ، « إذ أني استخلصت أنه حسن النية ، » ولا بد لي من الالتحاق بهم . « تمنيت له مساء سعيداً ، إذ كانت الشمس في طريق الغروب ، وعبرت عن رغبتي في أن أكون على الطريق لدى حلول الليل . ولكنه أمسك بي — مما أزعجني — وصاح : « لم يحن وقت ذهابك بعد ! » حاولت التخلص منه ، إذ لم تكن تجمعنا أية مصالح مشتركة وقد بدأت أضيق ذرعاً بتأدبه . ولكن رغم كل جهودي لم يفلتني ذلك العجوز المزعج ، وبما أن المصارعة ليست من اختصاصي فقد اضطررت لأن أتبعه .

من الصحيح أنه لم يكن بإمكانني على الأطلاق أن أجده بنفسي المكان الذي دخلت منه ، وكان أملاني هو أن يعود بي إليه حين أنهي من روية المشاهد التي كانت تشغله تفكيره . لكنني صممت لا أنام في ذلك المكان ، لأنه لم تكن لدى ثقة به ، ولا بشعبي ، رغم كل مودتهم . وعلى الرغم من جوعي لم أقبل أن أشار لهم وجباتهم المسائية المؤلفة من الحليب والفاكه ، وحين أعطوني أزهاراً أقيمت بها بعيداً حالما كان بإمكانني فعل ذلك دون استرعاء انتباه أحد . كانوا قد بدأوا منذ الآن بالاستلقاء كالماشية استعداداً لقدوم الليل — بعضهم في العراء على سفح الهضبة العاري وبعضهم في جماعات تحت أشجار الزان . وفي ضوء الغروب البرتقالي هرعت في سيري مع دليلي الثقيل ، وقد أنهكتني التعب وأضناناني الجوع ، لكنني كنت أتمت

بعزيمة صلبة : « هبني الحياة ، بكل كفاحها وانتصاراتها ، بكل خيباتها وكراهياتها ، بمغزاها الأخلاقي العميق وهدفها المجهول ! »

أخيراً وصلنا إلى نقطة امتد فيها جسر آخر فوق الخندق المعيط بالمكان وقامت بوابة أخرى في السياج الفاصل المتدا . كانت تختلف عن البوابة الأولى ، إذ كانت شافة مثل مادة قرنية وتنفتح نحو الداخل . لكنني رأيت مرة أخرى من خلالها ، في النور الشاحب طريقاً تماماً مثل الطريق الذي غادرته : رتيبة ، مغبراً ، على جانبه سياجان بنيان لهما حفيظ ، ممتدًا على مدى البصر .

سبب المشهد لي قلقاً غريباً ، بدا وكأنه لا يترك في آية قدرة على ضبط نفسي . كان هناك رجل يمر بنا ، عائداً مع قدمه الليل إلى الهضاب ، يحمل على كتفه منجلًا وفي يده علبة فيها سائل ما . نسيت مصير جنسنا . نسيت الطريق الذي كان يقع تحت بصري ، وقفزت نحوه وانتزعت العلبة من يده وأخذت أشرب .

لم يكن السائل أقوى من البيرة على الاعلاق ، ولكنه تمكّن مني في لحظة بسبب حالي المنهكة . وكما لو أنني في حلم رأيت العجوز يغلق البوابة وسمعته يقول : « هذا هو مكان انتهاء طريقك ، وعبر هذه البوابة ستأتي الإنسانية – كل ما تبقى منها إلينا . »

رغم أن حواسِي كانت تنحدر إلى اللاوعي ، فقد بدا أنها تتسع حين وصولها إليه . إذ أدركت أغنية العنادل السحرية ، ورائحة التبن غير المرئي ، والنجوم الثاقبة في السماء المضمحة . مددني الرجل الذي سرقت بيته لأنام تحت تأثيرها ، وحين فعل ذلك رأيت أنه أخي .

صديق راعي الأبرشية

ليس معروفاً بشكل مؤكَّد كيف حدث أن وجَد الله المروج* في ولتشَر . من

* إله المروج Faun هو واحد من عدد من الآلهة الرومانية الريفية الثانوية ، ويرسم عادة بشكل كائن له جسم إنسان وقرنا وأذنا ورجلًا جدي .

(المترجم)

المحتمل أنه قدم مع جنود الفيلق الروماني ليعيش مع أصدقائه في المعسكر، يعدهم عن لوكيتليس ، أو عن غارغنس على سفوح إتنا ؛ وفي فرحتهم حين استدعائهم للعودة نسوا أن يأخذوه معهم ، وبكى في المنفى ، لكنه أخيراً وجد أن هضابنا أيضاً تفهم أحزانه ، وتفرح لسعادته . أو ربما كان سبب وجوده هناك أنه كان دائمًا هناك . وليس من شيء كلاسيكي بشكل خاص فيما يتعلق باله المروج : كل ما في الأمر هو أن اليونانيين والرومان كانوا دائمًا ذوي عيون ثاقبة . إنك تجده في « العاصفة » وفي « الدعوات » ؛ وكل بلد فيه آجام من شجر الزان وعشب منحدر وجداول شديدة الصفاء يمكن تماماً أن ينتبه .

أما كيف تمت لي رؤيته بهذه مسألة أكثر صعوبة . اذ تتطلب رؤيته صفة معينة ، واستعمال الكلمة الصدق هو تسمية لها باردة أكثر مما ينبغي والمزاج الحيواني تسمية جلفة أكثر مما يجب ، وهو وحده يعرف كيف حدث أن وجّدت هذه الصفة لدى . لا يحق لأي شخص أن يصف نفسه بأنه أحمق ، لكن يمكنني القول أنني كنت أشبه شخصاً أحمق شبهـاً كاملاً . كنت مزوجـاً دون روح نكتة وجادـاً دون اقناع . كنت كل يوم أحد أحد أبناء ابرشيتـي الريفيـين عن العالم الآخر بلـهجة شخص كان وراء الكواليس ، أو أشرح لهم أخطاء البيلاجيـسين** ، أو أحدـرـهم من الركـضـ المـتوـاتـرـ وراء اللـذـاتـ . كل يوم ثلاثة ، كنت أقوم بما أسمـيـته « أحـادـيثـ صـرـيـحةـ معـ أـبـنـائـيـ » . أحـادـيـثـ تـجاـوزـتـ كـلـ ماـ هوـ مـعـرجـ . وكـلـ يـوـمـ خـمـيسـ ، كـنـتـ أـتـحدـثـ إـلـىـ « اـتـحـادـ الـأـمـهـاتـ » عن واجـباتـ الزـوـجـاتـ أوـ الـأـرـاـمـلـ ، وأـعـطـيـهـنـ أفـكارـ عمـلـيـةـ عن اـدـارـةـ شـوـونـ عـائـلـةـ مـوـلـفـةـ منـ عـشـرـ أـشـخـاصـ .

لقد خدعت نفسـيـ ، ولـفـترةـ منـ الزـمـنـ خـدـعـتـ إـمـيـليـ بـالتـاكـيدـ . لمـ أـعـرـفـ قـطـ أـيـةـ فـتـاةـ تـصـفـيـ بـهـذـاـ الـاـهـتـمـامـ لـمـ اوـاعـظـيـ ، أوـ تـضـحـكـ منـ القـلـبـ بـهـذـاـ الشـكـلـ عـلـىـ نـكـتـيـ . لاـ عـجـبـ إذـنـ أـنـيـ خطـبـتهاـ . لقدـ بـرهـنـتـ أـنـهاـ زـوـجـةـ مـتـازـةـ ، تـصـحـ بـعـرـيـةـ سـخـافـاتـ زـوـجـهاـ ، دـوـنـ أـنـ تـسـمـعـ لـأـيـ شـخـصـ آخـرـ أـنـ يـتـفـوهـ بـكـلـمـةـ وـاحـدـةـ عـنـ هـذـهـ السـخـافـاتـ ؟ تـسـتـطـيـعـ التـحدـثـ عـنـ العـقـلـ الـبـاطـنـ فـيـ غـرـفـ الـاسـتـقبـالـ ،

** أتباع بيلاجيوس Pelagius ، وهو راهب بريطاني عاش في القرن الرابع عشر وأنكر مبدأ الخطيئة الأولى وقال بأن الإنسان يتمتع بحرية إرادة مطلقة .

ولكن أذنها تصفي للأطفال وهم يبكون في غرفتهم أو للمسحون وهي تتكسر في حجرة الأطباق . زوجة ممتازة - أفضل مما تخيلت في أي وقت . لكنها لم تتزوجني .

لو أننا بقينا في البيت عصر ذلك اليوم لما حدث شيء . وكانت أم إميلي ، التي أصرت على أن نتناول الشاي في الغلاء ، هي سبب كل ما حدث . قبالة القرية ، عبر الجدول ، يوجد تل حواري صغير ، تتوّجه غيسنة من أشجار الزان وبعض التاريس الرومانية . (لقد حضرت بع gioia بالغة حول هذه التاريس ، ثم تبين فيما بعد أنها ساكسونية) . إلى هذا المكان جررت سلة فيها معدات الشاي وبساطاً ثقيلاً من أجل أم إميلي ، بينما مشت إميلي وصديق صغير الحجم في المقدمة . كان الصديق الصغير الحجم - الذي لعب خلال العادث بأكماله دوراً أقل أهمية بكثير مما يعتقد - شاباً لطيفاً ، ممتهناً بالذكاء وبالشعر ، خاصة ما يدعوه شعر الأرض . كان توافقاً لأن ينتزع من الأرض سرها ، ولقد رأيته يضغط وجهه بحماس عاطفي على العشب ، حتى حين كان يظن أنه وحده . وكانت إميلي في ذلك الوقت ملأى بالتلطّلات المبهمة ، ورغم أنه كان على أن أفضل أن تدور هذه التلطّلات كلها حولي ، فقد بدا من غير المنطقى أن أنكر عليها الفرص الأخرى لتنقيف الذات التي كانت تتوفر في المنطقة .

كانت عادتي في ذلك الوقت حين الوصول إلى قمة أي مرتفع أن أصبح مازحاً : « ومن سيقف على كلا الطرفين ويشكل جسراً معنى؟ » وفي نفس الوقت أحرك ذراعي بعنف أو أهجم بيقظة تامة على خصم وهمي . وقد تلقت إميلي وصديقتها نكتتي كالمعتاد ، ولم الحظ أي تصنّع في مرحهما . لكنني كنت على قناعة أن شخصاً كان موجوداً لم يجدني مضحكاً ، ولا بد أن أي خطيب بين الناس سيقدر توترني المتزايد .

وقد سرت أم إميلي عن قليلاً ، إذ انتفخت قائلة : « ما الطف هاري ، الذي حمل جميع الأشياء ! ماذا سنفعل بدونك ، حتى في هذا الوقت ! آه ، يالجمال المشهد ! هل تستطيعون رؤية الكاتدرائية العزيزة ؟ كلا ! الضباب شديد . الآن سأجلس أنا فوق البساط . » وابتسمت بغموض . « الانعطاط في أيلول ، كما تعلم . »

أبدينا اعجاباً لا ح MAS فيه بالمشهد ، الذي كان حقاً جميلاً فقط لأولئك الذين يعجبون بالأرض ، وبالنسبة لهؤلاء فإنه قد يكون أجمل مشهد في إنكلترا . إذ هنا يقع جسم العنكبوت العماني الكبير الذي يمد أطرافه فوق جزيرتنا - والذي أرجله هي المرتفعات الجنوبية والمرتفعات الشمالية وهضاب تشنترن ، والذي تظهر رؤوس أصابعه في كرومودوف . وهو مخلوق نظيف ، ينت ب أقل ما يمكنه من الأشجار ، وهذه الأشجار القليلة تنبت في آجام منسقة ، وهو يحب أن تدغدغه الجداول السريعة الجريان . وتنشر فوق جميع أنحاء جسمه بثور من المتراس ، إذ منذ بداية التاريخ يتقاول الناس للاستئثار بحق الوقوف فوقه ، وأقدم معابدنا مبنية فوق ظهره .

لكنني في تلك الأيام كنت أحب بلادي أن تكون مريحة دافئة وجميلة ، ملائى بمنازل السادة والأكواخ الظلية والناس الذين يلمسون قباعهم . كانت الامتدادات الشاسعة الكثيبة التي يمكن للمرء أن يعشى أميلاً عدة عليها تقريباً دون أن يغير أيّاً من علائم الطريق أو أن يقابل أي شخص مهذب لا تزال بالنسبة لي لا طلاق . لذا استدررت حالماً أعطتني اللباقة فرصةً لذلك وقلت : « وهل لي الآن أن أعد الكأس الذي ينشع ؟ »

أجبت أم إميلي : « يا لك من رجل لطيف ، إذ تساعدني . ابني دائمًا أقول أن الشاي في الخلاء يستحق الجهد الأضافي . كم أتمنى لو أن حياتنا أكثر بساطة . » ووافقناها على قولها . أخرجت الطعام . « ألن يثبت الإبريق ؟ آه . يجعله يثبت . » فعلت ذلك . صدرت صيحة ، خافتة ولكن واضحة ، كما لو كان شيء ما يتآلم .

« ما أشد السكون في كل شيء هنا ! » قالت إميلي .

سقط مني عود كبريت مشتمل على العشب ، ومرة أخرى سمعت الصيحة الخافتة .

سألت : « ما هذا ؟ »

قالت إميلي : « لقد قلت فقط أن كل شيء ساكن جداً . »

« ساكن بالتأكيد ، » رد صديقها الصغير العجم .

ساكن ! لقد كان المكان ممتلئاً بالأصوات . لو أن عود الكبريت سقط في غرفة استقبال لما كان الأمر أسوأ ، وأعلى الأصوات صدر من جانب إميلي نفسها . لقد كان إحساسه تماماً كاحساس المرء حين يذهب الى حفلة ، وينتظر أن يعلن اسمه في قاعة الأصداء ، حيث بامكانه أن يسمع أصوات الضيوف ولكن ليس بمقدوره بعد أن يرى وجوهم . إنها لحظة عصبية لرجل خجول ، خاصة إذا كانت جميع الأصوات غريبة بالنسبة له وإذا لم يكن قد قابل مضيفه قط .

« عزيزي هاري ! » قالت السيدة الأكبر سنًا ، « لا تشغلي نفسك بعود الثقب ذاك . انه سينطفيء ولن يؤذى أي انسان . الشاي - ي - ي ! ابني دائمًا أقول - وستجد أن إميلي على نفس الورقة - أنه حين تقترب الساعة الخامسة السحرية ، ومهما كان غداء المرء دسمًا ، فإنه يبدأ بالشعور بشيء من ... »

إن إله المروج هو من النوع الذي يمرح عابثاً في النقوش النافرة من المدرسة الأنثانية الحديثة ، وإذا لم تلاحظ أذنيه أو ترى ذيله ، فانك ستظن أن رجل وستشعر بالرهبة .

صحت متهدجاً : « سباحة ! صبيان قريتنا يقومون بمثل هذا العمل ، لكنني أواقف تماماً ... اشرف أكبر ... ابني ألوم نفسي . اذهب من هنا ، أيها الولد الشقي ، إذهب من هنا ! »

« ما الذي سيخطر له بعد هذا ! » قالت إميلي ، بينما نهض الكائن الموجود إلى جانبها وأواماً إلى ... مشيت نحوه بجهد كبير وبخطوات صغيرة وأنا أقوم بالياءات وأصبح صيحات مروعة ، محاولاً طرد الشبح بتحريك قبعتي . لم أمش بشكل مختلف في اليوم السابق ، حين أرتي بنات أخت إميلي خنزيرهم الهندي . ولم يكن الفشك القلبي الذي أثرته الآن أقل . وإلى أن أطبقت الأصابع الغريبة على ، كنت لا أزال أظن أن هذا كان أحد أعضاء أبرشيتني ولم أتوقف عن الصياح : « دعني أيها الولد المشاكس ، دعني ! » وأجابت أم إميلي ، معتقدة أنها

فهمت النكتة : « في الواقع عليَّ أن أقر أنهم أولاد مشاكسون ويلحقون بالمرء حتى على البساط : انحطاط أيلول ، كما قلت من قبل . »

عندما لمحت الذيل ، وأصدرت صرخة جامعة وهربت إلى أجمة الزان التي كانت خلفي .

« لقد ولد هاري ليكون ممثلاً ، » قالت أم إميلي وأنا أبتعد عنهم .

أدركت أن أزمة كبيرة في حياتي كانت على وشك الوقع ، وأنني إذا فشلت فيها فانني قد أفقد احترامي لنفسي فقداناً دائمًا . كان حشد من الأصوات قد بدأ يجعلني أشعر بالقلق — أصوات الهضبة تحت قدمي ، والأشجار فوق رأسي ، بل والعشرات وهي داخل جذوع الأشجار . بل انتهى استطاعت سماع الجدول وهو يلتهم قطعاً صغيرة من المروج والمروج وهي تحتاج احتجاجاً حاماً . وفوق الضجيج — الذي لم يكن أعلى من أزيز أجنحة نحلة — ارتفع صوت إله المروج يقول : « أيها القيس العزيز ، تمالك نفسك ، تمالك نفسك . ما الذي يخيفك ؟ »

قلت : « لست خائفاً » — وبالتأكيد لم يداهمني الخوف . « لكنني حزين : لقد أحقت بي العار على مرأى من سيدتين . »

« لم يرني أي شخص آخر ، » قال وهو يبتسم بكسيل . « السيدتان ترتديان جزمتين ضيقتين والرجل ذو شعر طويل . هذه الأنواع لا ترى أبداً . منذ سنوات وأنا لا أتكلم إلا مع الأطفال ، وهم يتوقفون عن رؤيتني حالماً يبلغون الرشد . أما أنت فلن تستطيع التوقف عن رؤيتي ، وإلى أن تموت ستظل صديقي . الآن أبدأ بسعادك : استلق على ظهرك ، أو تسلق الأشجار ، أو هل أحضر لك بعض التوت ، أو العريس ، أو الزوجات »

بصوت رهيب قلت له : « قف خلفي ! » ووقف خلفي . « للمرة الأولى والأخيرة ، » أضفت ، « دعني أقول لك أنه من العبث محاولة إغواء شخص تكون سعادته من إعطاء السعادة للأخرين . »

« إنني لا أستطيع فهمك ، » قال بلهجة أسف . « ما هو الإغراء ؟ »

قلت وأنا التفت : « يالكائن الغابات المسكين ! كيف يمكن لك أن تفهم ؟ لا جدوى هناك في قيامي بتأنيبك . ليس من طبيعتك الفضئلة أن تفهم حياة مبنية على انكار الذات . آه ! لو كان بإمكانى أن أنفذ إليك ! »

« لقد نفذت إليه » ، قالت الهضبة .

« لو كان بإمكانى أن أمسك !

« لقد لمسته ، » قالت الهضبة .

وانفجر إله المروج يقول : « لكننى لن أتركك أبداً . إننى سأقوم بكنس معبوك ، وسأراقبك إلى اجتماع السيدات . وسأغريك في الأسواق . »

هززت رأسي . « إنه لا اهتمام لدى بهذه الأشياء على الاطلاق . وفي الواقع ملت في البداية إلى رفض عرضك لخدماتك كلياً . لكننى كنت مخطئاً في ذلك . إنك ستساعدنى ... ستساعدنى على جعل الآخرين أكثر سعادة . »

« أيها القيس العزيز ، يالها من حياة عجيبة ! أشخاص لم أرهم من قبل قط ، أشخاص لا يستطيعون روّيتي ، لمَ عليَّ أن أسعدهم ؟ »

« أيها الصبي المسكين - ربما مع مرور الزمن ستعرف السبب . اذهب الآن . باشر على هذه الهضبة بالذات تجلس فتاة أكن لها احتراماً كبيراً . أبداً بها هاك ! إن الخيبة ترتسم على وجهك . هذا ما ظننته . إنك لا تستطيع فعل أي شيء . وهذه خاتمة المسألة بأكمالها ! »

أجاب : « يمكننى جعلها سعيدة اذا أمرتني ، وحين أنتهي من القيام بذلك فانك قد لا تثق بي بعدها . »

كانت أم إميلي قد بدأت في التوجه إلى البيت ، لكن إميلي والصديق الصغير العجم جلسا بجانب معدات الشاي - هي في ثوبها الأبيض المضلع وقبعتها السمراء وهو في بذلته الصيفية الخشنة والتي هي مع ذلك جيدة الغيطة . وارتفع رأس إله المروج بقوامه الوثني الضخم ورائعها بوقاحة .

كان الصديق يقول : « وهل شعرت قط بالوحدة المرعية وأنت بين حشد من الناس ؟ »

أجبت إميلي : « لقد شعرت بذلك كله ، وأكثر بكثير جداً ... »

ثم وضع إله المروج يديه فوقهما . وهما ، اللذان لم يقصدنا أكثر من عبث حضاري بسيط ،قاوماه أطول فترة ممكناً ، ولكن كلاً منها دفع بالتدريج الى ذراعي الآخر ، وتعانقا بعاطفة شديدة .

صحت منفجرًا من الأجمة : « أيها الشرير ! لقد خنتني . »

« أعرف ذلك : ولا يهمني ، » صاح الصديق الصغير . « قف جانباً . إنك في حضرة شيء لا تفهمه . في العزلة الكبرى وجدنا نفسينا أخيراً . »

« ارفع يديك اللعينتين ! » صحت مخاطباً إله المروج .

انصاع لأمري ولكن الصديق الصغير تابع كلامه بهدوء أكبر : « لا طائل وراء التقرير . ما الذي تعرفه أيها الكائن الکھنوتی المسکین عن سر العب بين الرجل الأعلى والمرأة الأزلية ، عن بناء الروح لذاتها ؟ »

« هذا صحيح ، » قالت إميلي بغضب . « لم يكن من الممكن لك أبداً يا هاري أن تجعلني سعيدة . ابني سأعاملك كصديق ، ولكن كيف أستطيع أن أعطي نفسى لرجل يقوم بمثل هذه النكات السخيفة ؟ حين مثلت دور المهرج ساعة تناول الشاي ، تقرر مصيرك ، يجب أن أعامل على نحو جدي » : يجب أن أرى الالاتنائيات تتسع حولي حين أنهض . قد لا توافق أنت على ذلك ، ولكن هكذا أنا . في العزلة الكبرى ، وجدت نفسى أخيراً . »

صحت : « يا الفتاة التعيسة ! العزلة الكبرى ! يا للزوج من الدمى العاجزة ... »

بدأ الصديق الصغير يبتعد باميلي ، لكنني سمعتها تهمس قائلة : « انه لا يمكن لنا ياعزيزي أن نترك السلة لهاري بعد هذا الذي حدث ، وبساط أمري ، هل لديك مانع أن تحمله في اليد الأخرى ؟ »

وهكذا غادرا المكان ورميت أنا نفسي على الأرض بكل مظاهر اليأس .

«أ هو يبكي؟» قال إله المروج .

«إنه لا يبكي ،» أجبت الهضبة «عيناه جافتان كالحصى .»

جعلني معدبي أنظر إليه . «إبني أرى السعادة في أعماق قلبك ،» قال .

قلت بعناد : «لا بد أن لدى ينابيعي السرية .» ثم أعددت خطاب شجب انتقاديا ، ولكن من بين كل الكلمات التي كان من الممكن أن استعملها ، لم أقل سوى واحدة تبدأ بحرف «L» . *

ندَّتْ عنه صحية مبتهجة : «آه ، الآن أنت تنتميلينا حقاً . حتى نهاية حياتك ستتصبّل اللعنات حين تغضب وستضحك حين تكون سعيداً . الآن أضحك !»

خيم صمت كبير . الطبيعة يأسراها وقفـت تنتظر بينما كان راعي أبرشية يحاول أن يخبئه أفكاره ليس على الطبيعة فقط بل على نفسه أيضاً . فكرت بكبرياتي البربرية ، بلا أناينتي المحترارة ، بامييلي ، التي فقدتها لا لخطأ ارتكبته ، بالصديق الصغير العجم ، الذي في تلك اللحظة تماماً تعثر تحت وطأة سلة الشاي الثقيلة ، وهذا ما جعلني أتخاذ قراراً ، اذْ ضعكتْ .

في ذلك المساء ، سمعت للمرة الأولى المرتفعات الحوارية تغنى لبعضها البعض عبر الوديان ، كما يحدث لي الآن غالباً حين تكون الريح هادئة وحين يكون يوم هذه المرتفعات مريحاً . من غرفة مكتبي استطعت رؤية الله المروج يغمّره نور الشمس ، وهو يجلس أمام أجمة الزنان كما يجلس الرجل أمام بيته . وحين أتى الليل عرفت معرفة أكيدة ليس فقط أنه نائم بل أن الهضاب والغابات نائمة أيضاً . الجدول بالطبع لم ينم قط ، تماماً مثلما أنه لم يتجمد قط . حقاً ، إن ساعة الظلمة هي بالتأكيد ساعة المياه ، التي تكون إلى حد ما قد خنقـت طوال النهار على يد نبضات الأرض الكبيرة . هذا هو السبب في أنك تستطيع أن تشعر بالمياه وأن تسمعها من مسافة أبعد في الليل ، وفي أن الاستحمام بعد الغروب رائع جداً .

(*) في الأصل : حرف «D» أول حرف في الكلمة «Damn» (اللعنة) وسبب امتناع راعي الأبرشية عن ذكر الكلمة بوضوح هو أنها كلمة يفترض أن لا يتناولها الشخص المهذب .

لا تزال سعادة ذلك المساء الأول واضحة في ذاكرتي ، بالرغم من جميع السنوات السعيدة التي تلت . ابني أذكرها حين أرتقي منبرى – فالآن هناك دخل خاص لكتنيستى – وأنظر إلى خيرة الناس يجلسون تحتى على مقعد خلف مقعد ، كرماء وقانعين ، والى أسوأ الناس ، المزدحمين في الأجنحة ، والى المفنيين ذوي الأصوات العالية والسوالف الطويلة في الجوقة ، والى رجال الكنيسة والقيمين عليها الثقفين وأصابعهم تبعث بعثائبهم ، والى القندلقت الشامخ الذي يمنع المتأخرین من الدخول . وأذكرها أيضاً حين أجلس في السكن المريح المخصص لي كقسیس أعزب ، بين الخفوف التي صنعتها لي الشابات الطيبات ، وحاملات المصابيح السنديانية التي حفرها لي الشباب الطيبون ، ومجموعتي من أباريق الشاي المهدأة وشهادات التقدير المذهبة وجميع الهدایا الأخرى من الناس الذين يعتقدون أنني مددت لهم يد المساعدة ، والذين هم أنفسهم ساعدوني على الخروج من الوحل . ورغم أنني أحاول أن أنقل تلك السعادة للآخرين – مثلما أحاول أن أنقل كل شيء يبدو جيداً – ورغم أنني أنجح أحياناً ، لكنني لا أستطيع بالضبط أن أخبر أي شخص كيف حصلت على هذه السعادة . إذ لو أنني تفوهت بكلمة واحدة عن ذلك ، فإن حياتي الراهنة ، المرضية والمجدية جداً ، سوف تنتهي ، وستتركني رعيتي ، وهكذا فأنني بدلاً من أن أكون مصدر نفع لأبرشيتي ، سأجد نفسي عبئاً على الأمة . لذا فأنني أرغمت أن أستعمل بدلاً من المعالجة الشعرية والخطابية ، المناسبة جداً لهذا الموضوع ، والمنسجمة تماماً مع مهنتي – أن أستعمل الصيغة القصصية التافهة ، وأن أضللكم بالتصريح بأن هذه قصة قصيرة ، مناسبة للقراءة في القطار .

تنسيق

« لا تضربي ، » قالت الآنسة هادن . « وكل تعاقب للنغمات يجب أن يكون مثل عقد من اللآلئ . لكنه ليس كذلك ما السبب ؟
 « إلين ، أيتها البهيمة ، لقد عزفت النغمة الخاصة بي . »
 « لا ، لم أفعل . أنت التي عزفت نفمتى . »

« فاذن نفمة من هذه ؟ »

نظرت الآنسة هادن بين ضفيريتهما ، ثم قررت . « انها نفمة ملبددة . عودا الى الفواصل المزدوجة ، ولا تضربي . »

عادت الفتاتان ، ومرة أخرى تنازع خنصر يد ملبدد اليمين على الـ G. المتوسطة مع خنصر يد الن يسرى .

قالتا : لا يمكن عزفها . ان الخطأ هو خطأ الرجل الذي ألفها .

« يمكن عزفها بسهولة اذا لم تطيلي إلى هذا الحد يا الن ، » قالت الآنسة هادن .

دققت الساعة الرابعة . خرجت ملبدد وإن ، وتلتلهما روز وإنيد . عزفتا الثانية بشكل أسوأ من ملبدد ، ولكن ليس شيئاً مثل عزف وإن . في الرابعة والربع أتت مارغرت وجين . عزفتا بشكل أسوأ من روز وإن ، ولكن ليس شيئاً مثل عزف وإن . في الرابعة والنصف أتت دولوريس وثيوليت . عزفتا بشكل أسوأ من وإن . في الخامسة إلا ربع ذهبت الآنسة هادن لتناول الشاي مع المديرة ، التي شرحت سبب رغبتها في أن تتعلم التلميذات نفس الثانية . كان ذلك جزءاً من نظامها التنسيقي الجديد . فالمدرسة تناولت موضوعاً واحداً للعام بأكمله ، واحداً فقط - نابليون - وتوجب أن تكون كل الدراسات متعلقة بهذا الموضوع الواحد . وهكذا - إذا أغفلنا ذكر اللغة الفرنسية والتاريخ - كانت التلميذات في مادة الاستظهار يتعلمون قصائد ورذذورث السياسية ، وفي مادة الأدب يدرسن مقاطع من « العرب والسلم » ، وفي مادة الرسم يقلدن بعض أعمال ديفيد ، وفي التطريز يضممن أثواباً امبراطورية ، أما في الموسيقى - فانهن بالطبع كن يتمرن على سمفونية « البطولة » لبيهوفن ، والتي بُدئت (ولكن لم تكمل) على شرف الامبراطور . كان هناك عدد من المعلمات الأخريات يتناولن الشاي ، وقد عبرن عن مدى حبهن للتنسيق ، وكيف أنه نظام رائع ، فهو يجعل عملهن وكذلك عمل الفتاتين أكثر تشويقاً بكثير . لكن الآنسة هادن لم تتجاوب . اذ لم يكن هناك أي تنسيق في يومها ذاك ، ولم تستطع فهم السبب . كل ما عرفته هو أن الكبر بدأ يدب فيها وانها تعلم الموسيقى على نحو أسوأ فأسوأ ، وتساءلت كم من الوقت سيمضي قبل أن تكتشف المديرة هذا وتقليلها .

أثناء ذلك ، وفي مكان عال من السماء ، جلس بتهوفن ، وحوله من كل الأطراف جلس موظفوه ، مصطفين على غيوم أصفر حجماً . كان كل منهم يدون قيوداً في دفتر ، وكان الموظف الذي يحمل دفتره اسم « سمفونية البطولة » : وزعها على أربعة عازفين كارل مولر » يدون هذه القيود : « ٣٤٥ : ملدرد وإن ، بقيادة الآنسة هادن . ٤٠٠ : روز وإن ، بقيادة الآنسة هادن . ١٥٤ : مارغرت وجين ، بقيادة الآنسة هادن . ٣٣٠ : ٠٠٠ »

قاطعه بتهوفن يسأل : « من هي هذه الآنسة هادن ، الذي يتكرر اسمها مثل قرع الطبل ؟ »
« إنها تقوم بتفسير أعمالك منذ سنوات عديدة . »

« وجوتها ؟ »

« انهن فتيات من الطبقة المتوسطة العليا ، يعزفن (البطولة) باشرافها كل يوم طوال النهار . ان صوت السمفونية لا ينقطع أبداً . وهو ينساب خارجاً من النافذة مثل بخور لا ينفد ، ويُسمع في طرف الشارع . »
« هل يقمن بالعزف ببصيرة ؟ »

وبما أن بتهوفن أصم ، فقد تمكن الموظف من أن يجيب ، « ببصيرة عميقة جداً . لقد من وقت كانت إلن فيه أكثر بعداً عن روحك من الآخريات ، ولكن لم تعد الحال كذلك منذ وصول دولورس وفيلوت . »

« ألمتها الرفيقات الجدد . ابني أفهم ذلك . »
سكت الموظف .

« ابني أوفق ، » أضاف بتهوفن ، « وكدليل على موافقتي أمر أن تستمع الآنسة هادن وجوتها وكل من في بيتهن هذا المساء بالذات الى عزف مثالى لرباعيتي الـ A minor »

بينما كان يجري تدوين الأمر وهيئة الموظفين تتساءل عن كيفية تنفيذه ، جرى مشهد يفوق حتى هذا في الروعة في مكان آخر من السماء . هنا جلس نابليون ، يحيط به موظفوه ، الذين كان عددهم كبيراً الى حد أن العروش التي جلس عليها أكثرهم بعداً بدت لا تزيد حجماً عن سحاب النمر . وكانوا منهمكين في تدوين كل

■ منير صلاحي الأصبعي ■

ذكر لمستخدمهم يجري على الأرض ، وهي مهمة نظمهم بنفسه من أجلها . وكان يسأل بين كل بضع دقائق : « وما هي آخر تطوراتنا ؟ »

أجاب الموظف الذي يحمل دفتره عنوان « قصائد ورد ذورث التقديرية » : « ٥٠٠ ملدرد وإن روز وإند ومارغرت وجين ، جميعهن رددن قصيدة (ذات مرة كان الشرق الرائع في قبضتها) . وقد حاولت دولورس وفيولت ترديدها ، ولكنهما فشلتا . »

« في هذه القصيدة يمجد الشاعر غزوی لجمهورية البنديمية ، قال الامبراطور ، « وقد ارتج على دولورس وفيولت بسبب عظمة الموضوع من الطبيعي أن تفشل . والتطورات التالية ؟ »

قال موظف آخر : « ١٥٥ : ملدرد وإن روز وإند ومارغريت وجين يرسمن الرجل الأمامية اليسرى لكنبة پولين بوناپرت . بينما لا تزال دولورس وفيولت تحفظان القصيدة . »

قال نابليون : « يبدو لي أنني سمعت هذه الأسماء الساحرة من قبل . »

« إنها في دفتري أيضاً ، قال موظف ثالث . « قد تتذكر يا سيدي أنهن قبل حوالي ساعة عزفون سمفونية (البطولة) لبيهوفن ٠٠٠ . »

« التي كتبت على شرقى ، أكمل الامبراطور . « إنني أواقق . »

قال موظف رابع : « ٣٠٥ : باستثناء دولورس وفيولت اللتين عهد اليهما ببرى الأقلام ، تفني المجموعة بأكملها نشيد المارسيلىز . »

« هذا بالضبط ما كان ينقضنى ، صاح نابليون وهو ينهض وألقاً . »

« لدى هؤلاء الأوانس اندفاع نحو المجد * . إنني أمركمكافأة لهن ولبيتهن أن يشتراكن صباح الغد في انتصار أوسترلitz . » دون الأمر .

كان وقت التحضير المسائي في السابعة والنصف . أخلدت الفتيات إلى غرفتهن

(*) بالفرنسية في الأصل : Ces demoiselles ont un vrai élan vers la gloire

(المترجم)

والكابة تسيطر عليهن ، فقد وصل بهن الضجر من النظام الجديد الى حد البكاء . ولكن شيئاً رائعاً حدث . اذ مرت فرقة من الفرسان من أمام المدرسة ، تسبقها جوقة موسيقية ممتازة . طار عقل الفتيات من السرور . نهضن من مقاعدهن وغنين ورقصن وقفزن وصنعن أبواقاً من الورق واستعملن اللوح كطبلة . وقد أتيح لهن القيام بذلك لأن الآنسة هادن ، التي كان ينبغي أن تشرف عليهن ، تركت الغرفة قبل ذلك للعثور على شجرة عائلة ماري لويس ، فقد شددت معلمة التاريخ عليها أن تحضرها إلى غرفة التحضير كي يتاح للفتيات أن يتسلقنها ، لكنها كانت قد نسيت . « انتي لا أصلح لشيء على الاطلاق » ، فكرت الآنسة هادن ، بينما كانت تمد يدها لتناول الشجرة ، التي كانت موضوعة فوق أوراق أخرى تحت صدفة حصلت المديرة عليها من سينت هيلينا . « انتي غبية وتعبة ومسنة ، كم أنتي لو كنت ميتة » . وبينما هي تفكّر بهذا الشكل ، رفعت الصدفة إلى أذنها؛ كثيراً ما فعل والدها – الذي كان بحاراً – نفس الشيء معها حين كانت صغيرة . . .

سمعت صوت البحر ؛ في البداية كان صوت المد يهمس على الاستواءات الطينية ، أو يثرث وهو يرتطم بالحجارة ، أو صوت الموجة تزمبر زمرة طويلة ذات صدى وهي تصطدم بالصخور ، أو أصوات أواسط المعيط ، حيث تراكم المياه نفسها مشكلة جبالاً أو تنحرس عن نفسها مشكلة ودياناً ؛ أو حين يهبط الضباب وترتفع الأعمق وتهبط بلهف ؛ أو حين يكون الهواء عليلاً بشكل يجعل الأمواج الكبيرة والأمواج الصغيرة التي تعيش داخل الأمواج الكبيرة تفني جميعاً من الفرحة ، وترسل واحدتها إلى الأخرى قبلات من الزبد الأبيض . سمعت هذه الأصوات جميعها ، ولكن في النهاية سمعت البحر نفسه ، وعرفت أنها امتلكته إلى الأبد .

« آنسة هادن ! » قالت المديرة . « آنسة هادن ما السبب في أنك لا تقومين بالاشراف على الفتيات ؟ »

أبعدت الآنسة هادن الصدفة عن أذنها ، وواجهت مستخدِمتها بعزم متزايد . تابعت المديرة : « انتي أستطيع سماع صوت إن رغم أننا في الطرف الآخر من المبني . كدت أغلن أن هذا وقت حصة التدريب على الخطابة . من فضلك يا آنسة هادن ، ضعي مثلث الورق هذا في الحال وعودي إلى واجباتك . »

■ منير صلاحي الاصبخي ■

تناولت الصدفة من يد معلمة الموسيقى ، بنية وضعها على الرف المناسب . ولكن قوة التأثر بمثال الآخرين جعلها ترفعها إلى أذنها . وقد أصنفت هي أيضاً سمعت حقيق الأشجار في غابة . لم تكن آية غابة عرفتها قط من قبل ، لكن جميع الناس الذين تعرفهم كانوا يتجلبون فيها على ظهور الجياد ، وينادي بعضهم البعض باستعمال أبواق ناعمة الصوت . كان الوقت مساء ، وهم منهمكون بالصيد . بين الفينة والأخرى تحركت حيوانات محدثة حقيقة ، وفي احدى المرات سمعت صوت يقول « هالو و و ! » وتلت ذلك مطاردة ، ولكن على الغالب تجول أصدقاؤها على جيادهم بهدوء ، وكانت هي معهم ، يخترقون الغابة في جميع الاتجاهات وإلى الأبد .

وبينما كانت تستمع إلى هذا بা�حدى أذنيها ، كانت الآنسة هادن تتكلم على هذا النحو مخاطبة الأذن الأخرى :

« لن أعود إلى واجباتي . لقد كنت أهملها باستمرار منذ قدومي إلى هنا ، ولن يحدث أهماً جديداً أي فرق كبير . ابني لا أمتلك موهبة موسيقية . وقد خدعت التلميذات والأولياء وخدعتك . ليست لدى موهبة موسيقية ، لكنني أدعى ذلك للحصول على النقود . ابني لا أعرف ما سيحدث لي الآن ، ولكنني لم أعد قادرة على الادعاء . ابني أعطيك إنذاراً . » *

دهشت المديرة حين عرفت أن معلمة الموسيقى لديها لا تمتلك موهبة موسيقية ، فأصوات البيانو كانت مستمرة منذ سنوات عديدة مما جعلها تفترض أن كل شيء يجري على ما يرام . وفي الظروف العادية كانت ستجيب بصرامة قاسية ، إذ أنها سيدة مكتملة ، لكن هممة الغابة جعلتها تقول : « أوه يا آنسة هادن ، في غير هذا الوقت . لنبحث الموضوع غداً . والآن إذا سمحت أريد منك أن تستلقي في غرفة جلوسي بينما أستلم أنا التحضير بدلاً عنك ، إذ أن وجودي مع البنات يشعرني دائمًا بالراحة . »

(*) المقصد بالطبع أن الآنسة هادن هنا تعطي إنذاراً بأنها ستستقيل ، كما هو مفروض فيمن ينوي ترك عمله .

وهكذا استلقت الآنسة هادن ، وحين غلبها السبات عادت روح البحر اليها . وذهبت المديرة ، ورأسها معتلىء بهميمة النابات ، الى غرفة التحضير ، وسعلت ثلاث مرات قبل أن تفتح الباب . كانت جميع الفتيات على مقاعدهن ما عدا دولورس وفيولت ، وقد تظاهرت بأنها لم تنتبه إليهما . بعد فترة ذهبت لاحضار شجرة ماري لوينز ، التي كانت قد نسيتها ، وأثناء غيابها مرت فرقة الفرسان من جديد

في الصباح قالت الآنسة هادن : « لا أزال أود الاستقالة ، ولكن أتمنى لو أني انتظرت قبل أن أتعذر إليك . اذ لم يخبر غير عادي . قبل سنوات عديدة أنقذ والدي شخصاً من الفرق ، وقد توفي هذا الرجل قبل أيام ، وترك لي كوخاً على حافة البحر ، ومبليغاً من المال يساعدني على العيش فيه . لست بحاجة الى العمل بعد الآن ، ولذلك لو أني انتظرت حتى اليوم لأتمكن أن أكون أكثر لباقاً معك ، » وهذا أحمر وجهها من الخجل بعض الشيء ، « ومع نفسي . »

لكن المديرة شدت على كلتا يديها وقبلتها قائلة ، « أني سعيدة أنك لم تنتظري . ان ما قلته أمس هو كلمة الحقيقة ، دعوة واضحة من داخل الدغل ، وأتمنى لو أني أنا أيضاً » وتوقفت . « لكن الخطوة التالية هي اعطاء المدرسة عطلة يوم كامل . »

وهكذا استدعيت الفتيات ، وألقت المديرة خطاباً والآنسة هادن خطاباً آخر ، أعلنت فيه عنوان الكوخ الى الجميع ودعتهن لزيارتها فيه . ثم أرسلت روز الى محل المعجنات لاحضار حلويات وإند الى الخضرى لاحضار فواكه ، وملدره الى دكان المرطبات لاحضار عصير ليمون ، وجين الى اصطبلاج العياد لاحضار مكابح ، وركبن جميماً منطلقات خارج المدرسة مسافة هائلة داخل الريف ، ولعبن العاباً لا نظام فيها . اذا اختبأن جميماً ولم تقم أية منهن بالبحث ، وضربن كلهن الكرة ولم تردها أية منهن ، ولم تعرف أي واحدة في أي فريق هي ، ولم تحاول أية معلمة أن تخبرهن ، بل وكان من الممكن لعب لعبتين في نفس الوقت ، وأن تكون الواحدة كلاميس في احداها وبيتريان في الثانية . أما نظام التنسيق ، فإنه لم يذكر مطلقاً ، أو ذكر في مجال الهزة . مثلاً ، أفت إن أغنية ضده ، تقول :

بني العجوز السخيف
جلس على مهرته ،
يأكل من حلوي عيد الميلاد .
وغمس أصبعه
وأخرج خوخة
وقال : « يالي من صبي شاطر » ، *

ورددتها الفتيات الأصغر سنًا لمدة ثلاثة ساعات دون توقف .

في نهاية النهار استدعت المديرة الجميع إليها وإلى الآنسة هادن . وتحلقت حولها الوجوه التعبية السعيدة . كانت الشمس تغرب ، والغبار الذي أثاره النهار قد بدأ يهدى . قالت ، وهي تضحك بمسحة من العياء : « إذن يابنات لا يبدو وأنكن تعطين قيمة كبيرة لنظامي التنسيقي ؟ » .

أجابت الفتيات : « في الواقع كلا ! » « ليس كثيراً ! » وما شابه ذلك .
تابعت المديرة : « يجب علي أن أدللي باعتراف . فأنا أيضاً لست راضية عنه . في الواقع إنني أكرهه . ولكن اضطررت إلى تبنيه لأن هذه الأشياء لها أثر جيد على مجلس التربية » .

وهنا ضحكت جميع المعلمات والفتيات وهتفن ، ودولرس وف يول ، اللتان ظننا أن مجلس التربية هو لعبة جماعية جديدة ، ضحكتا أيضاً .

* هذه الأغنية هي تقليد لأغنية شائعة من أناشيد الأطفال تبدأ : « جاك هورنر الصغير / جلس في زاوية ، / يأكل من حلوي عيد الميلاد ٠٠٠ » والأسطر الباقية هي نفس المذكورة هنا . والمقصود بـ « بوني » هنا نابليون نفسه ، إذ أن الكلمة هي اختصار لبونابرت .
(المترجم)

قد يخطر فوراً للذهن الآن أن مفистوفوليس^{*} لم يغفل عن هذا الحادث المثير . ولدى سنج أول فرصة توجه إلى منصة القضاء وهو يحمل لفافة ضخمة كتب عليها « إنني أتهم ! »^{**} في منتصف الطريق إلى الأعلى قابل الملائكة رفائيل ، الذي سأله بأسلوب لبق إذا ما كان بإمكانه أن يقدم له آية مساعدة .

أجاب مفистوفوليس : « شكراً ، ليس هذه المرة . إن لدى قضية رابعة حقاً الآن . »

« قد يكون من الأنسب أن تطلعني عليها ، » اقترح الملائكة الكبير . « سيكون من المؤسف أن تتකد مشقة الطيران بلافائدة ، خاصة وقد سبب أیوب لك خيبة أمل كبيرة . »

« أوه ، ذلك كان أمراً مختلفاً . »

« ثم كانت قضية فاوست ، وقد كان الحكم النهائي فيها ضدك ، إذا كانت ذاكرتي صحيحة . »

« أوه ، كان ذلك أيضاً شيئاً مختلفاً . لا ، أنا متأكد هذه المرة . بإمكانني أن أثبت عقم العبرية . يعتقد الرجال العظام أن الناس يفهمونهم ، بينما الأمر ليس كذلك ، ويعتقد الناس أنهم يفهمونهم ، ولكن ليس هذا هو الواقع . »

« اذا كنت تستطيع أن تبرهن على ذلك ، فإن لديك قضية رابعة حقاً ، قال رفائيل . « إذ المفروض أن الكون يرتكز على التنسيق ، وكل المخلوقات تنsec حسب طاقاتها . »

« إسمع . التهمة الأولى : بتهوفن يصدر أمراً بأن تستمع إناث معينات إلى عزف لرباعيته ال A minor . فإذا يسمعن - بعضهن يسمعن جوقة عسكرية ، وأخريات يسمعن صدفة . التهمة الثانية : نابليون يصدر أمراً أن

(المترجم)

* الشيطان الذي باعه فاوست روحه في مسرحية مارلو .

★ بالفرنسية في الأصل : J'accuse

تشترك هؤلاء أنفسهن في انتصار أوسترلتر . والنتيجة - إرث ، يتبعه حفلة مدرسية . التهمة الثالثة : تعزف الاناث بتهوفن . وبما أنه أصم ، ويقوم على خدمته موظفون عديمو الأمانة ، فإنه يفترض أنهم يعزفونه ببصيرة . التهمة الرابعة : لتكوين انطباع حسن لدى مجلس التربية ، تدرس الاناث نابليون . ويدفع هو إلى الاعتقاد بأنهن يدرسنها بشكل صحيح . لدى نقاط أخرى ، ولكن هذه تكفي . إن العباقرة والناس العاديين لم يعملوا في تناسق ولا مرة واحدة منذ قتل قايبيل هايبيل . »

« والآن دعنا نستمع إلى قضيتك ، » قال رفائيل بعطف .

تلعثم مفистوفوليس قائلاً : « قضيتي ؟ هذه هي قضيتي . »

صاح الآخر : « يالك من شيطان بريء . يالك من روح مستقيمة رغم كونها جحيمية . عد إلى الأرض وتتجول من جديد . لقد قام هؤلاء الناس بالتنسيق يا مفистوفوليس . لقد قاموا بالتنسيق عبر المصادر المركزية للنغم والمجد . »



لادا غالينا
في سطور



البلغاري . من أشهر مؤلفاتها : « الاحلام غير مرئية بالرصاص » (حول أحداث تشيلي) و « رواية الوان البنابيع والبلور » وغيرها . تكتب للأطفال ، وللمسرح .

ولدت عام ١٩٣٤ في مدينة بورغاس على البحر الأسود وانتهت دراستها العليا في علم اللغات السلافية والاسبانية . وعملت محررة في الصحافة الأدبية ، ومستشارة فنية في « المسرح الساخر » .

لادا غالينا ، من أبرز الكتاب البلغار المعاصرين . كرست قصصها للمعاصرة والتناغم اللذين يطمح اليهما المرء ، في واقعه وفي احلامه . تعالج مواضيع متعددة ، ولكن لعلَّ احب هذه المواضيع ، التي غالباً ما تعود اليها ، هي العمل والعمل الخلاق . ورغم قِصر قصصها فانها تقدم دراسة بسيكولوجية لا تنفصل عن الفكرة الشعرية والصورة الفنية . متممة لتقالييد العالمية في الأدب

لادا عالينا

قصاصن

ترجمة عن البلغارية : ميخائيل عيد

دوائر السنين

قام التروولي باص بدورته الاخيرة قبل أن يأوي إلى مرآبه . الركاب القلة يهومون نعاسا على المقاعد . قاطعة التذاكر تحصي التذاكر وسط التروولي باص . يضرب النواخذ مطر يهطل مائلا . الدوائر وحيدة المركز تنداح على الزجاج الذي ينعكس عنه خيال لرأس امرأة شقراء . ارتعش الدكتور برايكوف دون ارادته منه وسمّر نظره على جانب وجهها الجلي ، الطري ، اللطيف كظل في الماء . ارتدت المرأة المجهولة مطرها ونزلت عند الموقف . أظلمت النافذة وعادت زجاجا عاديا مبللا .

تكلمت فتاتان سرحتا شعريهما تسرية منتفشة بشيء عن المرأة التي نزلت .
قالت احداهما :

— راقصة باليه ! لماذا توحى لك ؟ لها ركبستان ك ساعتي قياس الماء .
ضحكـتـ الـاخـرىـ بصـوتـ مرـتفـعـ . استـدارـ الدـكتـورـ بـراـيكـوفـ نـعـوهاـ وـنظرـ
الـيـهـماـ بـمـاـ يـشـبـهـ الـكـراـهـيـةـ . وـصـلـواـ إـلـىـ المـوقـفـ الـاخـيرـ . المـطـرـ هـنـاـ قـرـبـ الجـبـلـ أـقـلـ
غـزـارـةـ وـلـكـنـهـ أـشـدـ بـرـودـةـ . يـهـبـ هوـاءـ بـارـدـ عـبـرـ مـضـيقـ «ـفـلـادـايـ»ـ الجـبـلـ . يـسـيرـ الدـكتـورـ
براـيكـوفـ ، أـغـلـبـ الـاحـيـانـ يـعـرـيـتـهـ فـلـمـ يـعـتـدـ حـمـلـ المـظـلـةـ أوـ المـطـرـ . رـفـعـ يـاقـةـ
سـترـتـهـ وـاسـتـدارـ مـنـطـلـقاـ عـلـىـ طـرـيقـ الـفـيـلـاتـ . مـظـلـتـانـ مـبـلـلـتـانـ مـنـتـفـخـتـانـ تـغـفـيـانـ

وجهين التقطا على الرصيف الضيق وتصادمتا ، متصافحتين ، وافترقتا . فتاة متأخرة تسرع نحو سرادق شجرة جوز . قفزت هرة من المكان الجاف فاندفعت الفتاة لتعيد من طريقها . صفر فتى . استدار الدكتور برايكوف ولكن لم يعرفه . يظهر في هذه الفيلات التي على الاوستراد ، دائما ، المزيد من الناس الجدد . وقلة هم الذين يقيمون فيها بشكل دائم .

صار الطريق في الاعلى أكثر انعداما . انتهى المرء . تحت أضواء المصايبع الكهربائية الشاحبة النادرة تلتعم السقوف المبللة وأوراق العور الصفراء . اجتاز الطبيب الجسر الخشبي المقام فوق مسيل جاف نمت على جانبيه أشجار الاكاسيا ورأى نافذة غرفة النوم . انها مضاءة . زوجته لا تنتظره ، عادة ، حين يعود من مناوبة متأخرة . رالوكا ترفض حياة الليل التي تهرمنها فتدبر « المنبه » وتنام باكرا كقرؤبي بويانا .

نافذة ابنه معتمة . رأه الليلة البارحة يتسلق شجرة التفاح ويتسدل الى غرفته عبر الشرفة . توقف الدكتور برايكوف على الدرج ، ضخما ، يرتدي ملابس حسب الطراز العديث ، وخط الشيب شعره ، وراح ينظر باتجاه شجرة التفاح التي علق القمر بأغصانها . اعتصر ، فجأة ، حزن خاطف فزاده . تحرك الكلب واندفع نحوه . تضوّعت نباتات الغبازي الموطوعة بقوة . الحديقة الربحة المهملة غارقة في الرطوبة .

أشعل المصباح الكهربائي في المدخل فرأى أن السجادة الفارسية ملمومة كي لا تتفسخ بالوحول وقد بدت ، حيث كانت ، الالواح الخشبية المرقعة بدهانها القديم المعو . لم يكن عري المدخل الكامل مريحا وقد تكدرت فيه قطع الموبيليا القديمة ومقاعد ثقيلة وصنوف الزينات : شمعدانات ومزهريات وأمشاط .

سمع الدكتور برايكوف وقع خطى زوجته . خرجت الى المدخل متدرثة بمعطفها الليلي الكروزي اللون . جلست على أريكة ، سقط النور من المصباح على خفيها اللذين التوى مقدماهما الى الاعلى كالاحذية الآسيوية الغريبة . لقد اشتراهما خلال رحلة الى اسطنبول .

ـ هتفت اليك في العيادة ولم تكن هناك . ثم أخبروني انك بقيت في المستشفى .

ـ رجاني نيكولوف أن أنوب عنه في المناوبة .

ـ هكذا أنت تناوب عن أي كان ! لديك كل هذا العدد من المرضى ولا ترى من المفيد أن تأتي إليهم ! أنت رئيس قسم . لماذا يرغبك نيكولوف على أن تناوب عنه ؟

كان وجه زوجته في الفلل وللح قوسى حاجبيها المرتفعين والتجعيدات الطفيفة حول أنفها الدقيق ذي الفتحتين المستطيلتين جدا .

ـ وهل هذه مسألة هامة ! سينوب عنى في مرة قادمة .

نهضت رالوكا عن الأريكة . مشت قليلا ودققت بقدمها على السجادة برفق .

ـ ذهبت اليوم أيضا إلى الوزارة . بعد يومين الامتحان بالفرنسية . هذا لن أستطيع تقديمه بدلا منك . ستتسافر المجموعة في منتصف كانون الاول إذ يكون الطقس مناسبا جدا في غينيا . التوقف لمدة عشرة أيام في باريس .

ـ لماذا يتحتم علينا الذهاب إلى إفريقيا وخلال هذا الخريف . أنت تعلم أن من الصعب على التعود على التقلبات . سيكون الطقس مناسبا جدا ! تتكلم وكذلك مرشد سياحي .

ـ ذهب أصدقاؤك إلى ألمانيا بدون مرشد سياحي . واز فاتنا السهل يبقى لنا أن نعجب بالوغر .

تنهد الدكتور برايكوف متربما وتوجه إلى الطابق العلوي . لماذا يعودان إلى المشاكسة وفك خيوط العوار الذي يحفظه عن ظهر قلب . ستقول رالوكا في البداية : « لن أترك أولادي بدون لفة » وسيوضخ لها ، أن تجربة الطبيب في إفريقيا جديدة علينا . وسوف تصمت لأن همها الأول هو النقود من أجل الشقة . التفت قبل أن يدخل إلى غرفة عمله . رالوكا تلاحقه بنظراتها ، لا يزال وجهها متوتراً من تأثير الإهانة الصامتة . نهضت عن الأريكة وبسطت السجادة بعصبية

فوق الألواح المرقعة . إنها تشبه طفلاً وهي منحنية هكذا . أسف من أجلها ، ودلو يقول لها شيئاً جميلاً . لن تنسى رالوكا أبداً شقة السكن التي دمرتها القنابل والذئب ورثتها عن أبيها . إنها تعتبر دائماً لضيوفها وتذكر ما تبقى لهما حسب القانون من الشقة المهدمة . كسام العجدران الغشبي في غرفة عمله ، المصنوع من السنديان السلافي محضر تحت العجدران المتداعية ويصل إلى السقف المنخفض ويُثقل على الغرفة الصغيرة . برايكوف يفهم هموم زوجته وهو لا يفتاظ من توبيخها أياه . ولكنه لا يريد أن يفكر الآن في ذلك ، لأنه يعيش منذ شهر حياة أخرى ، وما الأشياء والناس من حوله سوى نقاط استناد مأولة .

ابنته نائمة على المتكأ في غرفة عمله . إنها تشبهه - كبيرة ، ذات ملامح مستديره وحركات بطيئة متعبة . يداها غير الطفوليتين بمقابلتها النامية من التدريب على البيانو تتركان أثراً على الوسادة . قرب الفراش منضدة صغيرة عليها زجاجات فيها كواشف كيميائية . هو لا يريد أن تنام الصغيرة في العيادة التي تحمل أنفاس المستشفى ، ولكن زوجته قد وزعت الغرف الصغيرة الثلاث ذات السقوف المائلة ! الفيلا لها ، وكانت الشقة لها . ما الذي يملكه هنا - الزجاجات التي فيها الكاشف والكتب ، أم هذه الرسوم الغرافيكية الثلاثة التي حملها معه إلى آخر العالم . الدكتور برايكوف أمامها أيضاً ، ليستشعر ارتعاش تلك اليد الصغيرة التي قطفتها من المدى الربح ، بقع دافئة من العبر الهندي المسحو ، خط دقيق يسيل على الورقة منحدراً من الغابة « بيلكاريت » . في وجه العجوز حيوية وطيبة ، وتسليم . هو يفهم لغة الأعشاب النافعة والطيور وخفايا أفكار الناس . « فتاة من الروذوب » هي ابنة تلك المرأة الصغيرة التي ترتدي السواد وتحييك السجاجيد والبساط ذات الشراشيب . أصابع الطبيب تمس في أغلب الأحيان العظام الدقيقة في الجبين الوضاء . يشبع في نظرة الروذوبية القاتمة خوف حقيقي . الرسم فج ومعبر . من قصور بودابست القديمة . يذكر بشكل آسر بعربات البرابرة وبالسماء التي لا تنتهي . الدانوب يمتد في خط وحيد أسود ويتنفس ويرتعش بالاضواء المنعكسة .

استدار الدكتور برايكوف . زوجته واقفة على العتبة بخفيهما اللذين اشتراهما

من اسطمبول وبمعطفها الليلي الكرزي اللون . إنها تبتسم باقتصاب شرير .
ـ ألا تمكث في صوفيا حباً بفن التصوير ؟ لقد شددت الاقفال ياعزيزي !
ـ أنت تريدين مني النقود ، طوال حياتك لم تريدي سواها . ستثالينها .

صفقت رالوكا الباب فأجللت الفتاة النائمة واضطربت . تقدم الدكتور برايكوف على رؤوس أصحابه وسوى غطاءها . جلس الى المكتب وفتح دون تبصر « العلاج في المشافي » ، حاول التركيز . أمن المكن أن تعرف وأن تسكت ؟ بدا ذلك غير ممكן في دنيا مشاعره المكثفة كما هو غير ممكן أن تكون العين بلا حساسية . من برايكوف بيده على وجهه وكأنه يريد أن يمحو شيئاً عنه . نظر مرة أخرى الى المرأة الروذوبية المرسومة بطباصير حجرية والى ابنتها ذات السنوات التسع . ثمة شيء في وجهيهما ، شامل ، وطري ونقي .

سأقول لها . وصلت الامور الى حد المكاشفة . عشنا معاً تسعه عشر عاماً . عليها أن تفهمني ، أن تحاول فهمي . أنا بحاجة الى الوقت لاعيش ، لافكر .
تفلت القمر من أغصان شجرة التفاح وأنار غرفة النوم عبر النافذة .
رالوكا غافية . يدها ممسكة بالقطاء ذي الوبر قرب كتفيها . حجر الفيروز الكبير في خاتمتها يومض بشعوب . « لا تريد أن تعرف شيئاً » – قالها ورغم لأول مرة في أن يدنو ويوقفها ، أن يسحب الغطاء الدافئ عن كتفيها . انه ينام في الطرف الضليل في زاوية المتكا ، وكأنه يعرض على ألا يمس زوجته .

أخرج في الصباح الباكر سيارته من المرآب . الضباب ينسحب على الشجيرات البليلة . الشوارع لاتزال مقفرة . صادف على الطريق أول ياسات نقل العاملين في المناجم وفي المصانع التعدينية . حول المركب الى القوة الثالثة . هداً روعمه صوت المعرك الرتيب المأثور . لم يسمعه أحد في المنزل حين أقلع . « هذا أفضل » – فكر برايكوف – الرجال يرفضون كل شيء في مثل هذه الحال . إنها لعماقة لزوجته أنه يحب امرأة أخرى ؟ رالوكا على صواب . هذا مضحك ومهين . هي سريعة رد الفعل ولديها دائماً جواب جاهز ، أما الآن فهي لا تريد أن تعرف شيئاً . اذاك اعتداد أم تلك وسيلة للدفاع الذاتي ؟

كانت رالوكا لا تزال طالبة حين تزوجت منه ، هو الطبيب الشاب في مستشفى والدها الخاص . الدكتور دارغان نيديف له نفس الانف الدقيق المعدود الذي يتسم دون خطأ الناس والاحاديث . لم يخطيء حين تقبل في العمل لديه ، الفتى الصموط المتماسك الذي لا يرتدي سوى بدلة واحدة لائقة ويحمل شهادة بدرجة ممتاز تحمل توقيع البروفسور كولفت من برلين . كان الطبيب الشاب يعمل طوال عشرين ساعة في المستشفى وصار يوحى الاحترام للمرضى . أخذ دارغان نيديف ، مرة ، المروسين في سيارته « الفورد » السوداء في نزهة قصيرة . وقبل أن يصلوا إلى بانكيه أشار بيده إلى العقل : « لو أنك تدق هنا وتدا يحمل لافتة لتدفقت النقود ! » وتدفقت النقود ، سيل غير مضمون من أوراق البنكنوت المدعوكه في أكياس ومناديل ، ومن سندات عريضة كالدفاتر . ونجح دارغان في تحويل بعض هذه الأوراق إلى سجاجيد ولوحات فنية ومنازل . شيد خلال العرب « فيلا » في بويانا ولكن الأعوام كانت قد تحولت فخرج البناء رديئاً وغالى التكاليف .

* * *

أشجار العور على جنبي الطريق الاسفلتي تشبه شموعاً صفراء كبيرة . الصباح في حقول بلوفديف مشمس وبارد . في البساتين قرب القرى تجمع النساء البطاطا . لم يعرن أية التفاتة إلى السيارة التي تتجاوزهن مسرعة . ما الغرابة - الموسكيفيتش ! « ثمة العشرات من الموسكيفيتش الرمادية الضاربة إلى الزرقة والحراء - الزنبقية في هذه القرى الفنية .

قال ابنه مرة : « أصبحت سيارتنا طرزاً قروياً » فأجابه « حين تصبح ذا دخل ، من عملك ، اشتري الطراز الذي يناسبك ! » وتدخلت رالوكا : « اشتري المهندس نيكولوف سيارة أوبل من إيطاليا ، في طريق عودته من تونس بـ ألف وخمسمئة دولار . »

البع عليها حين تزوجاً كي تكمل دراستها وتعتاش الامتحانات الرسمية . وحين كبر دارغو اقترح عليها مراراً أن تشرع في العمل « أنت طيبة ، فهل نسيت ذلك مؤخراً ! » ورفضت رالوكا : « لدينا طفل ولن أتركه بين أيدي الخادمات فيمر

عبر قفار القرى . » ومن ثم ولدت ماريانا . وأعلن عن الامتحان الاختباري ولم تتقدم رالوكا اليه فقدت الحق في ممارسة اختصاصها . قابلت ذلك ، دون مبالاة ، كأنه بلاغ اداري لا نزوم له . ولقد سمعها ذات مرة تقول للبستانى الذي يأتي في الربيع والخريف ليشذب حوش منزلهم : « احمل شهادة عليا ولم أعمل يوما واحدا . » تعتنى رالوكا صباحا بالبيت وتحتخد هاتفيها الى صديقاتها وتتام بعد الظهر وتعزف على البيانو . تشتري كتابا حول تاريخ الفن والموسيقا والبومات رسوم وهي تستطيع توجيه الحديث نحو آخر كتاب قرأته . وهذا يترك تأشيرا على زملائه الذين يعملون صباحا في المشافي والمستوصفات وبعد الظهر في عياداتهم الخاصة ويقرأون بين مناوبتين بعض الكتب الطبية أو المجلات . يوما السبت والاحد لديهم ضيوف دائما . وفي اي وقت زرتهم ، بعد نضج ثمار التوت أو خلال شهر أيار ، وحين يحتشد الجميع على الجبل فانك لن تجد مكانا تجلس فيه على شرفتهم . رالوكا لا تريد أبدا أن يظلا وحيدين . إنها بحاجة الى تيارات طاقة حيوية من الاعجاب الانساني ، لتشحن حدة ذهنها وتعلن عن ثقافتها . . . السفر الى الخارج بمثابة فريضة لا محيد عنها في عائلة الدكتور دراغان نيديف . كانت للدكتور العجوز مبادئه « يتم تعلم اللغة في البلاد التي يتكلمونها فيها . » ولقد أخذ رالوكا الى انكلترا مذ كانت في المدرسة الثانوية . أما هو فلديه الكثير من الصلات خارج العدود ، يكتب الرسائل لاصدقائه وللمعاهد الطبية . ويستلم أغلب الاحيان هدايا ويرسل هدايا ، ويؤدي خدمات للذين يتوقع منهم شيئا . والماكر يعرف ، دائما ، الاماكن التي يكون الشراء منها أكثر نفعا ، حتى ما يتعلق بالادوات المنزلية كالمرشة التي تستخدم في صنع العلوى او مصفاة القهوة . وأول خطوة لraloka نحو الغربة كانت رحلة لبلقان توريست عبر الأبيض المتوسط . ثم رتبت أمر سفرهما لمدة عامين الى غينيا . لم تكن خططها تثيره . ولعياته الآن مغزى آخر يخضع له كل شيء .

* * *

لهث المعرك وطلقق بشكل مشبوه . نظر الدكتور برايكوف الى لوحة العدادات فوجد أن السهم الذي يشير الى الزيت قد توقف بثبات على الصفر . ثمة

مسيبة كبيرة كانت بانتظاره بعد أن قطع عشرات المئات من الامتار ذاهلاً . أوقف السيارة في ظل مهلل لشجرة خوخ غبراء . تختبئ على أغصانها العالية ثمار كهرمانية ناضجة . فتش في مكان الحقائب من مؤخرة السيارة عن علبة الزيت الاحتياطية وسكبها في خزان الزيت . اقتربت منه سيارة « سكودا » زرقاء تجلس أمام مقودها امرأة شابة سوداء الشعر طولته وتسافر وحيدة . خفت السير للوقوف . لم يلتفت الدكتور برايكوف ليقبل المساعدة . اندفعت المجهولة بحدة . « اندفاع نسوي » وابتسم الطبيب .

اقتفت « الموسكفيتش » آثار السكودا الزرقاء الطيرية التي لاحت عند منعطف - أو اثنين ثم اختفت . « لا أسف لمسافة طويلة بالسكودا » يقولون أن هيكلها كثير الارتجاج . ذهبت تيفانا وحيدة بسكودا بهذه إلى ألمانيا . تيفانا لا تخشى الارتجاج كثيراً .

تيفانا هي ابنة عم زوجته . وهما متشابهتان حتى لكانهما أختان - قصيرتان نشيستان بأقواس حواجب مرتفعة وبالأنفين المميزين لنوعهما بفتحاتيهما المتطاولة . وهي عاملة مختبر في مشفى المنطقة ولديها نقود مما ورثته من أملاك . وهي تفضل الاهتمام بالأمور المسلية على أن تصبح عجوزاً قروية تحمل أثراً . تعرفت هذه السنة على « الرمال الذهبية » إلى العم السمح الميونيخي الممتليء والتفت حوله كدائمة ساحلية لدنة . دعته إلى ضيافتها في صوفيا في فيلاها وجعلته خطيباً لها . النمساوي يقول بالبلغارية « نهارك سعيد » و « بصحتكم » ويدخن السيجار ويخفي كرسه تحت طرف قميصه الصيفي المرخي « لقد نتفوا المسكين في مكتب تبديل النقود . ليس بخيلاً . هذه النوعية من الرجال تشنن جيداً . كم أنفق من النقود في « استوريما » و « السمسكة الذهبية ! » أرانى مرة صوراً لمنزله ، أعجبتني ، ولئن وجدت ما لا يقيده فسوف أعود . سأرى أوروبياً ، رحلة شهر عسل عامه إلى سويسرا » ظن برايكوف أن هذا مجرد سخرية ومنزاج مبتذل ، ولكنها سرعان ما استلما دعوة إلى شرف القران . كانت تيفانا في صالة « بلغاريا الحمراء » تعبّر عن سرورها بأن ترشق زوجها بملاحظات تهكمية بالبلغارية وتترجمها له يعكس معناها . سافر العريس بالطائرة وتبعته تيفانا بعد شهر بسيارتها وبخمس حقائب كبيرة . جاءت قبل سفرها إلى

بويانا فاعطتها رالوكا المازر الموروثة عن الجدة تيوفانا ، وبعض الرقع والوسائل التي أهدتها له قرويو دوبروجا « سيكون هذا الفنكلور جذابا في ميونيخ » قالت ذلك تيوفانا ، مثمنة ، وأخذت الكل . عبات سيارتها وانطلقت وحيدة عبر ثلاث دول لتحط في الرابعة .

« كان أقل السفر كلفة ، في زمني ، بالنسبة للطلبة هو الذي يتم بالسفينة عبر الدانوب حتى فيينا ومن هناك بالقطار حتى برلين . ترى هل سلمت من العرب خمارات التبرول على الحدود النمساوية - الالمانية ؟ أشربت هناكنبيذا مقبضا أم أن أحدا حكى لي عن ذلك ؟ لقد تغير العالم وعليك أن تطير معه حتى لا تتعرض لصدمة تناقضات قصوره الذاتي . تيوفانا واليمامتان الليلكيتان على مئزr الجدة تيوفانا ٠٠٠ شيشان متسكن مع المقوود اللدائي والدروب تؤدي إلى القفر » .

طارت ورقة جافة العروق وحطت على أعلى زجاج السيارة الامامي ثم التصقت بالماسحتين المتوقفتين عن العركة . أنها أشبه بأثر يد طفل على رسالة . ابتسם الدكتور برايكوف ثم أطلق الماسحتين سريعا . طارت الورقة . راحت تضرب النافذة كراحة يد صغيرة تريد الدخول .

ذاب جليد الزجاج بعرارة الاصابع . ظهرت أولا راحة يد طفل ثم تلتها عظام جافة دقيقة شاحبة من القر . وصوصت عينا القروي من القسم العلوي من النافذة حيث رق طلاء الصقيع وكانت تتوهج انعكاسات اليوم الشتوي الوردية والزرقاء .

طرق الفلاح على استعياء في البداية ، ثم يمزيد من الاصرار . يد الطفل تزن ايقاع تنامي القلق . وتصاعد ابتهال أصم .

قالت الممرضة :

- لماذا يدق هذان ! الا يقرآن اللائحة التي تحدد وقت الدوام ، ٠٠٠ وكانت تنورتها الصوفية تكشف عن ركبتين متينتين وساقين مليئتين مستويتين . تمطى الجراح فاسف وألقى نظرة خاطفة على أوراق آخرتو .
- ليذهبا إلى عيادة الرئيس . فكره مبدع . المستوصف يفتح حين ينطلق

الباسن . لو لم نكن معاً في هذه الناحية النائية لكان علىَّ أنا الآخر أن أضع لافتة .

لعبة الورق « بريديج بيلوت » بعد الظهر في مضافة (ستارا بلانيينا العتيدة) وبريديج بيلوت في الليالي الطوال . . . أكواخ الثلج الزرقاء ، الملل وساق رجل المرضة ، أكبر « رأس بطاطا » . كبير الأطباء من أبناء المنطقة ويعرف شفنه ، تحل أمام بيته عربات ديلورمان كما لو أنها أمام نزل .

الفلاح الذي يدق ' ويد الطفل التي تذيب الجليد ذكراته رسائل رالوكا . كانت تطبع عليها يد دراغو ذي السنوات الأربع . كانت العرب قد انتهت ولم يكن قد سرح بعد . أنها التعبئة المدنية . هي ليست على الجبهة في يوغوسلافيا ولا في هنغاريا . الدكتور دراغان نيديف لم يعد لديه مستشفى خاص ولكن كلمته لم تزل ذات وزن هنا وهناك .

أراد أن يفتح الباب ولكنه واجه نظرات قاسيق وآخوتو الساخرة . وبقيت في اليد الآس والمعجز و البنت .

ذهب القروي وطفله .

ذلك الدكتور برايكوف عينيه براحة كفه وكأنه يريد أن يزيع غبارا . الأرض البور المعروقة وأعقاب الحصيد تنبسط مناسبة وتطير نحو سلسلة الجبال الزرقاء عند الأفق .

« سواء أكل الإنسان بملعقة من ذهب أو بملعقة من خشب ، فإن ما ينقصه كثير حين ينقصه الحب والوفاق » متى سمع هذه الكلمات - أثناء طفولته وهو يحمل حقيبة الراعي أم بعد أن نال الشهادة العليا وعاد إلى بلغاريا ، إلى هذه القرية الصغيرة ، إلى العد والعدة حيث يضعون ، صباحا ، على المنضدة الصغيرة رغيفاً كبيراً كالشمس وقد كتب على شوك الطعام « هنيئاً ؟ » .

انه يعود إلى جذور حياته ، أفكاره هادئة وناضجة بهذه السهوب والحقول التي جنت غلالها . رغب في أن يمضي بلائحة حساب مصفاة إلى حبه المتأخر واليد الصغيرة الصلبة التي تحمل أصابعها آثار الفرافيت والألوان لتنشر بذوراً معافاة على أيامه الغابرية . بلغ الدكتور برايكوف حدود السنوات التي يزيل فيها

التعب الانفجارات المخيفة وتترك فيها السكينة أثرها الواضح على الانسان . هشم العب مشاعره الفامضة وهو منذ الربع رهن شرود مقلق وهانئ لا يستطيع التغلب عليه ولا يريده ذلك . انه يعرض على هذا الشعور وكأنه هبة نادرة لا يمكن لاي كان أن ينالها . يلتمع أحيانا في نظراته وفي تفكيره المنطوق ويتحقق بريق نعماه الغفي . جعله فرحة يرفض الزهو بالطامع والاهداف الفضيلة أليس الامر سوء ، أكانت الملعقة من ذهب أم من خشب - حين يخسر حبه ؟

كنت طيبا معها في ساعات الشدة . وظهرت مذ كنا في المستشفى ميل كل منا نحو الآخر في تلك اللمسات الوجل . أردنا أن ننتقل إلى الحياة العادية . لم تكن قد رأتني خارج جدران المستشفى . ما الذي سيؤثر فيها حينئذ - هي بيبي كطبيب أم شيء آخر ؟ أستطيع أن تعرف ما الذي يثير اعجاب النساء ؟

كانت تنام على السرير الاول قرب الباب - نعيلة دققة الملامح . خطأ حاجبيها سوداوان كثيفان ، تضفي ظلال نظرتها الزرقاء طابع الجد على وجهها . شفتاها الطريتان المكتنزتان تحتفظان بلون شبابهما المورد لأنها لم تكن تصبغهما بأحمر الشفاه . سُجلت في لائحة المستشفى باسم نيفينا ايقانوفا وليس رادوييفا . ولن يخطر لأحد أن هذه هي الفنانة نيفينا رادوييفا . كانت قلقة ، صمودا ، تكلم الأطباء باقتضاب . كان المستشفى مكتظاً بسبب جائحة « الكريب » وقد وضعت أسرة في المرات . كانت ستمضي دون أن يعرفها أحد بين تيار المرضى لو لم يسأل عنها مخرج الأفلام الكرتونية العاج خريستو الذي كان ضيفهم ذات أحد في الفيلا . لقد أجاب ذاهلا بأنها هي الفنانة بتنفسها وسوف يعتني بها . خطرت في ذهنه المرأة المزعجة التي تنام في الغرفة الخامسة ذاتها . . . انها تسعى لجذب انتباه الأطباء وتتعب الجميع بنزواتها . وتردد : الفن ، الفن . . . ثم عرف فيما بعد أنها ممثلة في المسرح الموسيقي .

دخل الغرفة الخامسة عند الظهر فجأة وقد فات وقت الزيارة منذ زمن وشرع المرضى يتمشون في المرات بحرية . كانت رادوييفا قد وضعت ورقة تحت مزهرية فيها بذور ، تناول الورقة دون تعرّج وقلبتها . كانت مخططة لوحة تبدو فيها ناظرة المرضى الاخت مارا وقد أهوت بمكانتها الكبيرة ونم وجهها

الصارم عن الاحتقار الكامل لهذا العالم الذي لا تعرف فيه سوى تكريم الكناسة .
 - دراسة جميلة - قالها وأعاد اللوحة الى فوق المنضدة ١٠ فلسفة المكتبة
 - وأردف فجأة - في بيتي العديد من اللوحات .

- انه لشريح حقيقي . أنتم الاطباء تعجبون اعمالا عذبة كهذه ٠ ٠ ٠

ابتسم دون أن يمس قولها شعوره . كيف ستهينه مثل هذه الفتاة ذات العينين القاتمتين والفهم الموبوء العذب ٠ ٠ ٠

- سيسرني أن ترى لوحاتي وأن أسمع رأي فنانة بارزة .

امسك يدها ليحصي نبضها . نظرت الى عينيه تماما كما يفعل الاطفال .
 أذهلتني استقامة نظرتها . أحس اضطرابا خفيا .

منذ ذلك الحين صار يزورها كل يوم ويعرف من بسمتها أنها تنتظره .
 حصل على يومي استراحة ، وحين عاد الى المستشفى لم يجدوها في الغرفة الخامسة .
 صرفها الطبيب المعالج . أحس بشيء من الوحشة .

قال البروفسور البرليني كوفيتس لطلابه : يقتضي شرف مهنة الطب منا أن ننسى في العيادة وفي المستشفى أن مرضاً إمرأة . ان اقتناعه بهذا منذ شبابه ، والعائلة التي ملأت ساعات فراغه وطبع رالوكا المهيمن قد أزاحت النساء من طريقه . انه يغفي سماحته ببعض النكات الطبية المكشوفة أمام الضيوف في الفيلا أو بحديث تافه مع جماعة الرجال بين لعبتي ورق .

. التقى للمرة الثانية في فيلا المهندس المعماري نيكولوف . كان ذلك في اواخر نيسان ، اذ يندلع حريق الكلوروفيل الاخضر فلا يبقى ما هو أبيض سوى «القمة السوداء» التي لم تبلغها شعلة بعد . كان الهواء رائعاً رطباً وعدباً كما في النبوع . انفصلت نيفينا عن الضيوف لتتحدث اليه . كانت ترتدي بدلة رمادية فاتحة ، اللون الاكثر لياقة للنساء الشقراءات . دعاها لأن يوصلها بسيارته الى منزلها ، وكأنه يدعوها قبل كل شيء ليسيرا معاً . وافت نيفينا بصمت . واتخذ الطريق المعتم نحو «أوفيليتى» .

شعرها غزير حي ، يعبق برائحة حقل لفحته الشمس . وعرف فيما بعد أنه يعبق برائحة البابونج .. وداعب شعرها وجهه المتقد الهانئ .

المطعم الصغير في طرف المدينة ، وهو عبارة عن مشرب عائلي للبيروة . لا يقدم وجبات الطعام الا مساء . هو يعرف العديد من المطاعم الجيدة في المدينة . ولكن ، ثمة هناك العديد من الاصدقاء والزملاء وهو لا يريد أن يتلقى بأحد منهم فيضيع وقته . كانت الطاولات في الحديقة المكشوفة خالية وبدون أغطية . يهوم في الصالة عجوزان . توقع الدكتور برايكوف الا يجد سوى السردين للغداء ، ولكن الخادم فرش بمهارة غطاء نظيفا على الطاولة وقدم وجبة ريفية كأنما هي لوليمة . دفع الحساب بسخاء وجلس من جديد خلف المقود .

ذهب مع نيفينا صيفا في رحلات . « عدینی انک لن ترسمی وانک ستبقین لي طوال الوقت ! » « يا الهی ! ألا ترى أن لا شيء يشغلني سوى أن أنتظر لأتسلل وألتقي بك . عاشقان کلاسيكيان وحديقة وقمر . »

كانت رالوكا في فارنا ، في « تراكا » تذهب كل صيف لتصطاف مع الطفلين في ملحق صغير قرب فيلا والدها التي هي الآن دار استراحة للمعلمين . من يعرف كيف نجحت في الاحتفاظ بالملحق . وهي تقطف العنب من كرم الفيلا بموجب حق « ملكية » المزرعة .

نيفينا تعد الطعام للرحلات . فوجيء بذلك لأول مرة . زوجته تبحث دوما عن مطعم « أنت محببة وطبيعية كبنات الريف - خاطب نيفينا وهي تقطع الخبز المصور في قطعة من القماش - وأنا سأظل إنسانا من الريف ما حبيت . وهذه المناعة متبقية لدى منذ قادتي أمي وأنا طفل إلى زيارة خالتى في صوفيا » .
قالت نيفينا .

- هل تعرف ؟ ابني لم أحب الأطباء أبدا . اعتنت بي جدتي ، هناك أفضل من عند أبي الثاني . لم يضربني أحد ولم يدللني أحد .. كانت لي في المدرسة الاعدادية زميلة تدعى كيتى ، ابنة طبيب . وكانت لها أكبر « لافتة » ، خلال تلك السنوات ، في تلك المدينة الصغيرة ، تطا أولها فترى آخرها . « هل

نقرن العربات أمام بيت هذا الطبيب وكأنها في خان؟ « لا أتذكر ذلك ، ولكنني طوال حياتي ، وخلال أشد الدورات الدراسية أهمية ، لم أخض نضالا جبا بالفغر كالذي خضته حينذاك مع كيتي . ونجحت مرة في التغلب على . أتتذكر ربيع عام ألف وتسعمئة وخمسة وأربعين ، حين سقط الثلج في يوم عيد القديس جاورجيوس ؟ لبست فستانًا جديداً في تظاهرة كيريل وميتوسي ، خلفته لي ابنة عمى وخرجت مزهوة إلى باحة الاعدادية . تفحصتني كيتي وأعلنت أمام الجميع : « لدى خادمتنا فستان من هذا القماش ، ولكن فستانها أكثر جدة من هذا » .

لفت انتباهه ، أكثر ما لفته ، حين تعرف على نيفينا رادويها ، عدم تصعنها وصراحتها وتحررها الداخلي الذي به تحاسب نفسها والناس . « رالوكا لا ترتدي فستانًا قد يلما لآخر - فكر - ولن تقبل بذلك أبداً » وهي تربى أولاده كما تربت هي في بيت حيث لا تستطيع العين الغريبة أن تستشف نصف الحقيقة بدلاً من الحقيقة ، أو المنفعة بدلاً من الاستقامة . كان يرغب باستقامة واحلاص في أن يعلم زوجته بعلاقته مع الفنانة ، ولكن لم تكن لديه القدرة على ذلك ولم يكن قادراً على التفكير بالطلاق والافتراء عن أطفاله . انه ينتظر الايام القادمة لتحمل اليه قراراً . كان واثقاً دائماً من أنه لا يرتكب عملاً مشيناً ، ومن أن له الحق في هذا العب . هو يحب نيفينا ويرغب بها رغبته بأولاده ويريد أن يعرف المزيد عن دقائق حياتها دون أن يثير ذلك غيره . . . تخيل كيف ذهبت إلى المدرسة وحيدة دون شريطة تربطها في شعرها يد أم ، وكيف اجتازت الامتحانات دون أن يابه أحد لنجاحها ، وكيف سافرت وحيدة إلى المصح وحمل الهواء المندفع كلماتها : « سوف أحيا ! »

ذهبا إلى « أوفيلتي » في « بوليانا » قبل ذهابها إلى الساحل لترسم . ثمة ايكة إلى الأسفل من الصغور القائمة عند النهر . من من حولهما خطابان ، أكبرهما يعلم الأصغر : لا يجوز قطعها الآن . النسغ لم يتجمع بعد في الجذور « توقفت نيفينا قرب شجرة قطعت حديثاً . تتبعها خط دوائر السنين المتدرج . سألهما مبتسمـاً :

ـ ما هذا ؟ أحفر في الخشب أم في المعدن أم تراه تطريزاً بالابر ؟

أمسكت نيفينا القرمة الواسعة وأسندت وجهها إلى القشر الخشن .
- نقوش النسخ خطوط للعب والكراهية . نهرم من حب واحد أو من
كراهية واحدة . حين تعبني ستهرم كهذه الشجرة .

كان يصعب عليه أحياناً أن يتبع انعطافات خيالها ، والمسارب والصلات
التي تكونها فجأة بعد طفولي ... صعب أن تجد حديثاً كعديتها - ودوداً ،
قلقاً ، تمثيلياً ... في المستشفى وفي بيته تدور أحاديث للاشياء فيها قيمة واحدة ،
أما التيقن ، والعقل المتشكّل فلهمما الاحترام .

جلس قرب الشجرة المرتمية . كانت قشرتها ساخنة تفوح منها رائحة صمع
الصنوبر . أشار إلى أكثر خطوط الجذعوضوها :

- رسمت دائرة سنين كهذه في حياتي لن يمحوها أي شيء .
ابتسمت علينا نيفينا فقط . احتضنها وسألها بهدوء زائد :
- أتریدين العيش معـي ؟ ... إلى الأبد .
- ولكنني معك ، دائماً معك ... كان آخر ما أفكـر به قبل النوم هو عملي.
أما الآن فأفكـر بك . قليلون هـم الناس الذين كانوا طيبـين معـي مثلـك . لا تقل لي
المزيد . أعلم أن الامر صعب عليك .

لا تـريد منه شيئاً ، ولم تـلمـع بأـي قـرار . أـخـافـه تـغـير مـزـاجـها وثـباتـها اللـذـان
ينبعـان من استقلـالـيتـها . أـحسـ أنه يـنـزلـقـ ، يـغـرقـ في عـالـمهـ ، الذـي دـخـلهـ كـمـاـهـ .

أوقفـ الدـكتـور بـراـيكـوفـ السيـارـةـ عندـ مـفترـقـ الطـرـيقـ الرـئـيـسـيـةـ التيـ توـدـيـ إلىـ
الـفـنـدقـ . الـهـوـاءـ الذـيـ يـهـبـ منـ نـاحـيـةـ الـبـحـرـ يـحـمـلـ آخـرـ الـأـورـاقـ الـبـلـيـلـةـ منـ الـجـبـالـ
وـيـنـشـرـهاـ عـلـىـ الـبـلـاجـاتـ الـمـقـرـوـرـةـ . الـفـنـدقـ بـارـدـ وـمـمـلـ كـالـشـارـعـ الذـيـ عـلـىـ الشـاطـئـ .
ثـمـ الـكـثـيرـ مـنـ الـفـرـفـ الغـالـيـةـ . يـحـلـ هـنـاـ الـآنـ هـؤـلـاءـ الذـينـ هـمـ فـيـ مـهـمـةـ أوـ الـسـافـرـونـ
الـعـابـرـونـ . الـغـدـمـ يـجـرـونـ اـحـصـاءـاتـ طـوـيـلـةـ مـفـصـلـةـ ، يـعـصـونـ قـطـعـ الـبـيـاضـ
وـالـكـؤـوسـ وـالـسـجـاجـيدـ . يـدـونـونـ الـواـحـ الزـجاـجـ الـمـحـطـمـةـ . عـامـلـاتـ التـنـظـيفـ يـجـرـنـ
خـفـافـهـنـ بـكـسـلـ عـبـرـ الـمـرـاتـ وـيـتـنـادـيـنـ بـأـصـوـاتـ مـرـتفـعـةـ ، الـاـمـرـ الذـيـ كـانـ يـغـضـبـ
الـادـارـةـ صـيفـاـ . وـفـيـ الـمـدـيـنـةـ ، كـمـاـ فـيـ الـفـنـدقـ ، يـبـدـوـ كـلـ شـيـءـ عـادـيـاـ ، مـكـشـوفـاـ . وـلـمـ

يتبقى من لفظ الصيف الصاخب سوى مكانيين - ثلاثة ، على شكل الفطر ، لبيع حصير الليمون . حيث لا يتوقف عندها سوى الشذاذ . الهواء يعصف بالاعلانات نصف الملتصقة التي تدعو الى عروض المجموعات على المسرح الصيفي ، وباعلانات القطارات والطائرات .

سار على غير هدى عبر المدينة التي يجهلها وراح ينظر بانتباه وقلق الى وجوه انسان الذين يجتازون الشوارع . قد تمر ، سيختبيء خلف احدى الزوايا ، وقد يذهب الى مدينة أخرى ، وستحوم سعادته حوله كعربة للاسعاف السريع .

كتبت له نيفينا تخبره أنها استأجرت شقة في بيت أحد التكنيكين في معمل البترول ، والذي بيته معرض حقيقي للوحات . هي لا تعب الفنادق ، وفي هذا المنزل أناقة ودفع . اتجه الدكتور برايكوف نحو حي السماكين واهتدى الى بيت التكنيكى الانيق . ثبت جرس كهربائي على المدخل الخشبي . فتحت له الباب امرأة رشيقية وأدخلته الى البيت فورا .

- نيفينا هنا ، ولكنها ذهبت لترسم . ستعود مع غروب الشمس أليست زميلة لها ؟ سأل عنها أمس بعض الزملاء .

فتحت المرأة أمامه بابا ثانيا وأشارت الى أقصى الغرفة :
- ها هي غرفتها . ابني عسكري في غردونو . أجرنا الغرفة صيفا الى مستجمين ، وتستأجرها هي الآن . موقف المصنع غير بعيد .

لاحظ الدكتور برايكوف بساطة الترتيب ، ولمع أشياء نيفينا التي ملأت الغرفة فورا بالالفة . ألبست سترتها الخضراء الفاربة الى الرمادي ظهر الكرسي ، أمام المرأة علبة زينة ، ثمة لوحات قماشية صفتلت بعفاف أسفل الجدار العاري .

- هذا زوجي - اشارت المرأة الثرشارة الى لوحة غير مكتملة ورسمت نيفينا ابنتي مع البلدوزر ايضا والرسم يشبهها تماما .

قال الطبيب :

- قد انتظرها هنا او اذهب الى الموقف .

ـ الموقف باتجاه جسر السكة الحديد . الباصات تجيء الآن بكثرة .
ـ اوضحت صاحبة البيت واغلقت الباب .

تناولت السترة وأغرق وجهه فيها . شم منها الرائحة الطفيفة لعقل تلفعه الشمس . جلس على السرير ، انسحب الغطاء برفق فرأى تحت الوسادة طرف قميص نومها . قميص نوم بسيط من القطن لامرأة اعتادت النوم وحيدة . دنا من اللوحات غير التامة . كانت نيفينا رسامة غرافيك ولكن الحفر والطبع لم يكونا يرضيانها . ان وفرة مناظر الارض النقيّة الالوان التي تراها لا يمكن التعبير عنها الا بالفرشاة والقماش والألوان . ها هو « ايزتوبى » الذي خصصت له نصف رسالتها . طبقات نضيدة ارجوانية ، تلوين متماسك ولكنه دافئ ، والوان شفافة مضاءة - التل وبراكة البنائين المسقوفة بالحصر . ثمة تنوعات اخرى في اللوحة - البقع هنا بارزة ولكنها مرتبة بفتور ، واما بمزيد من التظليل والعمق . نيفينا ، تستقصي شيئاً ، تنقى الشكل . قد يكون هو الان الاقل نفعاً لها . هي تشاركه الافكار حول عملها ولكنها لا تمارس النصح ابداً تمتص آراءه بابتسامتها التي تنطق بانها لا تأخذ بها .

خرج وسار نحو الموقف . نزل من الباصات اناس ذوو عيون فتية وعضلات قوية ، تلتفت على ثياب عملهم ' وحول بلون رسم نيفينا . وقف قريباً جداً من الباص وكان الناس يصدمونه دون أن يعتذروا . تضايق فتراجع . لم يكن يريد ان يرى امرأته بين هذا العشد . لقد رن وتر دراغان نيديف في خاطره وافكاره . القلقة .

لم يستطع لاول وهلة ان يميز نيفينا من بين الاخرين . هي الاخرى ترتدي بنطالاً وتحتدي حداء قصيراً . ومنديلها المعقود من الخلف يغطي شعرها .

نظر الدكتور برايكوف اليها بشغف ، واحس من اعمق قلبه ، ان المصنف الرقيق الذي تحمله سيميزها دائماً عن الناس في الباص ، وعن كيتي المستهزئة وعن رالوكا النعيلة وسيفصلها عنه هو ذاته وعن الجميع من يرون القليل من اللون الارجاني في العالم ولا يستطيعون ابداع جمالاته .

هتف بصوت اصم :
— نيفينا !

استدارت . لم ير قط وجهاً اجمل من هذا الوجه المتوج من وقع المفاجأة
ومن السرور .

اندفع نحوها ، امسك يدها وقبلها . كانت جافة بردًا وملطخة بالالوان .

— أجلها حتى اغسل — وابتسمت نيفينا سعيدة .

—رأيت لوحاتك ، لماذا لم تكتبي لي انك انجزت كل هذا ؟

— يغيل لي انني بدأت الان افعل شيئاً . اكتشفت بنفسي السر القديم لكل
رسام — غنى الألوان لا يكمن في كثرتها وانما في الظل والتنويات التي تزحف على
القماش . ارأيت المسودة الثانية ؟ انها افضل .

— الن تنجزي اعمالاً غرافيتية ؟

— اريد ان ارسم البحر ولكن ليس كما رسمته في السابق . ليس ثمة داع
لان ابحث عن موضوع لا عبر عن شيء هو لي . ارى لوحة الفرافيک عن البحر
فجة رغم استيفائها كافة العناصر ، انها تشبه الانطباع عن الموسيقى .

— اتفكررين بي يا نيفينا ؟

— طبعاً — قالت نيفينا وتأبطت ذراعه — قال لي بعض الزملاء أمس انهم
قد ضموني في نقابة الفنانين الى مجموعة ستزور تشيكوسلوفاكيا وبولونيا .
سيفتح هناك معرضان يضممان أعمالاً لي . ناهيك عن معرضنا ! لن يكون الوقت
كافيا لي . أجهد كي أعمل كل يوم ولكن دون استعجال .

— يجب أن أرحل الى مكان بعيد ولفتره طويلة . أما اذا بقيت هنا ، فلا
أريد أن أحيا منفصلاً عنك .

توقفت نيفينا ونظرت الى عينيه . ثم مشت وقد الصقت جبينها بكتفه . لم
يتلفت كعادته في صوفيا حين تأبط ذراعه . وتسلل خفية وبرفق ، ذلك الضيق
الذي يخز قلبه . هرب ليتحدث معها عن طفلية على الرغم من أن ذلك — وهي

تعرفه - أغلى مكنونات أحاديثه . لقد رأت هذين الطفلين ، إنهم كباران ذكيان يعرفان كيف يكرهان ، وهي تهرب منها كاللص . كان ذلك حوالي الظهر من ذات يوم . كانت أشجار الأكاسيا حول المسيل العاج مزهرة ، والجسir الغشبي يصر صريراً موقعاً ، وعند طرف الشارع غير المفروش بالأسفلت ينمو عشب فتى .

كانت تلك آخر أيام الدراسة . تسير الفتاة مع صديقتها وتؤرجح حقيبتها . عرفت نيفينا أنها ابنته رغم أنها بعيدة عن الفيلا - فالفتاة تشبه أباها شبهها كبيراً . توقفت الفتاة مع صديقتها أمام باب حديدي ذي دفتين . كانت رالوكا وابنه في الحوش قرب الحاجز - رالوكا ترتدي قميصاً « بلوزة » صوفيا لاما وبنطلا ضيقاً . تمسك مقنن البستانة وتشذب بمهارة بعض الشجيرات .

ومنذ أن مشت في الشارع ، حيث كل شيء ذو معنى بالنسبة إليها ، فهمت أن من غير الممكن أن تربط حياتها بهذا الطبيب الهرم المثقل بهموم طفليه . هو إنسان خلق للعائلة ، ذو شعور أصيل بالشهامة ، إلى وضوح وانسجام يصعب عليه معهما أن يقيم علاقات مزدوجة . « مثل هذا يمكن أن ترسله إلى العرب وتنظره بشقة ! » فكرت بهذا نيفينا بنوع غامض من التعاطف الوجداني . عليه أن يتغلب على تناقض ضخم وقد يتحول هذا فرجهما إلى رماد ، ويُثقلها بالتزاamas قاسية . كل علاقة مع متزوجين ، إن لم تكن مجردة تسلية ، تخفي شيئاً مأساوياً . لقد خبرت ذلك خلال سنوات اللهو الضائعة في شبابها . وهي تعرفه الآن وقد أصبحت قادرة على اعالة نفسها ولم تعد لديها أفراح أو أحزان خارج دنيا الفن .

- كل امرأة تعلم بأن تُحب كما تُحبني - قالت بصوت خافت - ولكنك لا تملك القوة كي تنفصل عن طفليك . عرفت ذلك منذ اليوم الأول ، ومع ذلك لمحت إليك . أني سيئة !

- كشفت لي عالماً آخر ، لم أكن أعرفه . رهيب أن أفكر بأن حياتي ستنتهي بدون حب لهذا .

تدفأت يدها في كفه كما تدفأ أيدي طفليه الباردة . لم يكن يرى الشوارع

التي يسيران فيها ، وعرف من الهواء القوي وحده أنهما خرجا إلى « البوليفار » الذي على شاطيء البحر . لم تكن تسير معه ولم يكن طفلاً وحدهما يقنان بينهما بل كانت تقف أيضاً لوحاتها التي لم تنته بعد . لم تقل نيفينا ذلك بل فكرت به هي لا تريد أن تعيش دراما طلاقه ، وإنما ستحافظ على قواها من أجل الفن .

— أنت وحيدة — احتضنها — كيف ستعيشين وحدك ؟

جلساً على مقعد في فجوة جدار التدعيم الأبيض الذي ينزل حتى المسجد . أضيئت المارة وقد أظلم البحر ، انحنت السماء فوقهما . أمسك أحدهما يد الآخر كطفلين ، كي لا يضيئاً في هذا العالم ، الذي تغلبت فيه القatarات على جاذبية الأرض وجاذبية القلوب ، أما الباقي فتمخر بعرا غامضة دافئة . قد تمر حياتك في هذا العالم دون أن تواجه حباً كبيراً ، ولئن وجدته متأخراً جداً فلن تفقده . . . الغيوم المثقلة بالماء وبالشحنات الكهربائية الغضبي تجر بطنونها فوق دينغاري ، حيث تقليل الجواميس . ارتعشت أشجار المانجو إنذاراً بال العاصفة . والهواء يهشم قش سقوف العظام .

الدكتور برايكوف جالس على الشرفة ، يحتسي شايا خفيقاً . يتنفس بثاقل . وجهه رطب . يسمع من النافذة المفتوحة على مصراعيها صوت رالوكا التي تتحدث إلى القابلة :

— انقطع التيار الكهربائي فجأة ، حدث ذلك في بنائنا وحدها . ولم يعمل البراد ولا مكيف الهواء طوال الليل . يا للهول ! لم يبق مكان لم يبحثوا فيه عن العطل . ولم يفطنوا حتى اليوم التالي إلى الم Howell في العوش . فماذا وجدوا ؟ أفعى كبيرة نفقة وهي ملتفة على الأسلاك . تصوري ! حدث هذا في مركز كوناكري .

ارتشف الدكتور برايكوف جرعة أخرى من الشاي ونهض ليتمشى . . . جذور شجرة المطاط الهندي المكسوة بالبثور تنسبق فوق الأفعى المشوية . . . والجذور تشبه كرة من الأفاعي . هو لا يحب هذه الشجرة الضخمة ذات الأوراق الصلبة التي تبدو ناشزة هنا ، وليس كذلك في غرفة الانتظار في صوفيا حيث تنمو في صندوق .

رأى ، عن بعد ، الهنغاريين الذين تجمعوا حول المسبركي لا يداهمهم المطر .
ثقب ايرجي الارض الجافة هنا وهناك خلال العام الماضي ، ولكنه لم يصمد ، ذهب
إلى داكار . شرب معه قبل سفره آخر زجاجة من الكونيك الأفريقي . احتضنه
وخطبه بالألمانية :

— أنت الاله الايبيض لهذا الشعب الاسود . فهل صنعت لهم الرقى حتى
أحبوك كل هذا العب ؟ لست آسفاً على شيء سوى الصيد ! الاقواس ، الرمي ،
الطباء — لو أن لدى قطعة « غونفاس » بدلًا من هذه البنديقية . لا أحتمل أكثر
مما أحتملت ، فليتفضل من يشاء .

جاء هذا العام هيدرولوجيون جدد . انهم ثلاثة — وهنغاريون أيضًا . فتيان
يتكلمون الروسية بشكل رديء . زوج القابلة سعيد .

لقد وجد رفقة . هو تكنيكى كهرباء ، أما في دينغيري فالكهرباء في الغيوم
فقط . يساعد زوجته في دار التوليد ، أفضل جناح في البناء المريح الذي رتبوا
فيه الصيدلية والمستشفى الجراحي . لم يكن قد خططا طبيب هنا منذ تكوين
العالم . ورغم ذلك ، خرج الناس بشقة مدهشة من الغابات وقدموا إليه ليعرضوا
عليهم جراحهم ، وليدياوي أو جاعهم . كان يشتري الدواء بأمواله غالباً فليس ثمة
هنا ما تنفق المال في سبيله سوى ذلك .

بقيت رالوكا وابنته في كوناكري . دراغو يدرس في صوفيا . قبلوه في
كلية الطب فوراً بعد نيله الثانوية وهكذا سهلت خدمته العسكرية .
ينتهي تعاقده بعد شهرين . رالوكا تحسب ما سيشترونها من باريس وميلانو .
نجحت في تحويل الكثير من الليرات الفينية إلى دولارات . لم تشتري من هنا سوى
التماثيل المصنوعة من عظام الفيلة والابنوس . وجلين — لتمساح وفهد . وبعثت
عن بعض الاقنعة الجاهزة ولكنها خشيت أن تكون زائفة . لن يكتشف أحد من
ضيوفها في صوفيا ، طبعاً ، زيفها ، ولكنها تفضل دائمًا حلية للصدر من الغزف
على الأشياء الثمينة الزائفة . أثرت أحاديث رالوكا على القابلة فأرسلت فتاهما
ليساعدوها ، ليحمل لها الماء من النهر ويفصل الصخون . دخلت رالوكا المستشفى

مرة فتأذت . أستدتها ثم حملها على ذراعيه الى غرفتهم . ورغبت في اليوم التالي بالقيام بزيارة معا فراح يمزح ورفض النهوض من الفراش . لقد لمس في نظرتها رقة وسؤالا ما ، وجلا .

استيقظ هذا الصباح باكرا جدا وارتعش . رالوكا تنام قرب كتفه ، وقد رأى في الحلم امرأة أخرى . أغمض عينيه ليحتفظ بطيفها تحت أهدابه . صخور فيتوشا تصل الى صيوانه وهو جالس على صخرة كروية عليها طحالب ذهبية . جاءت اليه ، دنت كثيرا ، هي بلحمها ، وانه ليترعش . أرسل لها عدة رسائل خلال السنة الاولى من قدومه الى هنا ثم انقطع عن المراسلة .وها هو يتذكر الامسية الاخيرة .

الفجوة العبرية وغرفة التكنيكي . بدا له أن نيفينا قد قررت مسبقا انهاء علاقتهما ، لهذا تقبلت الانفصال بيسير وسرعة . لم تقم بأية محاولة لايقافه ، وبذا ذلك وسيلة لضمان مستقبل طفلية وتربيتهم . أحس بالمرارة لانه تركها تتحدث عن هذا . حبه النقى يسوطه بسياط دققة . صمم على ألا يفكر بها . أبعده اهتمامه بتنظيم المستشفى والعمل المضنى عن الذهول العززين . كان متيقنا حتى هذه الليلة من أنه نسيها .

ملا سطوع البرق الاول الافق . الفيوم تود أن تنسكب كاللوبير على الغابات وعلى قش سقوف الاكواخ التي يحافظون عليها في عاصمة غينيا القديمة - دينغراي ، حيث تقليل الجواميس . سترتشف الاشجار الرطوبة الزائدة قبل أن يحل الشتاء الجاف ، وسيرسم النسخ على الجندع خطانا قاتما متعرجا لدائرة سنة أخرى . انهزم من كراهية واحدة ومن حب واحد ؟ هذا مضحك ، ليس ثمة انسان يحب الى هذا الحد .

وسمع صوت الفتى يهتف :
- دكتور ، دكتور .

لقد أرسلت رالوكا الفتى أجدت الشعر ليدعوه .

الخريف في غابات البلوط

« الى زلانكا دوبوفا

توقفت ريلا أمام شجرة نيرية « من الفصيلة البلوطية » ، شجرة هرمة ملفوفة
المجذع متشابكة النصون . تجاويفها ملأى بالأوراق المتعفنة ، شجرة دون عصافير ،
مشيرة وغامضة كتمثال تجريدي . رأتها ملء سمائها الصغيرة . . . استدارت نحو
المصور ، ولكنه زرر غلاف الكاميرا الجلد المهترئ .

— لديك عدسة ، لماذا توقفت ؟

— غدا صباحا لن تهرب الظلال الطويلة .

— المثلون مرتدون ملابسهم يا فاسيل . . .

صغر المصور صفرة قصيرة شريرة ، ريلا تفهم ماذا يعني هذا الصغير .
صممتت لأن الفظاظة تهيئها .

— ستابع غدا صباحا — قالت مستديرة نحو المثلين . دست كتاب
الإخراج في حقيبتها المعلقة بكتفها بايماءة متعبة لقاطعة تذاكر في ترام . دار
الناس ليعبروا الجسر أما هي فراحت تعبر الماء على أحجار كروية مرصوفة كطهور
بط وسط النهر . في الناحية المواجهة جدول يمور بالزبد والالوان . ثمة بسط
من الشعر والصوف تجفف تحت شمس الخريف الدانية . رفعتها النساء وهي
مبلة وطويئها فوق الدعائيم . حينها ثم استدررن خلفها . أصنفت الى كلماتها
دون خجل او اشفاق :

— أرسلت أطفالها الى المدرسة في صوفيا وبقيت هنا لترأس السينمائين . . .
سارت ريلا على الدرب ، وصوت النهر البليل يلاحقها . كانت المياه
الخريفية قد فاضت وانسكت على الضفة المنخفضة غامرة آثار أظلاف الثيران

وعربات الحطابين . طفح النهر واعتك فغم الجسور وأعشاش الطيور والأشجار المرتمية من ضفة الى أخرى وقد انجدلت حولها زواحف النباتات المورقة مختلطة بالصلصال . تطايرت أمام ناظريها بذور ، دققة مسنونة كالرماح الصغيرة . التقطت ريلا عددا من هذه الصفراء اللونة بالليلكي اللطيف ، التي لا اسم لها . وضعتها في حقيبتها - فقد تروق لنيفيينا . الغابة ذات الاوراق العريضة تفرط بذورها بسخاء مفرط ، فالخريف فصل الحياة . نيفينا فنانة مجموعة التصوير تجوب الغابة أثناء الاستراحات طلبا لشمار البلوط وبذور الغابة التي تصنع عقودا منها بمهارة . وهي تبحث بين الالوان المتعددة عن لونها الاوحد وتكون سعيدة حين تجده .

جلست الجماعة تحت الطنف حول الطاولات العارية في مطعم تابع لمؤسسة الغابات . تسلل المصور الى المقهى ، ثم رجع مع السائقين معربدين وطلب «عجائز » مئة درهم حلاوة » . يقع البريد في الناحية المواجهة قرب البلاطة التذكارية لشهداء الحرب . ريلا تتوجه في مثل هذا الوقت اليه طلبا للصحف والرسائل التي تحملها السيارة الباص . ولقد تلقت قبل أن تذهب الان . انها لا ت يريد أن تلتقي بتلك المرأة التي تلقت منها برقيتها صباحا .

انتظرت ريلا الى أن عدت المرأة غرزات نسيج دقيق . يكون جميلا في صباح بارد كهذا أن تقلب بيديك شيئاً طرياً ودافئاً . ابتسمت ريلا حين قدمت البرقية ، وقد تكون ابتسامتها أزعجت المرأة أكثر مما أزعجها النص . « المشهد مقبول . اتبع النموذج . لا شيء خلف « الكادر » « اللقطات السينمائية » حتى الان . أأعود ؟ أكتب . ريلا . »

- ريلا اسم جبل - قالت الموظفة في البريد ، وكانت تعابير وجهها جارحة .
أجابت المخرجة :

- كلا ، بل هذا اسمي . كان أبي معلما مادة الجغرافيا . سمي أخي بريسلاف وسماني ريلا .

وكان يجب تقديم ايضاح مناسب لخيال معلم الجغرافيا كذلك لزوجها قبل

ثلاثة عشر عاماً . وكان ريلاً ترى الملازم الاول يحمل في يده برقيتها : « لا غيوم في صوفيا . ريلا » .

قال هابسا :
— هذه شيفرة .

— كلا ، هذه زوجتي — أجا به المخرج الشاب المعباً منذ الامس في المطار . ومع ذلك أرسلت البرقية الى وزارة الدفاع . وكان الامر بسيطاً على الشكل التالي : استلقيا متعانقين وارتعوا حباً . كان الغروب يسيل في النافذة غيوماً متوجهاً لا مثيل لها . « سأكون حزيناً ، أكثر ما أكون ، من أجلك ومن أجل هذه الغيوم » — خاطبها زوجها الذي كان عليه أن يصبح جندياً في الصباح . وأخبرته ريلاً في اليوم الثاني ببرقية ، أن ليس ثمة غيوم في صوفيا .

— تعالى ياريلا ، أقدم لك شيئاً — امسك كتفها أحدهم بمودة .
استدارت وأزاحت اليد عن كتفها .

— سأقدم لك كأساً من النعنع ، لقد تلاشت المتع الأخرى .

— في مرة أخرى يا فاسيل . لا أرغب في أن أشرب أي شيء .

— لم أكلمك أمام الناس حتى لا يتربدوا ، فليس ثمة لزوم لاعادة التصوير . « البروفة » الاولى كانت جيدة .
— أنت غير واثق من ذلك .

— اسمعي ، كرهت ذلك ... صرنا متواحشين لبقائنا طوال الصيف في المغابة . الكمال سراب ، ولكن فيفروا رب . أريد أن أذهب الى « بامبوكا » وأرى أصدقائي .

— ابني محموم ، وليليا في الصف الاول وهي تذهب الى المدرسة بدوني . لا أعرف من يربط لها شريطتها صباحاً ، ولم أر بعد معلمتها . وحين سيشاهد الناس الفيلم لن يسألني أحد عن هذا .

— ساميحيني ، أنا ببساطة هكذا . ليتلتك سعيدة — قال المصوّر رغم أن الظلام لم يخيم بعد .

يؤدي الى بيت مؤجرتها بينما بونار خيسارليكا شارع شديد الانحدار فوق حجارة تبدو وكأنها في حوض نهري جاف . العوش الذي يزدحمس صيفا بالخضرة ذاو الآن فما فيه سوى رائحة البيلسان البري العادة ، والبرسيم والمربي المعرض للشمس . أصفرت أكواام القرع المتتفعة وأكواز الذرة المقشوره . تأتي ريلا أحيانا الى السهرة وتصفي الى الأحداث التي تقصها المرأة الهرمة بعيوبية مؤثرة وبعذوبة لفظ بلقانية . قتل أحد المغاربة عند توبرا كان وبقي فيها كالاغنية ، ولا تزال الشرائط البيضاء مشدودة على كاسية ساقه السوداء ، أما خطيبته يانكا فيرن دلوها النحاسيان عند العين . سقطت زجاجة العرق « الراكيما » التي أرسلتها له الى العجيبة مع أحد المأذونين ولم تنكسر . وكان الدن طافحا بالمياه الباردة الحليبية ليذهب اليهم طافحا ومنعشا . ابتسمت ريلا من أعماقها لهذه التعبير المبهمة . كانوا بسطاء متهللين كالخبازى الافرنجية قرب العين ، وكالقرانيا المنثورة لتجف فوق حجارة رملية ملساء . كل الاشياء في هذا البيت بسيطة وسليمة، اشكالها ناعمة مركزة . استشعرت ريلا باحساسها المهني للعالم المادي ، السكينة بين الاشياء والناس بقدر ما تقلقها غرابة بيتها المديني . ثمة ما بين البراد والتلفزيون شيء معطل وستبحث طويلا لتجد من يصلحه .

تعيش معلمة عجوز ، مستأجرة ، في بيت بينما بونار خيسارليكا الفسيح قالت مرة لريلا :

— أعرف مكان كل حصاة في الحوش ، وكل حصاة عزيزة علىِ . ليس البيت بيت أبي ولكن حياتي انقضت هنا .

كان قد علّم انطون ستراشميروف ، في القرية ، في زمن ما ، « معلمنا آندون » يتذكره القرويون العجائز ، ولا تزال المعلمة تتضايق من الوحل الصمعي الذي غازل ستراشميروف . سيجسد الفيلم يانكا والمغربي والمعلم ، وكما لو أنهم انعكسوا على صفحة الماء ، وكجذور تهمس للأوراق . « لماذا سيتذكروني ؟ — فكرت ريلا — نساء القرية يسألنني عن سبب تركي طفلـي وحيدـين . ولو قلت لهنـ أنـي أحـبـ عمـليـ كـطـفـلـيـ فـسـيـنـظـرـنـ إـلـيـ وـكـأـنـنـيـ خـالـةـ زـوـجـةـ أـبـ وـأـنـاـ أـخـافـ منـ اـعـلـانـ ذـلـكـ لـنـفـسـيـ . قالـ لـيـ المـصـورـ صـراـحةـ : « كلـ هـذـاـ عـلـمـ منـ أـجـلـ هـذـهـ

النقود . » أرى في الحلم مشاهد من الفيلم وفي النهار لا أرى شيئاً على الشريط
لا شيء حتى الآن ، لا ايقاع للحياة . هذا تعبيرك يا عزيزي ، ألن تفهم ان هذا
يُثقلني ، وانني أتألم بسببكم ؟ وحدنا نعلم أية ألحان ستتبعت من الآلات المدوّنة
في دقيقة ما قبل الكونسرت ووحدنا نستطيع أن نعي احتفال مدير الفرقة » .

صاحت المعلمة من السرادةق :

— لم تقفين وسط الحوش يا ريلا ؟ انزلي الحقيبة ، على الاقل ، فانها
تشكلك .

— شغلت بشيء ... حين كانت أمي تذهب الى دراجا ليفتسى ، كانت
تعشب أزهارها والجراب على ظهرها .

وتدعواها الجدة بينما :

— اتركي طاس الطحين هذا ... تعالى كلي .

غابات البلوط المشتعلة بلهب عسلٍ ضارب الى الحمرة قد ملأت النافذة
الضيقة . النهر يرجع خريره بعذوبة في مجراه ما بين التلال . تناولت ريلا كتاباً
مليئاً بمحاضرات زوجها . كانت قد وضعت خطوط تأكيد في نفس الاماكن .

... الغريف في صوفيا وقتهم المعب . يعودان معًا من الاستوديو ،
يتعدثان عن الاصدقاء والاعداء . أوه ، هذا ليس حديثاً ، انه معرض لوحات
رائع . ذهنه العاد الصافي يقابل بالمعارضة الناعمة للارشادات السرية التي تداوى
بها جراح اعتداته . ولكنهما لا يسيران وحيدين الا فيما ندر عبر الشوارع
الغريفية ، كما أنهما لا يطلان وحيدين في البيت الا نادراً . أصوات فتية —
متسمة ومشككة ، احتفائية او مختنقة تملأ بيتهما تماماً . القهوة تهسّس في
« الاكسبريس » البولوني ويختم البخار الدقيق العطر سيل احتدام المتخصصين
حول الاخبار الثقافية والاذكار . ولكن ، ان لم يبتدعا شيئاً ان لم يكن غنى عالمهما
مكتسباً من تطاوهما الطويل بحثاً عن الكنوز ومن النفي الطوعي قسوف يتتحول
الالق الى رماد من الكلام الفارغ . تقع عيناهما على عينيه في الاستديو فتلمس ،

أحياناً ، وهنا أو ذهولاً فيها فتعلم ، انه يفكر بالطفلين أو يتمعن في بعض الصور القاتمة .

صدم الهواء اطار النافذة المتاكل . تركت ريلا الصفحة دون أن تتم قراءتها وجلست على الكرسي الصغير قرب الزجاج القائم . لفَّها الصمت والغبش وكأنهما أرجوحة من شبك ولكنها لم يهدئها . « تركت جميع الهموم عليه . سيسايره هذا الفراق ، ويوحش كلينا ، وقد يكون الفيلم كذلك في النهاية . جمعت كومة من بعض حاجياتها بتمهل ودقة .

انطبق باب العوش وسمعت أصوات . وصوصت الجدة بينما بونارخيسارليكا والمعلمة الى غرفتها وقالتا بصوت واحد يحمل قلق الناس العاديين من برقية تصل متأخرة :

— لك برقية .

زرت الموظفة في البريد شفتها بتأنق وفهمت ريلا أنها تعرف محتواها على الورقة كلمتان : « أحب . أبقي . »

المدينة الجميلة

تسدل دفق من الماء عبر النافذة ، وطنّ الرجاج في الاطار الدقيق المتاكل . استيقظ رايتشو من نومه الصباحي الهنيء ونظر الى الأعلى وكأنه ينظر من قعر بئر . ثمة غسيل منشور على الشرفات والمسكates المنظومة في سلك لتجف تسبح في الهواء الازرق ، أما المدرس في مدرسة « التكنيكوم » المسائية فيسكنى حدائقه بالغرطموم . رايتشو لا يعرف اسمه الحقيقي . قال ستامبو :

— هذا المعلم توبالكو .
وهكذا صار

قرقع أولاً « محرك » المحاسب رايكي قبل أن يستيقظ تماماً ومن ثم راحت مؤجرة ستامبو تنفس البسط ، كانت تضرب بشدة وكأنها تريد أن تنفس همومها

ومزاجها السيء . وماذا تراها تنفسن ، في حين لا يدخل أحد الى الغرف التي تظل نوافذها المفلقة مغطاة بالورق دائما . بعد النصف سحب خرطوم الماء الأسود اللامع الى الشرفة بعد أن مرت بالفرشاة برفق على خفيها المصنوعين من الصوف . يعيش في المطبخ ستامبو وفتى آخر من معمل الكابلات الكهربائية . انتقى المعلم توبالكو مستأجرى شقتة من بين تلامذته ، فهذا الذي هو مطبخ في النهار يفرغ مساء ويصير للنوم . ويعيش في القبو اثنان من طلاب معهد المعلمين وأما في غرفة السقف فثلاثة من تلامذة الاعدادية .

تفضلي الى فندقنا الايطالي « ريفا فيوريتا » - خاطب ستامبو الفتيات اللواتي دعاهن بعد الحصة الاخيرة لتناول كأس من الكوينياك في « مالينا » .

ضحكت الصبيايا وفرحن . كان رايتشو مع الجماعة فابتسم لأن ريفا فيوريتا هو اسم للسفينة الايطالية التي أفرغوا حمولتها نهارا . كان عبر البرتقال يتسرّب عبر الصناديق الخشبية ويحمل الاحساس بقرب الارض البعيدة الدافئة . بضائع مورمانسك تبعق برائحة برد سيبيريا البهيج ، وبضائع هامبورغ بنقاء ونكهة قهوة الصباح ، أما بضائع الشرق الاوسط فتسكب فوق الميناء مزيجا من الروائح الدافئة الغامضة .

البيت الصغير الذي يشبه العش المتجمع وسط الحوش تفوح منه رائحة القدم ، رائحة ثوب خلق . صاحبته ، العممة بويانكا ، تفسل وتتلّى ولكن رائحة الشرافف القديمة والثياب القديمة تفوح من كل ركن ، حتى من شعر المرأة ، الذي وخطه الشيب .

احست العممة بويانكا أنه مستيقظ فشرعت تخبط بالمنفحة ، مثنى وثلاث ورباع . توقفت قليلا وقلبت البساط فوق العاجز القماشي الذي انشق تحت أصابعها الصلبة . أصبح الضغط على المطبخ - حيث ثمة مقعد صغير وسل كبيرة فيه مواسير ، أما الغرفة فمؤجرة الى أن يعود ابنها من الجندية . كانت العممة بويانا قد دقت قفة من القطع القطنية الملفوفة ومن قشور أكواز الذرة وتركتها في غرفتها طوال الليل لتمتص كل صباح الانيلين .

— وصوشت مؤجرته من الباب فجأة :
 — أمستيقظ أنت رايتشو ؟ لقد عاد هذا المبتز ليمنعك من النوم !
 — سأشد يوما خرطوم الماء منه وأجعله يطير معه .
 — لا يضايقني سواه من أهالي التعاونية . يقول ان مخطط البناء يمر تماما وسط سقفك ، أي الى قطع القرميد المارسيلية . ويقول لي : لئن كانوا أبقوك حتى البلى ، فانا لن أنتظرك طوال الحياة . انظري الى الجيران الذين يتصرفون بحوش كامل أية بساتين أقاموا للبندوره والبصل وسوروها بعجارة مطلية بالكلس ووضعوا قطع القرميد بين المساكب » عسى أن تسد حزمان من البصل بلعومه !

أصفى رايتشو اليها باشفاق ، فأفضت اليه العمة بويانا بهمومها التي تجعلها تخبط طوال النهار بالنفضة .

— أنا امرأة تخبط وحيدة في الظلام ، وهو يرش لي الزجاج ! حين يعود فارين » سأذهب الى القرية ، المدينة لا تنسبني .

— لماذا يا مؤجرتي ، المدينة جميلة جدا .

— المدينة كالعالم ، ولكن لأولئك الذين يعيشون في شقق .

استدار رايتشو نحو الجدار ، رفعت العمة بويانا القفة وأغلقت الباب بهدوء . والمدينة كالعالم بالنسبة له هو الذي لا يملك سوى بذلة جديدة وحلم ... أغمض عينيه ليراهما ، مرة أخرى ، تسير حول مستودعات الميناء على مهل دون أن تهتدي الى الطريق . خط السكة الحديد المترش في المر الكبير ينجدل حول خططاها الرفيعة . المرأة تنظر نحو البحر ويدفع النسيم شعرها الثقيل الاشقر ليتجمع على كتفيها ، عرفها رايتشو مذ رأى ظهرها ، من قربها مباشرة ، حتى كادت العربة الكهربائية تعلق بفستانها الرقيق . لم تهتف به ولم تلوح بيدها . اجتازت خطوط السكة الحديد وانحدرت نحو الميناء . يكشف فستانها عن كتفيها المكسوين بنور الشمس

وقفت جماعات من نساء بحارة « رودينا » أمام مركز المراقبة . رصيف الميناء محاط بأكواام من الحديد . تجمهر عمال مغبرون بفترات الجير والجبس عند جدار الميناء كتماثيل غير مكتملة . تنقر الرافعات بمناقيرها الطويلة عنبر سفينة سويدية وتُرجع حمولتها فوق رؤوس النساء دون أن يتراجعن . ثمة جهاز للهاتف في مركز المراقبة ، والهاتف يعلمهن بعد كم دقيقة ستصل السفينة . الشمس تغوص في الأمواج كبرتقالة ضخمة ومن الزرقة البعيدة تنسم رعشة الانتظار .

أومأت نساء البحارة للشقراء حين اقتربت وتحررن ليفسحن لها مكاناً . أنها زوجة القبطان . وقف قربهن دون أن تكلم أحداً ولو كلمة حتى أنها لم تسأل مركز المراقبة عن الدقائق المتبقية . رفع النسيم شعرها الشمسي كنوفرة ، سوته بحركة عصبية واستدارت نحو البحر . كان وجهها دقيقاً ، مستطيلاً ، فلقاً . نظرت الليلة البارحة أيضاً إلى البحر . لم يكن ذلك اثناء الليل تماماً وإنما مع الفجر الرمادي الساكن . كان الضوء ينزلق من الشفق المبيض على الأمواج . أفاقت المسابح المفروزة على وقع الخطوات الغامضة . كان رايتشو عائداً من الوردية الثالثة . هو في الصيف لا يذهب إلى البيت صباحاً بل ينام بين أعمدة المسبح إلى أن ينفض المعلم تو بالكو بسطه جيداً .

لفتحه الشمس وأيقظه صخب السنونوات . امرأة القبطان الشقراء تجلس على الرمل البارد متکئة على صدر رجل رشيق . صفر رايتشو آنذاك فقط وجهها بيديها . التفت الرجل ونظر إليه ، ثم اعطاهما يده واختفي في المر ظليل .

نادي رايتشو ستامو الذي كان يطلي الصوامع بفوسفات الجير وأشار له باتجاه الشقراء . ستامو أخصائي في هذا الميدان وهو يرى أن السفن تمخر البحر وتمخر الشوارع النساء .

ـ هل أعجبتك ؟

— يالها من قطة . قبطان برغاس وحده لديه امرأة جميلة . وهي تعزف على البيانو في قمرته .

سبحت اضواء « رودينا » فوق البحر المنطفيء وتحركت النساء امام مركز المراقبة . تقدمن كجفاف القيظ . زوجة القبطان وحدها لم تتحرك . السفينة تقترب متأنية . نظرت اليها وكأنها لم ترها ثم استدارت وانصرفت ، متمهلة ، كما انت . رأى رايتشو المرأة تذهب وفهم تصرفها . يقيم في اعماقه سر غريب وحب عجيب . شيء كبير منْ قربه ورماه باشارته السرية .

انطلق عبر شوارع المدينة ، عبر شوارع المدينة الجميلة . بحث عنها بين آلاف المجهولين . فتش عنها طوال ايام عديدة ، ثم رآها فجأة — تسير متابطة ذراع ذلك الرجل الرشيق ولم تفطر وجهها بيديها ، بل رفعته عاليًا مثل زهرة . عبرا . امتلأت الساحة الصغيرة بالأسى والوحشة وبصرخات زمج الماء .

اوى رايتشو الى البيت ، تمدد على السرير ونظر الى الاعلى وكأنه ينظر من قعر بئر ، سبحت السمكات الفضية النافقة في محيط آخر .



جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٧٥

شُويْج الشاعر الإيطالي

EUGENIO MONTALE ايوجينيو مونتالي

عيسى الناعوري

قبل أن أقدم إلى القارئ العربي الشاعر الإيطالي الكبير أيوجينيو مونتالي ، الفائز أخيراً بجائزة نوبل للآداب ، أود أن يكون شعره هو الذي يقدمه . ولذلك عدت إلى مجموعاته الشعرية الخمس - وتضم كل شعره المنشور في كتب حتى عام ١٩٧٢ - ونقلت إلى اللغة العربية عدة قصائد من كل منها ، لتصور مختلف المراحل التي مر بها الشاعر في حياته الشعرية ، ومختلف الأفكار التي استوحى منها شعره ؛ وتصور كذلك اللون الشعري المبهم - الرمزي - الذي يكتب به ؛ وهو لون شديد الفوضى - في المراحل الأولى على الأخص - والأفكار فيه غالباً ما يكون مبعثها الكابة ، والحزن ، بل القنوط أحياناً ، حتى لقد دعي مونتالي في فترة من حياته الشعرية بشاعر القنوط .

مجموعات الشاعر مونتالي الشعرية الخمس هي :

- | | |
|----------------------------|-------------------------------|
| (OSSO DI SEPPIS) | - ١ - عظام سمك السبيديج - |
| (LE OCCASIONI) | - ٢ - المناسبات - |
| (LA BUFERA) | - ٣ - العاصفة - |
| (SATURA) | - ٤ - خليط - |
| (DIARIO DEL '71 E DEL '72) | - ٥ - يوميات عام ٧١ وعام ٧٢ - |

وقد صدرت المجموعة الأولى عام ١٩٥٢ ، وأغلب قصائدها مستوحاة من



■ الشاعر مونتالي الى اليمين ، وبجانبه الروائي الشهير فاسكو براتوليوني ■

فواجع العرب العالمية الأولى ، التي اشتراك فيها الشاعر ضابطا في الجيش الإيطالي .
وصدرت المجموعة الثانية عام ١٩٣٢ ، والثالثة عام ١٩٥٦ ، والرابعة عام ١٩٦٣ ،
والأخيرة عام ١٩٧٣ .

ولكي تكون الصورة واضحة وشاملة الى أبعد حد ممكن ، رأيت أن يكون
عدد القصائد المترجمة كثيراً ومتنوّعاً ، وشاملاً لجميع هذه المجموعات الخمس .

أهون على ، والمبدأ أقل مرازة ٠٠٠

٢ - الليمون (I Limoni)

اصغ الي ، فالشعراء المجدون
يتعركون فقط بين النباتات
ذوات الأسماء القليلة الاستعمال :
كالبكس ، والحناء ، والنباتات
الشائكة

أما أنا فأحب الدروب التي تفضي إلى
الحفر المعشبة ، حيث المستنقعات
نصف العجاف ، يتصيد فيها الأولاد
بعض أسماك الحنكليس الهزيلة ،
والمسالك الضيقة التي تعادي حوافي
الحفر

تنحدر بين جمجم القصب الكثيفة
وتصل إلى الحدائق ، بين أشجار الليمون
• • •

من الغير أن تنطفئ حروب العصافير
وتبتلها الزرقة الرحيبة :
ويسمع بوضوح أشد همس
الأغصان الأصدقاء في الهواء الذي
يكاد لا يتعرك ،
وتحس أنفاس هذا العطر
الذي لا يعرف كيف ينفصل عن الأرض
وتمطر في الصدر حلاوة غير هادئة .
هنا ، بسبب رغائب لذية ، تصمت
العرب بمعجزة .

١ - من مجموعة (عظام سمك السبيديج)

١ - استهلال - (II Limine)

استمتع اذا كان الهواء الذي يدخل
إلى البستان
يعيد اليه موجة الحياة :
هنا حيث يغرق ميت
ممترج بالذكريات .

لم يكن بستاننا ، بل مستودع ذخائر (١) .
والريف الذي تسمع ليس ملرانا
بل هو التحرك الأبدي في الصدر .
أترى كيف يتحول هذا الذيل المنفرد
من الأرض إلى وعاء .
• • •

ان في هذه الجهة من الجدار المرتفع
لغضا ،
فإن أنت تقدمت ، فلربما التقى
بالشبح الذي ينقذك :
هنا تتالف العكايات ، والأعمال
غير المحجوزة ، للعبة المستقبل .
• • •

ابحث عن حلقة مقطوعة في السلسلة
التي تشذنا ، واقفز إلى الخارج ،
اهرب !
إذهب ، لقد دعوت لك - والآن سيصير
الظما

(١) الذخائر هي البقايا المعنونة للتذكرة .

ان المطر يُتعبُ الأرض بعده ،
وتتراكم

سامة الشتاء على البيوت ،
ويخل الضوء - وتزداد مراة النفس .
وفي ذات يوم ، من باب كبير نصف
مغلق ،

تبعدونا من بين الأشجار ، في ساحة ما
صفرة الليمون ،
فينقشع الجليد عن القلب
وتنطلق في الصدر
أغاني الليمون
وأبواق الشمس الذهبية .

٣ - عظام سمك السبيديج - (Ossi di Seppia)

- ١ -

لا تطالبنا بالكلمة التي تطوق من كل
جانب
نفسنا التي لا شكل لها ، وبعرف من
نار

تنيرها ، وتلمع كالزعفران
الضائع في وسط مرج كثير الغبار .

• • •

يا للإنسان الذي يمضي واثقاً
من أنه صديق للأخرين ولنفسه ،
ولا يبالى ظله بغير الشعرى اليمانية
المطبوعة فوق جدار غير مخصص .

• • •

وهنا ننال نحن المساكين أيضاً نصيبنا
من الغنى .

وهذا من عطر الليمون .
- ٢ -

أنظر ، في هذا الصمت الذي تتراخي
فيه الأشياء

وتبدو على وشك
أن تفصح سرها الأخير ،
وأحياناً نتوقع أن نكتشف خطأً في
الطبيعة ،
النقطة الميّة من العالم ، والحلقة التي
لا تمسك ،
والخيط الذي علينا أن نتبعه ، والذي
سيضعنا أخيراً
في قلب بعض الحقائق .

ان النظر يتلمس مَنْ حوله ،
والعقل يبحث ، ويجمع ويفرق
في العطر الذي ينداح
كلما ازداد النهار اضمحلالاً .
انه الصمت الذي يُشاهد فيه
في كل ظل إنساني يبتعد ،
شيء من الألوهة المضطربة .

• • •

غير ان الوهم يعوزنا ، ويعيدنا الزمن
إلى المدن الصاحبة ، حيث تبدو الزرقة
متقطعة فقط ، في الأعلى ، بين
الأبراج .

وأمضي في ضوء الشمس الذي يبهر
النظر

شاعرا ، في دهشة حزينة ،
كيف تمضي الحياة كلها ، وما فيها
من كدر ،

تلاحق هذا الجدار
الذي تملأ أعلاه قطع الزجاج الحادة .

- ٣ -

يا حياتي ، لست أطلب منك حظوظا
ثابتة ، ولا خلقة بهيجة ، ولا أملاكا
ففي دورانك المضطرب يتتساوى
طعم العسل وطعم عشبة الأفستانين .

• • •

والقلب الذي يرى العقار في كل حركة
يقفز مهتززا .

كذلك تئن أحيانا في

صمت الغابة طلقة بنديمة .

• • •

- ٤ -

كثيرا ما قاسيت من تعبي من الحياة :
لقد كانت كالجدول العجيس ، الذي
يبقى ،

وكسقوط الورقة
المحترقة ، وكالحصان المنطرح لشدة
العر .

لم أعرف الخير ، في ما عدا المعجزة

لا تطلب منا الصيغة التي تستطيع أن
تفتح لك العوالم ،

ربما كان لدينا مقطع أعوج وجاف
كالفصن .

هذا وحده ما نستطيع أن نقوله لك
اليوم ،
وهو ما لسنا اياه ، وما لسنا نريده .

- ٢ -

أقف عند الأصيل شاحبا مستغرقا
عند جدار حديقة محمرة من وقدة
الشمس

وأصفني من بين العليليَّ والأغصان
إلى زقزقة العساسين ، وحسيس
الأفاعي .

• • •

في شقوق الأرض أو على البرسيم
أتأمل أسراب النمال العمر
التي تتفرق حينا ، وحينما تتلامح
 حول أكواام من حبات الحنطة الصغيرة .

• • •

وأراقب بين الفصون هدرا
بعيدا من تلاظم أمواج البحر
في حين ترتفع أصوات راعشة
من الجدادج في القمم الجرداء .

• • •

الذى يخرج من أفواه أمواجك حينما
تنفتح وتتارجع

كأجراس خضر ، ثم تنداح
إلى الخلف وتنحل .

منزل صيفياتي البعيدة

كان على مقربة منك ، كما تعلم .
هناك في البلدة التي فيها الشمس
محرقة ،

وغيوم البعض تملأ الفضاء .

انني أقف اليوم في حضرتك متجرجا ،
كما كنت أفعل حينذاك
أيها البحر ، ولكن لا أظنك ما أزال
أهلا

لهذا الشعار العاشر

من أنفاسك . لقد كنتَ أنتَ أول من
قال لي

ان خفقات قلبي الضئيلة
لم تكن سوى لحظة عابرة

أمام خفقات قلبك . وعلمتني أن
اكتشف في أعماقي

ناموسك المغامر : فاكون رحيبا ،
منوع التجارب

و ثابتًا على طبيعتي في الوقت نفسه ،
وأن أطهر من كل دنس

كما تفعل أنت اذا تقدّف على
الشوامليء

الأقدار ونجوم البحر

التي تمنعها نعمة اللا مبالاة :
كانت كالتمثال الغارق في
نوم الأصيل ، والغيمة ، والباشق
الطاير في الأعلى .

★ ★ ★

- ٥ -

أيتها السعادة ، من أجل بلوغك يسر
المرء اليك

على حد الشفار .

أنت للعيون بصيص يتدرج ،
وللقدم جليد ممتد يتشقق ،
ولذلك لا يهمك من هو أكثر حبا لك .

فإذا ما وصلت ، ونفت عن
النفوس ما

ينهشها من حزن ، فان صباحك
سيكون حلوا ومزعجا كأششاش القمم
العالية .

ولكن ليس من شيء يغنى الطفل عن
البكاء

عندما يهرب منه « بالونه » بين
البيوت .

★ ★ ★

٤ - البحر المتوسط -
(Mediterraneo)

أيها البحر القديم ، لقد ثملت
بالصوت

كرصاصة معكمة الاطلاق يهيجني
كل عمل ، وكل صرخ ، وكذلك
التنفس

المالح المتددق
من أرصفة الميناء ، يجعل الربيع
قائما
في (صوتوريبا) (Sottoripa)

مدينة حديد وأشجار
كالغابات ، في غبار المساء
ويأتي صرير طويل من الفضاء
المفتوح ،
كصوت ظفر على الزجاج . فأبحث عن
العلامة
الضائعة ، العهد الذي تفضلت علي به
وحده
والجعيم بعدئذ مؤكدة .

★ ★ ★

- ٢ -

أعوام كثيرة ، واحد منها هو أقصاها ،
على البعيرة
الغريبة التي تشتعل عليها الأمسيات .
ثم هبطت من الجبال لتعيدي الي
علم القديس جورج والتنين .
وددت لو استطعت أن أطبعها .

• • •

وغيرها من الأشياء البالية التي في
أعماقك .

★ ★ ★

٢ - من مجموعة (المناسبات)
(LE OCCASIONI)

١ - الشرفة - (Il Balcone)

كان يبدو لعبة سهلة
أن أحول إلى العدم الفضاء
الذى كان قد انفتح لي ، والى السامة
المشكوك فيها أحول نارك المؤكدة

★ ★ ★

واليآن ، الى ذلك الفراغ أضفت
كل ما لدى من أسباب متأخرة ،
وعلى العدم القاسي يبرز
قلقي العي في انتظارك .

• • •

ان الحياة التي تمنع بصيحا من نور
هي تلك التي تلمع فيها أنت وحدك .
اليها تتطلعين من هذه النافذة .
غير المضاعة .

★ ★ ★

٢ - كلمات - (Mottetti)

- ١ -

انك لتعلمك أن علي أن أفقدك ولا
استطيع

على العَلَمَ الذي يتحقق في الريح
الشمالية ،

وفي قلبي ... ومن أجلك أنزل في
دوامة من الوفاء الأبدي .

* * *

- ٣ -

استمرار العصافير السوداء والبيضاء
في الصعود والهبوط
من عمود التلفراف

إلى البحر

لا يخفف من كآباتك على رصيف الميناء
ولا يرددك إلى حيث لم تعودي توجدين .

* * *

لقد أخذ يفوح عطر البيلسان المزروع
في المنخفض ، والمطر المدرار أخذ
يُخفِّ

وإذا كان الصحو استراحة
فإن تهديدك العزيز يستنفدها .

* * *

- ٤ -

في أول الضوء ، حين يخاطبني
ضجيج سكة الحديد المفاجئ
من آناس في الداخل مسرعين
في نفق من العبر
يدخله الضوء متقطعا

وممتزجا بماء المطر

• • •

وفي أول العتمة ، حين
يروح الأزميل يزيد من قوته
في التهام طاولة الكتابة

وخطى

الحارس تقترب :

في الضوء وفي العتمة ، ما تزال هنالك
استراحات إنسانية
ان كنت تصرين على أن تعجبكها معا
بغيطك .

* * *

٣ - من مجموعة (العاصفة) -

(LA BUFERA

١ - العاصفة - (La Bufera)

ال العاصفة التي تنهمر على أوراق
المانوليا القاسية

ورعد آذار الطويلة
والبرَّاد'

(رنين البلور في عشك
الليلي ، يفاجئك : من الذهب
المطفأ على الخشب ، على
الكتب المجلدة والمختلفة الأحجام ، وما
تزال تحرق

حبة سكر في

غلاف أهدايا ()

تتظاهرین بالاعتقاد بأنك معی ، وان
أکنْ أنا من الحماقة
بحيث أتبعك بعيداً . وما تشدّيـن عليهـ،
وما تقولـنـهـ، يـبـدوـ أنهـ فيـ مـقـدـورـكـ . . .

ليتها كانت حياتك تلك التي تبقيـنـی
على العـتبـاتـ . ولـیـتـ فيـ وـسـعـیـ أنـ
أـعـیرـكـ وجـهاـ ،
وـأـعـطـیـكـ شـکـلاـ خـادـعاـ . ولـکـ لـیـسـ هـذـاـ .
لـیـسـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ . انـ السـمـكـ الذـيـ
يـمـدـ
حـیـلـاـ منـ العـبـرـ ماـ بـيـنـ صـخـورـ الـبـعـرـ ،
يـكـنـهـ أـنـ يـسـتـخـدـمـكـ . انـكـ تـنـتـمـيـنـ إـلـيـهـ
دونـ أـنـ تـعـرـفـيـ ذـلـكـ . انـكـ هوـ، وـتـظـنـيـنـ
أنـكـ أـنـتـ .

★ ★ *

٣ - تاركا السؤال « أين ؟ » -
(Lasciando un "Dove ?")

حـمـامـةـ بـيـضـاءـ هـبـطـتـ عـلـیـ
بـيـنـ أـعـمـدـاـ ، أـسـفـلـهـاـ حـادـ ، وـعـلـیـهـاـ
تـعـشـشـ السـمـاءـ .
أـصـبـاحـ وـأـنـوارـ ، مـعلـقةـ . لـقـدـ أـحـبـتـ
الـشـمـسـ ،
وـلـونـ الـعـسلـ . وـالـآنـ أـرـيدـ لـونـ
الـرـمـادـ ،
وـأـرـيدـ النـارـ المـقـيمـةـ ، هـذاـ القـبـرـ

الـبرـقـ الذـيـ يـحـلـيـ الـأشـجـارـ
وـالـجـدرـانـ ، وـيـفـاجـئـهـاـ فـيـ
تـلـكـ الـلـحـظـةـ الـأـبـدـيـةـ - الرـخـامـ وـالـمـنـ
وـالـدـمـارـ - المـحـفـورـةـ فـيـ دـاخـلـكـ
وـالـتـيـ تـحـمـلـيـنـهـاـ دـيـنـونـةـ لـكـ ، وـتـشـدـكـ
إـلـىـ أـكـثـرـ مـاـ يـشـدـكـ الـحـبـ ، أـيـتـهـاـ
الـأـخـتـ الـفـرـيـبـةـ -
ثـمـ التـمـزـقـ الـقـاسـيـ ، وـالـآـلـاتـ
الـمـوـسـيـقـيـةـ ، وـارـتـعـاشـ
الـدـفـوفـ فـوـقـ الـحـفـرـةـ الـمـظـلـمـةـ ،
وـدـوـسـ الـأـورـاقـ فـيـ رـقـصـةـ الـفـانـدـانـغـوـ ،
وـمـنـ فـوـقـ
حـرـكـةـ اـيـمـاءـ . . .
مـثـلـمـاـ فـعـلـتـ
حـيـنـمـاـ التـفـتـ ، وـقـدـ اـنـزـاحـتـ عـنـ
جـبـيـنـكـ غـمـامـةـ الشـعـرـ ،
وـبـيـدـيـكـ
حـيـيـتـنـيـ ، لـكـيـ تـدـخـلـيـ فـيـ الـفـلامـ .

★ ★ *

٤ - سيرينادا هندية -
(Serenata Indiana)

لـناـ اـنـقـشـاعـ الـأـمـسـيـاتـ
وـلـنـاـ الشـرـيطـ الـفـوـئـيـ الذـيـ يـصـعـدـ
مـنـ الـبـحـرـالـىـ السـاحـةـ وـيـجـرـحـ الصـبـارـ .
فـيـ وـسـعـكـ أـنـ تـقـوـدـيـنـيـ بـيـدـكـ، اـذـاـ كـنـتـ

ونباتات القرّيصن ودوار الشمس .
· · ·

ولكنك في ذلك الغسق كنت هناك في
الأعلى :

قائمة ، وجناحك مقطوعان
من شدة صقيع لبنان المقابل .
وكان بريقك يحيل الى مثل صمغ
الشجر

التيجان السوداء على رؤوس الأغصان ،
وكانت الحمامات تتلو مقاطع الشريعة
عليك وحدك .

(من مسجد دمشق)

* * *

٤ - من مجموعة (خليط) -

(SATURA)

أرى أنني هنا في حاجة الى
تعليق ، قبل أن أدخل في الترجمات .
والسبب في ذلك أن كلمة (Satura) لاتينية ، وكان معناها : « القصائد
الشعبية الرومانية غير المستمدة من
أصل يوناني » وتعني أيضا : صنعا من
الطعام الشعبي يضم خليطا من أطعمة
متعددة . ومن هنا ترجمناها بكلمة
(خليط) .

وهذه المجموعة الشعرية الرابعة
للشاعر ، التي ظهرت عام ١٩٧١ ،
تمثل موقف الشاعر من أزمة اللغة

الذي لا يطير ، ونظرتك التي تتعداه .
(أدنبره)

* * *

٤ - سوريا -

كان القدماء يقولون ان الشعر
سلم الى الله . ربما لم يكن كذلك
اذا أنت قرات شعري . ولكنني عرفت
ذلك اليوم

حين عدت فوجدت صوتي لأجلك
منطلقا مع قطيع من الغيوم والأغnam
متفرق في منحدر ، يقضى
أوراق العليق والأعشاب المائية ،
وقد ذاب وجهها القمر والشمس
المعروفان .

لقد تعطل محرك السيارة ؛ وقطعة من
الدم

على حجر أسود كانت تشير
إلى طريق حلب .

* * *

٥ - على العمود الأعلى -

(Sulla colonna piu' alta)

يجب أن يقوم في الأعلى
المسيح الديان
لكي يقول كلمته .
ما بين حصباء الأنهر السبعة ،
ستخلق الغربان والبلابل على السواء ،

أقل غموضا في شعره ، وأسهل لفته منه في مجموعاته الثلاث السابقة . فليس من السهل أن يدرك القارئ - حتى غير العادي - مرامي شعره السابق بسهولة ؛ وهو فيه متاثر كل التأثر بصديقه الشاعر الأميركي (عزرا باوند) وبالشاعر ت. س. اييليوت ولا سيما في قصيده (الأرض اليسوار - The waste land) ورمزيته - أو انغلاقيته الابهامية - من هذه الناحية تختلف عن ابهام زميله (جوزيبي اونفاريتى) المتاثر برمزية (بول فاليري) .

أما في (Satura) وما يليها، فقد أصبح شعر مونتالي أكثر شفافية - ليس إلى حد كبير جدا ، بل إلى حد ما - وهذا ما يسمح لنا بأن نختار من هذه المجموعة أكبر عدد ممكن من القصائد ، من القسمين اللذين يشتمل عليهما الديوان :
(المترجم)

* * *

١ - من مجموعة (Xenia) :
- الاستماع كان طريقتك الوحيدة للرؤية
وقد انخفضت الآن نفقات الهاتف . . .

الشعرية الحاضرة ، الناجمة عن الجدال بين الفردية الرمزية والفرضية الواقعية الحديثة ، الداعية إلى جعل الشعر وعاء لضمادين المجتمع وايديولوجياته . ولم يكن مونتالي في يوم من الأيام ايديولوجيا ، يسخر نفسه وشعره لايديولوجيات المجتمع وعقائدياته ، لا في العهد الفاشيستي والنازي ، ولا في العهد الاشتراكي ؛ فهو يرد الشعر إلى أدواره الأبدية التي تجعله بطبيعته شيئاً للمجتمع ، ولكنها لا تجعل منه عملاً سياسياً ، أو مذهبياً اجتماعياً أو حزبياً ، ولا ترضي بأن يكون عملاً يفرض من الخارج ، لأن الشعر عمل فني ينبع من احساس داخلي .

وينقسم ديوان (Satura) هذا إلى قسمين أساسين : القسم الأول عنوانه : (XENIA) ومعناها : نبذ من الكلام ترسل مع الهدايا المرسلة إلى الأصدقاء . وهي مجموعة من القصائد عددها ٢٨ قصيدة ، استوحها الشاعر من ذكريات زوجته التي توفيت عام ١٩٦٣ . والقسم الثاني قصائد متفرقة .
ونلاحظ أن الشاعر ، ابتداء من هذه المجموعة الشعرية ، قد أصبح

لقد كنت أحبه دون أن أعرفه .
ما عداك لم يكن يتذكره أحد .
وأنا لم أقم بأي بحث . ولا فائدة
من ذلك الآن .

من بعدك بقيت أنا وحدى الذي يشعر
بأنه كان موجوداً . ولكن من الممكن ،
كما تعلمين ، أن يعب المرء ظلاماً
فنحن أنفسنا ظلال .

• • •

٥ - أيتها العشرة الصغيرة العزيزة
التي لا أدرى لماذا يدعونها ذبابة ؟
هذا المساء ، في مثل العتمة ،
وبينما كنت أقرأ في سفر (ثنية
الاشتراع) من التوراة

ظهرت من جديد إلى جنبي
ولكنك كنت دون نظارات ،
فلم تستطعي أن تريني ،
ولا استطعت أنا أيضاً ، لولا ذلك
البريق ،
أن أعرفك في الضباب .

• • •

٦ - لم أستطع قط أن أفهم هل كنت
أنا كلبك الأمين ، والمصاب بالسل ،
أم إنك كنت أنت لي كذلك .
أما الآخرون فلا ؛ لقد كنت لهم حشرة
حولاء

٢ - العودة إلى تذكر بكائك (وكان
بكائي مضاعفاً)

لا يفيد في اطفاء تفجر ضعفاته
التي كانت سبباً لدينونة
عامة
منك ، ولكنها دينونة لم تقع قط ، مع
الأسف .

• • •

٣ - « أكانت تصلي ؟ » - « نعم ،
كانت تصلي إلى القديس
أنطونيوس

لكي يجعلها تعيش من جديد
على المظلات المفقودة ، والأشياء الأخرى
من خزانة القديس إيرميتي » .
« فمن أجل هذا فقط ؟ » - « ومن أجل
موتها .
ومن أجل « » يكفي هذا ،
قال الكاهن .

• • •

٤ - مات أخوك في ريعان الشباب .
وأنت كنت الطفلة التي تنظر إلى
« في استراحة » في اللوحة البيضوية .
كان يؤلف قطعاً موسيقية غير مكتوبة ،
وغير مسموعة ،
هي الآن مدفونة في صندوق ، أو لعلها
تمزقت . وقد يعود إلى تاليفها واحد
لا علم له بها ، إن كان ما كتب قد كتب

ذراعي ، مليون درجة على الأقل ،
والآن لم يبق بعد غيابك غير الفراغ
عند كل درجة .
وبهذا أيضا كانت رحلتنا الطويلة
قصيرة .
ان رحلتي ما تزال مستمرة ، ولم
تعد تعرض لي
صادفات أو حواجز ،
أو مصائد ؛ ولا مصائب مما يعرض
لمن يؤمنون
بأن الحقيقة هي ما نراه فقط .

٠ ٠ ٠
لقد نزلت ملايين الدرجات وأنت
تتكئين على ذراعي
ليس لأن الرؤية بأربع عيون قد
تكون أفضل .
لقد نزلتها معك لعلمي ، من بيننا
نعن الاثنين
ان المؤذنين العقيقين الوحيدين ،
على الرغم من خبوما ،
كانا بؤبؤيك أنت .

٠ ٠ ٠
٩ - كان الغمار يسكب لك شيئا
من الجعيم . وأنت تقولين مذعورة :
« هل ينبغي أن أشربه ؟ ألا يكفي
أننا كنا في قلب نار بطئية ؟ »

ضائعة في ثرثرات
المجتمع الراقي . كانوا بسطاء ،
أولئك الغبياء ، ولم يكونوا يعرفون
أنهم هم أنفسهم مجال تندر وسخرية
لك ،
وأنه قد شاهدتهم ، حتى في الظلام ومن
دون أقنعة ،
حس منك لا يخطيء ،
ورادارك الخفافي .

٧ - في فندق سان جيمز ، في باريس ،
عليّ أن أطلب
(غرفة مفردة) - انهم لا يعبون
الزبائن غير المزدوجين - وكذلك
أفعل
في بيزنطية الزائفة - فندقك في
البندقية - لكي أبعث بعديّد حالا
عن مقصورة عاملات الهاتف ،
صديقاتك الدائمات . ثم أغادر
الفندق
وقد استنفدت كل الشحنة الميكانيكية ،
رغبة الحصول عليك من جديد ، ولو
في حركة واحدة ، أو عادة واحدة من
عاداتك .

٨ - لقد نزلت ، وأنت تتكئين على

٢ - من القسم الثاني (Satura)

١ - نهر الفرات - (Eufrate)

رأيت نهر الفرات في العلم :

جريانه البطيء ما بين

منخفضات متاكلة ووقفات عريضة في

فجوات من الرمل مزданة بنسيج من

عنакب الشجر .

ترى ماذا رأيت أنت خلال ثلاثين سنة

(أو مئة) . يقيناً أن ما رأيته كان

شيئاً منك .

لا تعددُ علىَ القول ان مساواكَا

أو فتات طعام ، أو شيئاً تافها ، يمكنه

أن يشمل كل شيء .

ذلك ما كنت أظنه حين كانت الدنيا

موجودة ،

ولكن تفكيري يتغير ، أو يتعلق حيث

يستطيع ،

ليقول لنفسه إنه لم ينطفئ . انه

هو نفسه لا يعرف شيئاً

فالطرق التي يسلكها عديدة ، وفي

بعض الأحيان ،

لكي يعطي نفسه اسماً ، يبحث عن

نفسه فوق المحيط الأطلسي .

• • •

٢ - قبل السفر -

(Prima del viaggio)

قبل السفر يقلب جدول المواعيد

١٠ - والجنة ؟ هل ثمة جنة ؟

- أظن ذلك يا سيدتي . غير أن

الخمور العلوة

لم يعد يريدها أحد . . .

١١ - يقولون إن شعري

شعر لا انتماء له .

ولكنه إذا كان لأجلك فهو منتم إلى

أحد :

اليك أنت بعد أن لم تعودي شكلًا ،

بل جوهرا .

• • •

ويقولون إن الشعر في قمته .

يعظم (الكل) في زواله ،

ويذكرون أن السلحقة

أسرع من البرق .

أنت وحدك كنت تعرفين ان العركة

لا تختلف عن الاحتقان ،

وأن الفراغ هو الامتلاء والصفاء

وأنه أكثر انتشاراً من السحب .

هكذا أدرك ادراكاً أفضل رحلتك الطويلة

وأنت حبيسة اللفائف والجبن .

ومع ذلك لا يريعني

أن أعلم أننا ، واحداً كنا أم اثنين ،

شيء واحد .

★ ★ ★

ثم يتم السفر ، وكل شيء على ما
يرام ،
ويجري كل شيء على أفضل ما يكون .

• • •

وسفرى أنا ؟

لقد درسته بكل دقة
ولكنني لم أعرف عنه شيئاً .

الصدفة هي الأمل الوحيد . ولكنهم
يقولون لي
إن من الغباء أن أقول مثل هذا .

• • •

٣ - المقشطة - (Il Raschino)

أتظن أن التشاوى
قد وجد حقاً ؟ ابني اذا ما نظرت
من حولي ، لم أجده له أثراً .
في داخلنا ليس من صوت
يتذمر . فإذا ما بكى ، فهذا غناء

معاكس
لا غناء البلدة الكبيرة الموعودة
التي هي الغد .
لقد قشطنا بالمقشطة
كل هبة من هبات الفكر . وها هي
الألوان جميعها تمجد لوحتنا ،
باستثناء اللون الأسود .

• • •

والصادفات ، وال الاستراحات ، وعدد
الليالي ،

والحجوز (لغرف مع حمام
أو رشاش مائي ، بسرير واحد ، أو

لشقة كاملة)

ويستشار دليل السياحة ، ودليل
المتاحف ،

وتبدل العملات ، وتُنقسم
الفرنكات إلى « سكودات » ،
و « الروبلات » إلى
« كوبيكات » .

قبل السفر يجري اعلام
بعض الأصدقاء أو الأقارب ، ويتم
تدقيق
العقائب وجوازات السفر ، و تستكمel
الملابس

ويُشترى العدد الكافي
من شفرات العلاقة . وعادةً
تلقي نظرة على حالة الجو ،
رجاءً أن تكون النسبة المئوية
للكوارث الجوية في درجة الصفر .

قبل السفر يكون المرء مطمئناً ، ولكنه
يتوجس
ويشك في أن لا تتعطل الآلة ، أو
تصاب

فرحة العودة بخطأ ما .

٤ - التاريخ - (La storia)

- ١ -

التاريخ لا ينفك في ترابطه
 فهو كسلسلة

من العلاقات غير منقطعة .
 وعلى كل حال ،

كثير من العلاقات لا يتماسك .
 التاريخ لا يشمل (قبل) و (بعد)

وليس فيه ما يغور
 على نار بطيئة .

انتاريخ لا ينتجه
 من يفكر فيه ، ولا حتى

من يجعله . التاريخ
 لا يجعل من نفسه طريقا . انه يمتنع ،

ويرفض البطء ، ولا يتقدم
 ولا يتأخر . انه يغير سكته

واتجاهه ،

ولا يدخل في برنامج .
 التاريخ لا يبرر

ولا يعرف الشفقة .
 وليس التاريخ باطنيا

لأنه في الخارج .
 ولا يعطي التاريخ

مداعبات ، ولا لسعت سوط .
 وليس التاريخ سيدا

لشيء مما يخصنا .
 ومعرفة ذلك لا تفيد

- ٢ -

التاريخ ، على كل حال ،
 ليس تلك المدحلاة المدمرة التي يقولون
 عنها ،
 فهو يترك ممرات سفل ، وكهوفا ،
 وثقوبا ،
 ومخابئ . ويظل ثمة من يبقى حيا .
 والتاريخ رحيم أيضا : يدمّر
 كل ما يستطيع تدميره .
 فإذا ما بالغ في ذلك ، طبعا ،
 كان ذلك أفضل . غير أن التاريخ ،
 لنقص في معلوماته ،
 لا يكمل كل انتقاماته .

• • •

التاريخ يحتك بالأعمق
 كشبكة معروفة ،
 فيها ثقوب ، تهرب منها بعض
 الأسماك .
 وقد تصادف أحيانا الطبقة الخارجية
 لغلية حية
 لأحدى الأسماك الناجية . إنها سعيدة
 بشكل خاص .
 فهي تجهل أنها خارج الشبكة . ولم
 يقل لها أحد ذلك .

٥ - من مجموعة (يوميات عام ٢١
وعام ٢٢)
(Diario del' 71 e del' 72)

١ - الصيد - (La caccia)

يقال إن على الشاعر أن يمضي
لاصطياد مضمرين شعره .
ثم تكون النتيجة أن طرياته
ينبغي أن تتجاوب مع ما يحدث في
العالم ،
أو ، على الأصح ، مع ما قد يكون العالم
الأفضل .

• • •

غير أنه في العالم الأسوأ يمكن أن
يصاب بالرصاص
صياد آخر ، أو فرخ صغير
هارب من القفص .

وأما في العالم الأفضل فلن تكون ثمة
حاجة
إلى الشعراء . سنصبح كلنا ممن
يلقطون الطعام بمناقيرهم . . .

• • •

٢ - النار - (Il fuoco)

نحن في عيد الفصح ، وليس من
وسيلة
لأن تنزل من السماء السنة نارية .

أما الأخرىات داخل الكيس ، فتعتقد
بأنها أكثر حرية منها .

★ ★ ★

٥ - نهاية عام ١٩٦٨ -
(Fine del' 68)

(هذه القصيدة من وحي حرب فيتنام)
تأملت من القمر ، أو قريبا منه ،
الكوكب المتواضع الذي يحوي
الفلسفة ، واللاهوت ، والسياسة ،
والكتابة الداعرة ، والأداب ، والعلوم ،
ظاهرة أو خفية . وفيه يوجد أيضا
بني الإنسان
وأنا من بينهم . وكل شيء شديد
الغرابة
• • •

بعد ساعات قليلة يهبط الليل ، والعلم
ينتهي بين انفجارات زجاجات الشمبانيا
والبارود . ربما كانت انفجارات
قنابل ، أو أسوأ ،
ولكن ليس هنا ، حيث أنا الآن . فإذا
مات أحد

فلا يبالي به إنسان ، مadam
مجهولاً وبعيداً . . .

• • •

هي فرض آخر يفرض علينا .
· · ·

ولن يحدث أبداً أن تبدأ بالنفس
كما خدعونا في مدارس (برليتس)
ولن يحدث أبداً أن توجد في كتب
القراءة .

وبكل تأكيد لن تأتي منك ، أيها
الشريف ، أو من عصبتك ،

ولا من صوت البوّق ، ولا من
يتغذى منها جلداً آخر لا يلبث أن
أن يلقي به عنه .

· · ·
ال اللعبة ليست ملكاً لأحد . ومثلها
رغوة الصابون التي تلمع لحظة ،
وتنفجر
· · ·
ولا تدرى من أين جاءتها النفحة .

٤ - في المؤتمر - (Al congresso)

ان كان الانسان' هو مخترع الحياة
(ومن ترى يهتم بها لولاه ؟)
أفليس من حق الانسان أن يدمّرها ؟
ذلك ما كان يقوله في المؤتمر
المفكر المعترم ، الذي لم يرفع قط
اصبعاً
لكي يخرج من القطيع .

ومع ذلك فإن نبياً اسمه (إرميا)
قد ظهر على الشاشة
وقال إن الأمر آتٍ عما قريب .
ولكن النار لم ير أحد منها شيئاً ،
 سوى بعض القنابل الدخانية عند زاوية
شارع (بيلي)^(١)
هؤلاء الذين يخلطون الكلام بتصاريفهم
المزدوجة ، أو بالفاسطين ،
يبدو أنهم لا يعرفون الكثير عن
مظهرهم السريع الزوال ،
ان النار لن تأتي من فوق ، بل من
تحت .

وهي لم تنطفئ قط ، ولم تكبر
أبداً ،
ولم يرها قط أحد ، سواء من علماء
النار أو من علماء البراكين .
والذي يفطن لها لا ينذر الآخرين ،
بل يظل أبكم .
وطيور الشؤم لم يعد يؤمن بها أحد .
· · ·

٣ - أين تبدأ اللعبة ؟ - (Dove comincia la carita ?)

هذه الدفقة العنيفة من اللعبة
التي تنصب فوقنا

(١) هو الشارع الذي يقيم فيه الشاعر ، قريباً من دار مسرح (لاسكارا) الشهير في مدينة ميلانو .

■ ايجينيو مونتالي ■

إن النكتة السوداء قد ماتت مع جان
بول ،
ومع جوناتا سويفت ، وأشيل
كمبانيله !!!

• • •

٨ - الايجابي - (Il positivo)

فلنكتب حين تشرق الشمس
وليلتفت كل منا الى مكتبه .
اذا بقي لنا شيء ، ولو كلمة (نعم)
على الأقل
فلنقلها ، ولو بعيون مغمضة .

• • •

٩ - السلبي - (Il negativo)

من صفار بيضة واحدة يدخل الشبان
في تمارين العيادة . فيinous
تقودهم ، وعطارد يفرقهم ،
ومارس يصنع البقية . ولن يطول
بريق ضوء ما على أكر وبول
هذا الربيع الذي ما يزال متھبا
خجولا .

• • •

١٠ - لدينا الكفاية من ... (Ne abbiamo abbastanza di ...)

لدينا الكفاية من ...
هذا ما يتكرر بالاجماع .

٥ - الذي يمسك بالخيوط -

(Chi tiene i fili)

الذي يمسك بالخيوط يعرف عنها أكثر
منا ،
والذي لا يمسك بها يعرف عنها أكثر
أو أقل .

• • •

ونقارن بينهما ، فاذا
بالمصيبة تقع ، والكارثة ،
لا أقل ولا أكثر .

• • •

٦ - العصان - (Il cavallo)

أنا لست حصان كراكلا ،
كما يعتقد (بينفوليyo) .
لست أجري في « الدربي » ، ولا أقتات
بالحشائش ،
ولم أكن قط رجل سباق ، ولا أعرف
حتى الخبب . حاولت أن أكون
إنسانا . وهذا كثير جدا
عليه (وعليه) .

• • •

٧ - بهذه العلامة ...

(In hoc signo)

في روما وكالة للجنائز الفخمة
اسمها (المستقبل) . ثم يقال

ولكن من ماذ؟ من الحياة؟ كلا؛
ومن الموت؟ أبدا؛ لا يقول هذا أحد.

من الـ (من) يبدأ التشعب
الذي يتفرع منه كل غصن
لكي يزداد بعدئذ تشعباً، وهكذا.
ربما

كانت المادة أيضا
قد تعبت من كثرة ما توالدت.

١١ - نحو القعر -

(Verso il fondo)

الشبكة التي تلامس القعر
لا تصيب
غير الأسماك الصغيرة.
بشبكات أخرى، أصبحت
أسماكاً خطافة
وسلحافة أيضا
ولكنها كانت ميتة.
والآن وأنا أحاول من جديد
بصيارة وخيط
يظل الطعم غير ملموس

في المياه العكرة .

• • .

الكتافة شديدة من حولي ،
ومن فوق ، ومن تحت في الهواء .
ليس من تقدم ؛ والحركة
هي تمزق .

• • .

١٢ - للختام - (Per finire)

وصيتي لمن سيخلفونني
(إن وجدوا) في دنيا الأدب
- وسيظل من غير المحتمل
أن يشعروا ناراً جميلة لكل ما
يتعلق بعياتي ، وأفعالي ، وما لم
أفعله - :

أنني لست الشاعر ليوباردي ؛ ولن
أخلف غير القليل للاشتعال ،
فكثير جداً أن أعيش بنسبة مئوية .
لقد عشت بنسبة خمسة في المئة . فلا
تزيدوا
العيار . غير أنه كثيراً ما ينزل المطر
على المُبتَلِ . . .

حول الشاعر

ربما كان العالم العربي لا يعرف شيئاً - أو قد يعرف البعض القليل جداً - عن الشاعر الإيطالي ايوجينيو مونتالي ، الذي فاز أخيراً بجائزة نوبل للأداب لعام ١٩٧٥ . ولعله لم يكن يسمع باسمه قبل أن تتوج حياته وأعماله الأدبية هذه الجائزة العالمية ، التي تعتبر أعظم تقدير يتوج به أديب على نطاق عالمي . غير أن مونتالي في الغرب يتمتع بشهرة واسعة ، وشعره مترجم إلى العديد من اللغات الغربية . وأما في بلده ، إيطاليا ، فمونتالي هو شاعر الإيطاليين الأكبر من بين شعرائهم الأحياء . وكان قبل وفاة زملائه الشعراء الثلاثة العظام (أومبرتو سابا) المتوفى عام ١٩٥٧ ، (وجوزيبي أونفاريتى) المتوفى عام ١٩٧٠ ، و (وسلفاتوره كوزايمودو) المتوفى عام ١٩٦٨ ، واحداً من أعظم شعراء إيطاليا (بعد جيل غبريبيلي دانوننتزيو ، وجوزويه كردوتشي) ، بل كان أشهر كثيراً من كوازيمودو قبل فوز كوازيمودو بجائزة نوبل عام ١٩٥٩ . وحين فاز كوازيمودو بالجائزة في ذلك العام ، كان فوزه خيبة أمل للأغلبية الساحقة من الإيطاليين ، الذين كانوا يتوقعون أن يفوز بها (أونفاريتى) أو (مونتالي) ، ولم يخطر في بال أحد منهم أن التاج سيخطئ طريقه إلى رأسيهما ، ويهبط فجأة على رأس كوازيمودو .

ولد مونتالي في مدينة جنوا البحريّة ، في الشمال الغربي من إيطاليا ، في ١٢ أكتوبر ١٨٩٦ . وهو آخر خمسة أخوة لأبيه (دومينغو) وأمه (جوزيبينا ريتشي) . وكان أبوه يدير ميلاً تجاريًا مع أقربائه . وقد توفي أبوه عام ١٩٣١ .

بعد أن أنهى ايوجينيو دراسته الابتدائية ، دخل مدرسة مهنية ؛ ولكنه لم يلبث أن اضطر إلى قطع دراسته لسوء صحته . وكانت شقيقته (ماريانا) أول من قاد خطاه الثقافية . وكانت ماريانا قد أنهت دراستها الثانوية ، وببدأت دراسة الفلسفة في المرحلة الجامعية . وكذلك ساهمت صيفيات الشاعر مع ذويه في

بيتهم الريفي في (مونتيروسو) في تكوينه النفسي ، وتوجيهه نحو النظر في الأعمق . وقد ظهر أثر ذلك في شعره فيما بعد .

وحاول مونتالي أن يدرس الموسيقى في أثناء بحثه عن وسيلة تناسب طموحاته وميله ، ولكنه ظل حتى الخامسة والعشرين من عمره يبحث دون أن يصل إلى قرار .

في سنة ١٩١٧ دخل مونتالي مدرسة الضباط المشاة في مدينة (بارما) ، ثم اشتراك في الحرب العالمية الأولى . وبعد الهدنة ، عهد إليه بقيادة أحد معتقلات الأسرى . ثم أُعْفِي من الخدمة العسكرية عام ١٩١٩ . فعاد إلى جنوا ، وهناك بدأت صلاته الأدبية مع الأدباء الذين كانوا يلتقطون في (مقهى ديانا) في المدينة . وفي الوقت نفسه عكف على دراسة الانكليزية والاسبانية على نفسه . وأخذ يقرأ قصائد لشعراء عديدين ، ويهم بالفلسفة . وقد وجد بغيته في كتابات الناقد الإيطالي الشهير (بنيديتو كروتشي) التي كانت تتميز بالثالية الإيجابية . تم تأثيره بعدد من الكتاب الفرنسيين . في سنة ١٩٢٢ صدرت في مدينة تورينو مجلة (الزمن الأول - Primo tempo) وكان عددها الثاني ، الصادر في منتصف حزيران من ذلك العام ، يحتوي على سبع قصائد معاً لـ (يوجينيو مونتالي) . وهذه القصائد سبعة فيما بعد في مجموعته (عظام سمك السبيدج) في طبعة دار (موندادوري Mondadori) وهي من القصائد التي كتبها الشاعر عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ ، لا واحدة هي أقدمهن جميعاً ، لأنها كتبت عام ١٩١٦ ، وهي التي مطلعها : « أقف عند الأصيل شاحباً مسترققاً » . ثم مضى مونتالي بعد ذلك يكتب في المجالات الأدبية شعراً ونثراً ، وبأسمه يأخذ مكانه في حياة الأدب الإيطالي الجديد ، شاعراً وناقداً .

وفي سنة ١٩٢٥ صدرت مجموعته الشعرية الأولى (عظام السبيدج) ، وكان عمره ٢٩ عاماً . وكانت هذه المجموعة - كما نرى من النماذج المترجمة منها - شديدة الفوضى ، معقدة المعاني ، وتتناسب تماماً مع شعر الشاعرين الأميركيين (عزرا باوند ، وتوماس شتين إيلليوت) ، ولا سيما مع قصيدة إيلليوت المطولة (The waste land) الغامضة المعقدة ، والملاي بالأجاجي والطلاسم . وكان شعر مونتالي ، إلى جانب الرمزية الشديدة الفوضى ، يعنّي إلى الكآبة الشديدة ، وإلى

الخيالات السوداء ، وكثيراً ما يجذب إلى القنوط ، حتى لقد دعى بشاعر القنوط .
وكان أغلب شعره في (عظام سمك السبيديج) من وحي الحرب العالمية الأولى ، وما
جرّته من الفواجع والدماء والدمار ، وما تلاها من آثار اليمة ، جاءت معها بالحكم
الفاشistiي الدكتاتوري .

وفي شهر آذار عام ١٩٢٧ انتقل مونتالي إلى مدينة فلورنسا ، وعمل في دار
(Bemporad) للنشر . وكان العمل قاسياً ومرهقاً بالنسبة إليه ، وغير ملائم
لصحته . وهو يصفه في رسالة إلى صديقه (إيتالو سيفو - Italo Svevo)
الكاتب الإيطالي المعروف ، بتاريخ ٢٦ آذار ١٩٢٧ ، فيقول :

« أنا الآن في دار (بيمبوراد) وأعمل ثمان ساعات في اليوم . وداعاً أيها
الأدب وأيتها الدراسات !! وليتني كنت في مدينة مثل ميلانو ، تتوافر فيها مصادر
العيش ... » . ويدرك مونتالي في الرسالة أنه يعيش في ظروف سيئة ، وأن راتبه
ضئيل جداً . ويضيف قائلاً :

« كم أود لو أغير عملِي . ولكن كيف ؟ أظن أنني سأبلغ الثمانين من عمري
دون أن أتعثر على سبيلي ، أو على نوع الحياة المستقرة التي أريد » . ثم يقول أيضاً
في رسالة أخرى من صيف ذلك العام نفسه : « أنتي مخطئ حقاً في عملِي في مؤسسة
للنشر ، بدلاً من بيع السمك المقدد ، أو لبان المضغ ... » وفي رسالة أخرى يقول :
« إن صحتي سيئة دائماً ، وأنا أسوأ ما أكون من حيث تنظيم الأمور المالية ... » .

غير أن مدينة فلورنسا كانت ، من ناحية أخرى ، ذات أهمية بالغة في حياة
مونتالي الثقافية ، وفي لقاءاته الأدبية . فلم يلبث أن اشتراك في تحرير مجلة
(Solaria) الأدبية . وهي مجلة أنشئت عام ١٩٢٦ ، وكانت ذات
أثر كبير في قيادة الحركة الأدبية الإيطالية ، وربطها بالأدب الأوروبية الجديدة .
وكان يشتراك في تحريرها نخبة من كبار النقاد والكتاب الإيطاليين ذوي النفوذ
الواسع في الحياة الأدبية الإيطالية ، وذوي الاطلاع الواسع على الأدب الغربية
الأخرى ، في أوروبا وأميركا .

وترك مونتالي العمل في دار (بيمبوراد) عام ١٩٢٨ ، وعينه محافظ

فلورنسا مدیراً لاحدى دوائر قصر المحافظة . وبهذا العمل انحالت لديه المشكلة الاقتصادية . وفي سنة ١٩٣٠ نال أول جائزة أدبية ، وهي جائزة (Antico Fattore) على مجموعة من قصائده، ظهرت بعده في منشورات دار (Vallecchi) بعنوان (بيت رجال الجمارك وقصائد أخرى) - وهي الآن قسم من ديوان (المناسبات) . وظل مونتالي في الوقت نفسه على أوثق صلة بمجلة (Solaria) الأدبية، ذات الصلة القوية بالأدب الغربي ، لفك عزلة الأدب الإيطالي ، وربطه بالأدب الأخرى . وعن طريقها عرف الإيطاليون العديد من أسماء الكتاب الأميركيين والإنجليز والفرنسيين والروس ، من أمثال (ويتمان ، وملفيل وفيتزجيرالد ، وهمنغواي ، وجويس ، وفوكنر ، وماياكوفסקי) وغيرهم . ولكن المجلة لم تثبت أن أصبحت عرضة لمضايقات النظام الفاشستي ، وللمصادرة أحياناً ، وأخيراً للغلق ، ولاسيما بعد أن نُشرت فيها متسلسلة ، عام ١٩٣٤ ، رواية (القرنفلة العمراء - Il garofano rosso) للروائي (إيليو فيتوريني Elio Vittorini) الذي كان قد تسلم سكرتيرية تحريرها منذ عام ١٩٣٠ ، ثم ظهور المجموعة الشعرية (العمل يرهق - Lavorare stanca) للشاعر (تشيزاره بافيزه Cesare Pavese) عام ١٩٣٦ .

أما مركز مونتالي في الفئة الأدبية العاملة في مجلة (Solaria) فقد كان مركز المحوّر للحركة الشعرية الإيطالية العرة ، ولل الفكر الإيطالي الذي لم يتأثر بالفاشية ، ولا خضع لتوجيهاتها الفكرية والعقائدية . وكان الانتقام إلى تلك المجلة ، يعني حينذاك ، في الأوساط الأدبية : « مناؤة الفاشية ، والانتقام إلى العالمية ، وعدم التقليد » - كما يقول (فيتوريني) - وقد رفض مونتالي الانتقام إلى العزب الفاشي بصلابة عنيدة ، مما أوقعه تحت المراقبة الدقيقة من قبل النظام الفاشستي .

في سنة ١٩٣٩ صدرت مجموعة مونتالي الشعرية (المناسبات) في تورينو . وكان الشاعر بعد اغلاق مجلة (Solaria) قد راح يتعامل مع مجلتين آخريتين ، هما : (الآداب - Letteratura) و (حقل مارس Campo di Marte) (وما مجلتان كانتا تعاولان المضي على الطريق التي نهجتها من قبل مجلة (صوالريا) . وكانت الأولى قد ظهرت عام ١٩٣٧ ، أما الثانية فقد عاشت سنة واحدة فقط

(آب ١٩٣٨ - آب ١٩٣٩) ، وكانت تمثل الشعر الرمزي الإيطالي الجديد . وتعاون مونتالي كذلك مع مجلة أخرى تدعى (Primato) عاشت من سنة ١٩٤٠ إلى سنة ١٩٤٣ .

وفي أعوام العرب العالمية الثانية ظهرت لمونتالي مجموعة شعرية صغيرة ، عنوانها : (أطراف الأرض - Finisterre) ، وقد صدرت في سويسرا عام ١٩٤٣ ، لأنه لم يكن ممكنا ظهورها في إيطاليا بسبب الإرهاب الفاشي . وهذه المجموعة تتولف الآن القسم الأول من ديوان (العاصفة) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٦ .

في عام ١٩٤٠ دعى مونتالي مرة أخرى إلى السلاح ؛ وظل في الجندية إلى عام ١٩٤٢ ، ثم أُعفي من الخدمة . ولما كان عمله في قصر المحافظ قد انتهى باستدعاءه إلى السلاح ، فقد أصبح عليه أن يعمل ليعيش من جهده الخاص . فعكف على الترجمة من الأدب الأجنبية . فترجم للفيل ، وفيتزجيرالد ، وشتاينبيك ، وهمنغواي ، وفوكتن ؛ كما ترجم عن الفرنسية رواية (السيد) لكورناري ، و (فاوست) مارلو ؛ وترجم عن الانكليزية رواية (هاملت) لشكسبير . ولقيت هذه الترجمات نجاحاً حسناً .

وفي نهاية الحرب انضم مونتالي إلى جمعية الثقافة والفن ، والى حزب العمل . وتولى عام ١٩٤٥ إدارة مجلة (العالم - Il mondo) الأسبوعية . وفي هذا العام عينه ظهرت في فلورنسا الطبعة الإيطالية الأولى من مجموعته الشعرية (أطراف الأرض) التي كانت قد ظهرت من قبل في سويسرا عام ١٩٤٣ .

في تلك الفترة التي بدأ فيها الوعي للواجبات التي تنتظر من سيتولون قيادة فترة ما بعد الحرب في إيطاليا ، راحت كتابات مونتالي تتناول القضايا الأخلاقية ، ودور الثقافة في هذه الفترة العرجاء . ولكنها ظل على أبائه الانتداء إلى أي حزب سياسي ، ليظل حراً يمارس الشعر الحر ، والنقد الحر ، والثقافة الحرة ، لاعتقاده الجازم بأن الحرية أقدر على القيادة من القيود الفكرية العزبية والسياسية .

عام ١٩٤٨ انتقل مونتالي إلى مدينة ميلانو ، ليعمل محراً في كبرى

جرائد ايطالية اليومية (Corriere della sera) وكان يكتب فيها منذ عام ١٩٤٦ . وفي عام ١٩٥٥ أصبح ناقداً موسيقياً لاحدي الصحف الأسبوعية التي تصدر عن دار الجريدة المذكورة . وحين عرفته عام ١٩٦٠ ، كان رئيس تحرير القسم الأدبي فيها . ولما زرته بعد ذلك عام ١٩٧٣ ، وكان قد بلغ مرحلة من الشيغوخة تمنعه من العمل ، قال لي انه لا يزال ، رسمياً ، رئيس تحرير للجريدة ، ولكنه عملياً لم يذهب الى هناك منذ سنتين ، ومع ذلك لا يزال يتلقى راتبه منها كما لو كان يعمل فيها .

وجمعت مقالات عديدة مما نشره مونتالي في الجريدة في كتاب ، صدر عام ١٩٥٦ بعنوان (فراشة - دينارد - La farfalla di Dinard) . وقد أعيد طبع هذا الكتاب في دار (موندادوري) عام ١٩٦٠ ، مضافاً اليه بعض المقالات الأخرى ، بالعنوان نفسه . وقام مونتالي برحلات صحافية للجريدة ، كان من بينها رحلة رافق فيها البابا بولس السادس في زيارته للأردن عام ١٩٦٤ .

ومثلاً كان مونتالي أميناً لفنـه الشعـري ، وحرـيته الفـكريـة . رغم الاـضطهـاد الفـاشـستـي ، كـذـلـك ظـلـ أمـيـنا لـفـنـه الشـعـري وـحرـيـته الفـكريـة بـعـد زـوـالـ الفـاشـستـيـةـ والنـازـيـةـ ، وـظـهـورـ الأـحزـابـ السـيـاسـيـةـ الـجـدـيدـةـ الـمـتـعـدـدـةـ فيـ إـيـطـالـيـاـ .

في سنة ١٩٥٦ ظهرت في البندقية مجموعة مونتالي الشعرية (العاصفة) التي اشتمل القسم الأول منها على مجموعته الصغيرة السابقة (أطراف الأرض) . كما ظهر كتابه النثري (فراشة دينارد) . وفي تلك السنة عينها فاز مونتالي بجائزة (Marzotto) الأدبية . وفي عام ١٩٦١ منحت جامعة ميلانو الشاعر درجة الدكتوراه الفخرية ، تكريماً للقيم الفنية الرفيعة في شعره . وفي العام التالي ، ١٩٦٢ ، نال جائزة (Feltrinelli) ، وهي الجائزة التي تمنحها الأكاديمية الإيطالية المعروفة باسم (Accademia dei Lincei) ، أو (أكاديمية الفهود) ؛ وقيمة الجائزة النقدية نحو عشرين ألف ليرة إيطالية ، أو ما يعادل عشرة آلاف دينار أردني . وهي بهذا كبرى الجوائز الإيطالية من حيث قيمتها المادية ، إلى جانب قيمتها الأدبية العالية كذلك .

وفجع الشاعر عام ١٩٦٣ بفقد رفيقة حياته ، فكان لوفاتها أثر فاجع في

نفسه ، وفي حياته وشعره . وقد ظهر هذا الأثر جلياً في مجموعة القصائد التي ظهرت فيما بعد ، وجعل الشاعر عنوانها (Xenia) . وكان الفراغ الذي أحس به في نفسه لوفاتها مثل الفراغ الذي أحس به في بيته . وقد جُمعت القصائد التي كتبها مونتالي لأجلها في كتيب يضم ما كتبه الشاعر منها عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٦٦ فقط . ولم يطبع من هذا الكتيب ، الذي دعاه (Xenia) سوى خمسين نسخة فقط . ثم أعيد طبع هذه المجموعة ، مع ما أضافه إليها الشاعر بعد ذلك ، في القسم الأول من ديوانه (خليل) الذي صدر عام ١٩٧١ عن دار (موندادوري) .

في حزيران عام ١٩٦٧ عين الرئيس الإيطالي (جوزيبي سارغات) الشاعر مونتالي (عضو مدى الحياة) في مجلس الشيوخ الإيطالي «لأنه مجد الوطن بمزاياه الرفيعة جداً – كما جاء في براءة التعيين – في حقل الأدب والفن» .

وصدر مونتالي كتاب نثري عام ١٩٦٩ عنوانه (خارج المنزل – Fuori di casa) . وفي سنة ١٩٧١ صدرت عن (دار موندادوري) مجموعة الشعرية (خليل – Satura) كما ظهرت عن دار نشر أخرى مجموعة شعرية بعنوان (يوميات عام ٧١ – Diario del' 71) ولكن لم يطبع منها سوى مئة نسخة . ثم أعيد نشر هذه المجموعة ، مع قصائد أخرى ، في دار (موندادوري) بعنوان (يوميات عام ٧١ وعام ٧٢) وصدرت هذه المجموعة عام ١٩٧٣ . وفي هذه الفترة عينها أصدر ناشرون آخرون ، في طبعات محدودة جداً ، مقتطفات من شعر مونتالي ونشره ، بعضها كان قد نشر من قبل ، وبعضها مختارات من هنا وهناك .

وفي عام ١٩٧٤ منحت جامعة (بازيليا – Basilea) الشاعر مونتالي درجة الدكتوراة الفخرية «تقديرًا لاحفاظه على حرية الشعر ، وفنيته ، وقيمه الرفيعة ، حتى في الأزمات التي سُخّر فيها الشعر والفن ، وكل شيء ، للسيطرة السياسية» .

وليس شعر مونتالي هو وحده الذي حدد مكانة مونتالي الرفيعة في إيطاليا ، فلقد كانت مقالاته النقدية ذات أكثر كبير جداً في تحديد هذه المكانة ، لأنها كانت تحدّيداً لمعالم الطريق الصحيح للشعر وللفن ، وأنها كانت تؤكّد ايمان الشاعر بأن الشعر أسمى من تقلبات السياسة ، ومن حاجات المجتمع الآنية ، وأن اخضاعه

لهذه كلها هو ضرب من الطفيان يجب الوقوف في وجهه بصلابة عنيدة . ومعنى هذا أن الشاعر ، بمقالاته النقدية ، دافع باستمرار عن قيم الشعر الإنسانية ، ووقف يعناد في وجه الداعين إلى ابتداله . ومن دون شك كان مونتالي أثره في تحديد الاتجاهات الشعرية السليمة في جيله ، وفي الأجيال التي جاءت بعده من الشعراء والنقاد الإيطاليين .

غير أن نظرة الشاعر إلى الحياة كانت دائماً نظرة كآبة وتشاؤم ، بل كانت أحياناً نظرة فيها بعض معاني القنوط ؛ حتى لقد دعى الشاعر — ولا سيما بعد ظهور مجموعته الشعرية الأولى (عظام السبيديج) — بشاعر القنوط . ومع ذلك كان كثير من النقاد يرون فيه (الشاعر الأكمل ، والأدق تعبيراً عن معاني الحياة ، والأكثر ادراكاً لحقيقةاتها) — كما جاء في كتاب (Letture italiane per stranieri) لمكاتبين الإيطاليين (بورميولي وبيلليغرينيتي .)

يقول الشاعر (إيرaldo Miascia) في مقابلة أجراها مع مونتالي لمجلة (La Fiera Letteraria) الأسبوعية ، التي هو رئيس تحريرها : « إن مونتالي يحس احساساً قوياً بمسافة الوجود ، وتناقضاته ، وبسرعة اندفاع هذا الوجود نحو هاوية نجهلها » . ويقول مونتالي في هذه المقابلة « إن واجب الكاتب أن يعمل لخلاص شيء ما » .

ورسالته الشعرية تقوم على أن الوجود الإنساني أمر لا يمكن تجنبه ، في ضوء التحليل المنطقي البارد ، وبأنه هو نفسه لا يملك أن يقدم آية تعزية . هذا كله نجده في كل مجموعاته الشعرية ، وهو ما رسم في أذهان قراء مونتالي دائماً . ولذلك نجد الكاتب الإيطالي (كلاوديو مارابيني - Claudio Marabini) في كتابه النقدي (المفتاح والحلقة — La chiave e il cerchio) يستغرب أن يجد (مونتالي جديداً) وغريباً عن نفسه في حفلة منح مونتالي (جائزة إلبا - Premio Elba) على كتابه الشري (خارج المنزل) ؛ وذلك لأن مونتالي ، في الكلمة التي القاماً في تلك المناسبة ، قد قال : « إن هذا العالم الذي نعيش فيه ليس عالماً قبيعاً على الأطلال ، وأنه وبالتالي عالم يستحق أن نحبه » .

يعلق مارابيني على هذا التصريح بقوله : « هذا التأكيد الأخير هو الذي أدهشتني وأدهش الآخرين : فحتى تلك اللحظة وكلمة مونتالي – ان لم تكن غارقة في الذوق العدمي (Gusto nichilistico) – كانت على الأقل تدور على صورة الدمار الذي تحدثت عنه رؤيا القديس يوحنا ؛ أي أن : العالم على عتبة المجهول ، أو الدمار ، والانسان على وشك التصفية ، والقيم التقليدية أصبحت مدمرة ، ولا شيء يمكن التنبؤ به ، بل كل شيء رهن بالصدفة ، ومن ضمن ذلك الفنون ، الخ » . ويضيف مارابيني دهشته من أن مونتالي قد ألقى تصريحة ذاك الجديد في الحفلة بملء حريته ورادته . وهكذا أعرب مارابيني عن استغراقه البالغ لتغيير نظرة مونتالي إلى العالم ، وإلى مصير الإنسان ، ومصير الفنون . ولكن مارابيني ، في الوقت نفسه ، وهو يرى في تصريح مونتالي هذا خروجاً على كل ما آمن به في حياته ، حتى لكان مونتالي هذا انسان جديد ، لم يعرفه الناس من قبل ، ولا صلة له بمونتالي الذي يعرفونه ، لا ينكر قيمة مونتالي وشعره ، بل يقول في المقال عينه ان حضور مونتالي نفسه في حفلة تسليم الجائزة اليه « كان تكريماً للجائزة ، أكثر مما كانت الجائزة تكريماً له » .

وأما (فرديناندو فيرديا – Ferdinando Virdia) المحرر في المجلة الأدبية الأسبوعية الوحيدة في إيطاليا (La Fiera Letteraria) فيقول في افتتاحية المجلة لعددها رقم ٤٤ من سنتها الحادية والخمسين ، الصادر في ٢ نوفمبر ١٩٧٥ ، بمناسبة اعلان فوز مونتالي بجائزة نobel : « من المعلوم أن أعمال الكاتب الذي يراد منحه الجائزة ينبغي أن تكون قد ساهمت في خدمة السلام والأخاء العالمي » . ويضيف قائلاً : « إن الأكاديمية السويدية ، عندما منحت مونتالي جائزة Nobel ، قد اعتبرت من أهم مزاياها شاعرنا ، إلى جانب مزاياه الأدبية ، عدم انضمامه إلى فئة الأدباء الذين أخضعوا أدبهم للدكتاتورية إبان أعوام الحكم الفاشisti العشرين ... وهذا مهم جداً ، ولا ريب ، فهو يذكر قصبة منع الجائزة لمونتالي ، إلى جانب أهمية أعماله الشعرية » .

ويشير الكاتب إلى أن مونتالي ليس شاعراً إيطالياً فحسب ، بل هو أيضاً أديب أوروبي ، مهم بالثقافة الأوروبية ، أي بالثقافة التي تقوم على قيم أساسية

لا محيد عنها ، من مثل حرية الفكر والتعبير ، واستقلالية البحث ، وتنمية روح الاستقلال في العمل الفكري ، بعيدا عن الايديولوجيات ، وعن سياسة السلطة ... وبكلمة أخرى ، قيم المدنية العرة بأوسع معانها » .

ويختتم فيريديا مقاله بقوله : « ان فوز مونتالي بجائزة نوبل قد يكون أيضا تصويتا على الثقة الأوروبية ، قبل أن تكون ثقة سويدية ، بالقدرة على المقاومة القائمة على الاستقلال والحرية في الثقافة الإيطالية ، ومع الثقافة ، بالمجتمع الإيطالي نفسه » .

أما الناقد الإيطالي الكبير (سيرجيو سولمي - Sergio Solmi) ، رفيق الصبي لمونتالي منذ عهد الدراسة في مدرسة الضباط المشاة ، في مدينة بارما ، وزميله بعده في مجلة (صولاريا) في فلورنسا ، والذي كتب المقالات الطوال حول مونتالي وشعره ، فقد أفرد مونتالي الفصلين : الأول والأخير من كتابه (كتاب في الأعوام - Scrittori negli anni ١٩٦٣) الصادر عام ١٩٦٣ ، وفيه يقول :

« ان قصائد مونتالي غالبا ما تعمل على اذابة مادة الوحي المباشرة في نبرة أساسية انعكاسية وموزونة ، تتجاوز ظروف الانفعال الانطباعي الآنية . ان للكلمة عنده طعمها ولونها ، وفيها حساسية الشعر والواقع » .

وسولي يصف مونتالي بأن قلمه « أزميل فنان ، ينحت تماثيله في قصائد؛ وريشة رسام يرسم بها لوحاته في كلمات » . ويقول أيضا : « ان قصائد مونتالي مصنوعة من سالم داخلية ، ومن انفصارات صامتة ، وتأملات مستسلمة » .

وليس في وسعنا أن نمضي في استعراض أقوال النقاد والكتاب الإيطاليين في مونتالي ، فقد كتب عنه الكثiron ، وصدرت حوله وحول أدبه مؤلفات وأبحاث أكثر من أن تحصى ، كانت كلها ترسّيغا لمجد الأدب الذي ظل يتطاول على الأيام ، حتى بلغ قمته بجائزة نوبل .

• • •

وحين ننظر في أعماله الأدبية ، والشعرية بشكل خاص ، نجد قصائده قد اجتمعت في خمس مجموعات ، ذكرنا أسماءها في مقدمة الترجمات . ونحب أن

نبين هنا أن الشاعر ، خاصة في المجموعة الأولى (عظام السبيديج) ، كان لصيقاً جداً بأرضه الشمالية (ليغوريا) أو الشاطئ الليغوري ، الممتد من مدينة جنوا حتى الحدود الفرنسية وجنوباً على الساحل الإيطالي الغربي . وهي المنطقة المعروفة باسم (الريفيرا الإيطالية الشمالية) . من هذه المنطقة التي ولد فيها الشاعر ، ومن البحر المتوسط الذي تترفع عليه ، استمد الشاعر كثيراً من قصائده ، ومن خيالاته الشعرية . وهذا نموذج من شعره الرائع في هذا المجال ، من خطابه للبحر المتوسط :

أيها البحر القديم ، لقد ثملت بالصوت
الذى يخرج من أفواه أمواجك حينما تنفتح وتتارجح
كأجراس خضر ، ثم تنداح
إلى الخلف وتنحل .
ان منزل صيفياتي البعيدة
كان على مقربة منك ، كما تعلم .
• • • لقد علمتني أن أكتشف في أعماقي
ناموسك المفامر : فاكون رحيبا ، منوع التجارب
و ثابتنا على طبيعتي في الوقت نفسه ،
وأن أظهر من كل دنس ،
كمما تفعل أنت إذ تقذف على الشواطئ
الأقدار ونجوم البحر
وغيرها من الأشياء البالية التي في أعماقك .

يضاف إلى ذلك أن مونتالي ، الذي اشتراك في الحرب العالمية الأولى ، وعاش الفترة الالمية التي تلتها ، عرفت نفسه المرارة ، والخيبة ، والآلام للفواجع التي أصابت بلده وشعبه ، وأصابت كذلك العالم كله ؛ كما استمد الألم والكآبة من واقع حياته الخاصة ، ومن سوء الصحة الذي لازمه منذ الصبي الباكر . وهذه كلها

ظهرت آثارها جلية في قصائده ، كما نرى في ما ترجمناه من قصائد هذه المجموعة . لقد كان الشاعر صادقا مع نفسه حتى في أعمق معانٍ لقنوط التي تظهر في العديد من قصائده ، كقوله :

يا حياتي ، لست أطلب منك حظوظا
ثابتة ، ولا خلقة بهيجة ، ولا أملاكا .
ففي دورانك المضطرب يتساوى
طعم العسل وطعم عشبة الأفستانين .
والقلب الذي يرى العقارة في كل حركة
يقفز مهتزأ .

كذلك تنثر أحيانا في
صمت الغابة طلقة بندقية .
وقوله أيضا :
لم أعرف الخير
في ما عدا المعجزة
التي تمنعها نعمة اللامبالاة .

• • •

والواقع أن هذه المجموعة الأولى إنما تعبّر عن الأزمة الروحية التي كان جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى يبحث عن حل لها . وفيها ينضم صوت الشاعر إلى أسمى حواجز الشعر الأوروبي المعاصر . وأحيانا لم يكتف الشاعر بالتفاعل معها ، بل كثيرا ما كان يؤثر فيها . وهي تمثل الحقيقة الكاملة للأحساس ، وتنتمي إلى ضمير القارئ المعاصر . ومن هنا كان ما نالته هذه المجموعة من اهتمام النقاد والقراء ، مما أثبتت مكانة مونتالي بين أعظم الشعراء الأوروبيين منذ بدايته الأولى في مجموعة (عظام السبيديج) ، حتى لقد قررها بعض النقاد بقصيدة (ت . س . إيليوت) التي عنوانها : (The waste land)

وأما المجموعة الثانية (المناسبات) فان الشاعر فيها يفترف من الخارج ، ومن

الأشياء التي يتصل بها ويستوحياها ، لا من اشفاقه على الانسانية التي كانت من قبل خارجة محطمة من حرب رهيبة ساحقة . والشاعر في هذه القصائد يرتبط بأزمان معينة، وبالأحداث الشخصية ، وتفاعلاته مع الناس والحياة من خلال أحاسيسه الشخصية ، وتجارب وجوده . وهكذا تختلف هذه المجموعة عن سابقتها من حيث المنابع النفسية : فالشاعر يربط مشاعره الداخلية بمشاهداته الخارجية . ونظرته التشاورية هنا أقل بروزا – وإن لم تختف تماما – منها في المجموعة الأولى . ومن مصادر وحيه في هذه المجموعة نجد عددا من الصيغيات ، والرحلات ، وتذكريات الأصدقاء التي يصورها ، أو يسجل انطباعاتها في نفسه من خلال قصائده .

والنقد الايطاليون يعتبرون هذه المجموعة قمة في صفاء العبارة ، وجمال التعبير الشعري ؛ والعمل الشعري فيها يجري على أكثر من صعيد واحد ، ويمضي دائما من الخارج الى الداخل ، ومن الموضوعية الى الرمز ، ومن الحديث عن الوضع الانساني الذي كان في (عظام السبيديج) الى الوجود الشخصي للشاعر . وفي هذه المجموعة يقول الناقد الايطالي (ماريو أبولونيو – Mario Apollonio) في كتابه (أدب المعاصرين – La letteratura dei contemporanei) « إن (المناسبات) ستبقى كتابا يؤلف وحدة كاملة ؛ وأنه كتاب جميل جدا للقراءة ، وقصائده مليئة بالعاطفة ، مع عطايا كثيرة للذاكرة » .

وهناك ملاحظة عامة في شعر مونتالي ، فهو كثيرا ما يخاطب المؤنث في قصائده ، ولكنه قد لا يخاطب ، في الواقع انسانة معينة ، بل قد يكون الخطاب الى نفسه ، او الى صورة معينة في خياله .

• • •

وتأتي المجموعة الثالثة (العاصفة) ، وهي عمل شعري ينسحب كذلك على أكثر من صعيد واحد ، ويمضي من الخارج الى الداخل ، ومن الموضوعية الى الرمز . وكالمألف في شعر مونتالي ، هناك دور الهدم والسلبية : فالشاعر لا يجد – كما يقول (كونتشيني) – شيئا يمكن الثقة به . والدور الثاني هو دور الإيجابية والبناء . وفي العاصفة نجد قاعدة للحقيقة في شكل أسطورة .

وتظهر في هذه المجموعة دقة ربط الشاعر بين نفسه والزمن . وكانت هذه الدقة من قبل على هامش تجربة الشاعر الواقعية . وهي متأثرة بالوجودية الأوروبية التي كانت قد ظهرت ، ووضعت أمام الفكر التأملي الفلسفى ، إلى جانب مشاكل أصل الإنسان ومصيره ، مشاكل الوجود الانساني : وجود الفرد الذي يتعلق بالحرية رغم المخاطر التي يواجهها ، ويجد نفسه مباشرة أمام الموت والعدم .

ضمن هذه المجموعة من القصائد ، نجد في المقدمة مجموعة كان الشاعر قد نشرها من قبل ، وجعل عنوانها (Finisterre) أي (أطراف الأرض) . وهذه الكلمة تتالف ، في الواقع ، من كلمتين لاتينيتين ، هما (Finis) و (Terrae) والأولى معناها (نهاية) أو (حدود) والثانية تعني (الأرض) . وكان القدماء يقصدون بها (آخر حدود الأرض) أو (أعمدة هرقل) ؛ وهي الجبال المقابلة في جنوب إسبانيا - آخر حدود أوروبا من الجنوب - وفي شمال المغرب . وأشهرها الأن (جبل طارق) في إسبانيا ، و (جبل موسى بن نصير) الذي يقابلها في شمال المغرب ، ما بين سبتة وطنجة . والعنوان لا يعني ، طبعا ، شيئاً بالنسبة إلى القصائد التي تنطوي تحته ، فهو من اختراع الخيال . غير أن الديوان بمجموعه أخذ اسمه (La Bufera) من أول قصيدة فيه . وفي هذه المجموعة كذلك قصائد عديدة استوحها الشاعر من الأسفار ، والصيفيات ، ومن ذكريات أصدقائه ، كما في (المناسبات) .

وفي المجموعات الثلاث : من (ظام السبيديج) إلى (العاصفة) نجد الغموض الرمزي والتعقيد الكثرين في شعر مونتالي ، والضبابية الكثيفة التي يندر أن تبين من خلالها المعاني التي يريدها الشاعر . ثم تأخذ هذه الضبابية في الشفافية بعض الشيء في ما بعد ، كما نلمس ذلك في المجموعتين اللاثتين ، وأولاًهما (خليط - Satura) ، وهي تشمل القصائد التي كتبها الشاعر من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٧٠ ؛ وقد جاءت في قسمين هما : (Xenia) ، ويضم ثمانى ثمانى وعشرين قصيدة وخاطرة شعرية ، يدير فيها الشاعر الحديث مع زوجته الراحلة؛ و (Satura) ويضم بقية القصائد التي تصل في مجموعها العام إلى (١٥٧) قصيدة .

وهذه القصائد جميعا ، الخاطفة جدا منها والمشبعة ، تمثل وفاء الشاعر لفنه الشعري ، وتمثل معه اتجاهه الشعري الانساني الواسع ؛ وفيها كثير من التأمل في

أعماق الحياة ، والخيال المونتالي الواسع والشديد الغنى ، الذي عرفه قرأوه دائماً في قصائده . ونلاحظ ذلك كله في القصائد المتعددة التي ترجمناها في بداية هذه الدراسة ، وأشار بنوع خاص إلى قصيده (التاريخ) ، وإلى قصائده الأخرى ، مثل (المقطعة – قبل السفر – ونهاية عام ١٩٦٨) وغيرها ؛ كما نلاحظ العبر الصادق الوفي للزوجة التي رافقت حياة الشاعر الطويلة ، ثم مضت عنه وخلفته للشيخوخة المتعبة والأمراض الدائمة .

وأما الديوان الأخير (يوميات عام ٢١ وعام ٢٢) فيضم القصائد التي كتبها الشاعر في هذين العامين ، ومجموعها (١٢٣) قصيدة . والقصائد التي ترجمناها في ما تقدم من هذه المجموعة تريينا كيف تستمر الشفافية في شعر مونتالي الجديد ، وتستمر معها أمانة الشاعر لفنه الشعري العر ، الذي لم يخضع قط للعقاربийات التاريجية والسياسية والاجتماعية ، بل ظل دائماً شعراً للإنسان في كل زمان ومكان . وقصائد مونتالي هذه استمرار لقصائده السابقة في مجموعته (خليط) من حيث الروح والبناء الشعري ، والموسيقية الجميلة ، والرمزيّة الشفافة . وحسبى أن أشير هنا ، كنماذج لهذا الشعر الإنساني ، إلى قصائده التالية : (الصيد – النار – في المؤتمر – بهذه العلامة ٠٠٠ – الحصان) وغيرها .

هذا الشعر الرفيع في فنه ، وفي إنسانيته ، وفي عالميته ، هو الذي كلل الشاعر مونتالي بأكاليل المجد في بلده ، وفي العالم العربي كله ، وجعل منه شاعراً عالياً يتمجد به بلده ، وتتمجد به ثقافة بلده ، وبه وبأمثاله أصبح الأدب الإيطالي أدباً عالياً ، ومن أغنى الأداب المعاصرة ، واستحق أن يفوز خمسة من أعلامه حتى الآن بجائزة نobel للأدب .

* * *

هذه ، باختصار ، حياة الشاعر الفائز أخيراً بجائزة نobel ، وهذه أعماله الأدبية : الشعرية والنشرية ، وحياته الصحفية والعملية .

اما صلتني الشخصية به فتبدأ في شهر نوفمبر عام ١٩٦٠ ؛ وكانت حينذاك في بعثة أدبية من قبل منظمة اليونيسكو ، مدتها ستة أشهر ، للاطلاع على العركـة

الأدبية في إيطاليا ، والتعرف بممثلي الأدب الإيطالي المعاصر . وكان مونتالي بين كبار الشعراء الذين عرفتهم في ميلانو . وكان حين وصولي إلى ميلانو ، في اليوم الأول من شهر نوفمبر ، غائباً في فرنسا ، حيث دعى للقاء عدد من المحاضرات . وعاد من فرنسا بعد عشرة أيام ، فزرته أولاً في مكتب عمله في جريدة (Corriere della sera) التي كان حينذاك رئيس تحريرها . وزرت معه الروائي (دينوبوتاتسي - Dino Buzzati) والشاعر (البريكو سالا - Alberico Saia) وكان كلاهما من العاملين في الجريدة . ثم دعاني مونتالي إلى زيارته في منزله بعد ظهر ذلك اليوم نفسه . وفي منزله قضيت معه نحو ساعتين ، خرجت بعدهما أحمل هدية منه ، هي ديوانه (العاصفة) ، وبعض صوره الفوتوغرافية ، وعليها جميعاً توقيعه ، وعلى الكتاب عبارة اهداء كريمة : وأحمل كذلك ورقة مكتوبة بخطه المرتعش ، سجل فيها نبذة عن حياته وأعماله الأدبية ، وبطاقة إلى ناشر كتبه (دار موندادوري) لاهداء مجموعتيه الشعريتين الآخريتين (عظام السبيدج) و (المناسبات) إلى .

وأما زيارتي الثالثة والأخيرة له فقد كانت في شهر نوفمبر عام ١٩٧٣ ، وفي المنزل عينه الذي زرته فيه أول مرة ، عام ١٩٦٠ ، في (شارع بيلي) القريب من مسرح (لاسكالا) الشهير في ميلانو . وكان مونتالي في هذه المرة متهدماً من الشيغوخة ، ومن آثار فقد زوجته، التي كانت قد توفيت عام ١٩٦٣ ، بعد أن عاشت طويلاً في ظل شهرته وأمجاده - كما يقول الكاتب الإيطالي (جاشينتو سبانوليتي - Giacinto Spagnoletti) وخلفته وحيداً مع صحته السيئة دائمًا ، ومع شيغوخته ، في رعاية مدبرة منزله الطيبة السيدة (جينا) .

في هذه المرة ، وأمام ما رأيت من ارهاق شيغوخته ، وارتعاشته الشديد ، وسوء صحته ، لم أكلفه التوقيع على أكثر من صورة واحدة من الصور الحديثة التي أهداها إلى . وخرجت من عنده ، بعد جلسة استغرقت أكثر من ساعتين ، أحمل مع الصور ، نسختين من مجموعتيه الشعريتين : (خليط - ويوميات عام ٧١ وعام ٧٢) .

حين كان مونتالي في فلورنسا ، في بداية حياته الأدبية ، وكان يعمل في (دار بيمبوراد للنشر) كان ينظر من خلال سواد المستقبل ، فيغيل إليه أنه سيصل إلى

الثمانين من عمره دون أن يعثر على سبيله ، أو على نوع من الحياة المستقرة – كما رأينا في رسالته إلى صديقه (ايتالو سفييفو) –

غير أننا ، بعد كل هذه الأمجاد الأدبية التي نالها الشاعر في حياته ، والتي كان آخرها – وفي الثمانين من عمره بالضبط – جائزة نوبل ، نرى أن نبوءته لم تصح ، ولا كان لتشاؤمه ذاك أي مبرر ، لو أُوتى مونتالي رؤية الغيب .

فها هو مونتالي اليوم بلغ الثمانين من عمره فعلا ، وبدلًا من الفياع الذي كان يتخيشه ، بلغ قمة جبل عالٍ من الأمجاد ، ومن التكرييم الأدبي ، ومن الجوائز التي لم ينل مثلها إلا الأقلون من الشعراء في العالم .

وعلى الرغم من أن جائزة نوبل لم تضف شيئاً ذا أهمية إلى أمجاد مونتالي الأدبية الكثيرة ، وأنها جاءت متأخرة جداً ، بعد أن شبع الشاعر من العمر ، ومن الأمجاد ، والألقاب ، فقد قال مونتالي حين بلغه نبأ فوزه بالجائزة :

« إنني لسعيد جداً ؛ فهذا أجمل ما توقّعته من الحياة » .



مصادر البحث

وفي مقدمتها مجموعات مونتالي الشعرية الخمس :

- 1) E. Montale — "Ossi di Seppia" — Mondadori, Milano, VII edizione, 1960.
- 2) « « — "Le occasioni" — Mondadori, Milano, IV ed., 1960
- 3) « « -- "La Bufera" — Neri Pozza, Venezia, 1956.
- 4) « « — "Satura" — Mondadori, Milano, IV ed., 1972.
- 5) « « — "Diario del'71 e del'72" — Mondadori, Milano, 1^a ed., 1973.
- 6) Claudio Marabiri — "La chiave e il cerchio" — Einaudi, Torino, 1973.
- 7) Claudio Scarpati — "Invito alla lettura di Montale" — Mursia, Milano, 1973.
- 8) Sergio Solmi — "Scrittori negli anni" — Il Saggiatore, Milano, 1963.
- 9) M. Bormioli & G. A. Pellegrinetti — "Lettture italiane per stranieri, ed. scolastiche, Mondadori, Milano, Vol. II; 1954.

- 10) Mario Apollonio — “Letteratura dei contemporanei” — La “Scuola” editrice, Brescia, 1^a ristampa, 1957.
- 11) Raf. Spongano — “Antologia della Letteratura italiana” — Nouva ed. — Patron, Bologna, 1957, Vol. III.
- 12) Ferdinando Virdia — “Perche’ il Nobel ?” — Settimanale “LA FIERA LETTERARIA”, no. 44, anno, 51, 2 Nov. 1975.
- 13) Eraldo Mischia — “Oggi gli uomini vogliono altro”— المصدر السابق
- 14) Giacinto Spagnoletti — “All’ombra della sua fama”— المصدر السابق



قصيدة إلى جوين

للشاعر : بوب ديلان
ترجمها وقدم لها : حنلدون الشمعة

تقديم

إذا صح ما يقوله الناقد الانكليزي « رسكن » Ruskin من أن « الشعر الغنائي » هو « التعبير من قبل الشاعر عن مشاعره الشخصية » فإن (بوب ديلان) Bob Dylan ربما يكون أحد أعظم الشعراء المعاصرین الذين يكتبون « الشعر الغنائي » Lyrical Poetry اليوم .

وقد ظهر « بوب ديلان » – الذي وصفه الناقد الأدبي لصحيفة « النيويورك تايمز » بأنه أهم شاعر في الجيل الشعري الشاب بأمريكا – على المسرح الشعري في عام (١٩٦١) لأول مرة . وكان صوته المتفرد الذي احتفى باللغة المحكية والموسيقى المحلية والحس الغنائي والتعبير (المباشر) و (التصريح) بمثابة تأكيد على أن حركة العداثة في الشعر إنما تطرق سبيلاً آخر غير سبيل القصيدة الآليوتية (المواربة) و (غير المباشرة) .

ولد « بوب ديلان » في (دولوث) بولاية (مينيسوتا) عام (١٩٤١) ودرس في جامعة (مينيسوتا) لمدة ستة أشهر ثم نزح إلى نيويورك وأصبح خلال عام واحد أهم صوت شعري في حركة الاحتجاج على العدوان الأمريكي في (فيتنام) . وقد أصبحت غنائياته التي سجلت على أسطوانات بملايين النسخ ذات أثر عظيم على

الشعر الغنائي . كما أنها أثرت تأثيراً حاسماً على فن الأغنية المعاصرة في السبعينات ، وأعادت التأكيد على مسألة التواشج بين الشعر والموسيقى باعتباره تواشجاً علنياً خارجياً وليس تواشجاً سرياً داخلياً .

ونذكر من أعماله على سبيل المثال :

- Blowin' In The Wind.
- A Hard Rain's Gonna Fall.
- It Ain't Me Babe.
- Highway 61 Revisited.
- Lay Lady Lay.
- New Morning.

ولم يكتب (ديلان) الشعر الغنائي فحسب وإنما كتب روايته الشعرية التي صدرت الطبعة الأولى منها في عام (١٩٦٦) وعنوانها :
TARANTULA « رتيلاء »

وأما غنائمه (قصيدة إلى جواني) التي نقدم ترجمة لها ، فقد ظهرت في عام (١٩٧٠) في كراس مستقل . ومن الطبيعي أن الموسيقى التي تعتبر العنصر الرئيسي في الشعر الغنائي هي أول وآهم ما يفقد الشاعر في الترجمة . ومع ذلك فقد حاولت خلق إيقاع مقابل بالعربية لايقاع القصيدة الأصلية .

ويلوح لي أن الشعر الغنائي قد بدأ يستعيد مكانته في حركة الشعر الحديث . وكانت بدايات القرن التاسع عشر قد شهدت حركة إحياء واسعة للنبع الغنائي في الشعر مع ظهور الرومانسية في أوروبا . فقد كتب (وردزورث) و (كولرلوج) و (بايرون) و (شيلي) و (كيتيس) القصيدة الغنائية في (إنكلترا) وكتبهما (هايني) في (ألمانيا) ، و (لامارتين) و (دوفيني) و (موسيه) في فرنسا ، و (لومباردي) في (إيطاليا) . وفي (روسيا) كتب كثيرون قصائد غنائية يمكن أن تسمى رومانتيكية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، تعرضت القصيدة الغنائية لتأثيرات جديدة

من فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة . فالشعراء (ليكونت) و (تنيسون) و (براوننگ) و (بو) و (فرلين) و (مالارميه) قد أثروا سواء برومانديتهم المجردة أو « برناسيتهم » أو رمزيتهم على القصيدة الفنائية بشكل عام .
وأما المشهد المعاصر فقد ظهر فيه كل من (لافارغ) و (فاليري) في فرنسا ، و (أودن) في انكلترا و (ستيفن جورج) و (ريلكه) في ألمانيا و (ماشادو) في إسبانيا .

قصيدة إلى جوانى

أجشو أيام اليقاعة أجشو
في أيكة تسبرها سكة حديد
أنتش من الأرض ،
العشب
ممزقاً بوحشية ،
الجذور
مضياً الساعات محصياً الشواطئ
تتطحلب في كفيّ بقع اليخصوصور
انتظر صفير السيارات الحديدية الفلز ،
تتدحرج على المنحدر درجة ،
أعض على الشفتين شاهراً قبضة مضمومة ،
وأجلس القرفصاء فيما المعرّك
يهراً هرياً ،

أحصي العربات الماضية
 يتلاشى في الفضاء الصدى .
 وأدرك أن القطار قد مضى
 إذ ذاك أتحول بباصرتى
 إلى يدي المخصوصتين باليخصور
 المبعثتين بدم أخضر يقول
 إنني أخذت وما منحت ،
 وألمح رقعة العشب المنتوشة ،
 حيث الأديم مقلوب رأساً على عقب
 والجذور مجتثة كالجثث لصق شجرة ،
 فأقول : « لا يمكن أن يقلقني البتة هذا الأمر »
 أو : « لا ريب أن العشب لا يكتثر قلامة ظفر »
 « سينمو العشب ثانية على أية حال »
 « ما أهمية رقعة عشب .. ما أهمية رقعة عشب .. »
 أمسح كفى مزيلاً بقعاً خضراء
 وأطوح بسخرة مسددة على عربة ذات صدى متداخ
 معلقاً متارجاً ثقيلاً على سكة الحديد
 كغمامة رعد
 مضمرة في فجر رذاذ
 الغد
 أسائل نفسي أن أكون صديقاً لنفسي ،

منسلاً كتعلب مذعور
مغنىأً أغنيتي كطفل شيطاني ،
يركل ركلاً ويلعن لعنة ،
من داخل رحم أمي
• • • •

في سنوات لاحقة ظللت فتياً
ولكن رأسي ازدادت ثقلًا
وتدهلزت أمامي درب
وتوترت في حدود يفاعتي درب
حتى تقهقرت ناكصاً عن بوابات العالم وألعابه المشاكسة
وملا تعدّ لدى كلمة تقال
لأي باصرتين تحطّان على باصرتيَّ
فأوصدت نفسي وأحكمت الرتاج
مضيعاً المفتاح
وتاركاً الرموز تقولب قالبها
وتصنع لي خصمي الذي أمارس معه الخصم
أشهر لسانني وأتمرد
أبشق الكلمات بسقاً
أتعلم كيف أصطفى الأوثان التي أحب .
فتتحدث بصوتي وتحكي حكاياتي
وتسمهم في خوض شجاري الشبحي

كان (هانك وليامس) وشني الأول
 غنى خطوط سكة القطار
 وأعمدة الحديد والعجلات المزمرة
 لم يدع شكاً في أنها حقيقة
 كان رمزي الأول كلمة « جميلة »
 لأن سكة القطار لم تكن جميلة
 سوداء مُدَخَّنة مجاريرية اللون
 محسوسة بالقطران والهباب والغبار
 أحكمُ على الجمال بهذه المقاييس
 وأقبل بالجمال إذا كان قبيحاً وحسب ،
 وإذا كنت أستطيع ملامسته بيدي
 إذ ذاك فقط أدرك وأشعر وأتفهم
 وأقول : « آهٌ .. إن هذا لحقيقة »
 أغذ السير منشداً أغنيتي
 كمهرج مغموم
 في سيرك عالمي الداخلي

وفي أحابين أخرى انهارت أو ثانى
 أدركت أن الأوثان رجال أرضيون
 لديهم أسبابهم التي يعللون بها أعمالهم
 وما دامت الأعمال لا تخصني فانها لا تخصني على الاطلاق ،

ليس بوسعى الآن أن أعتمد على الأوثان الأرضية بعد الآن ،
ما تعلمته من كل إله منسى
ان ساحة الحرب تخصنى وحدى
واننى أنا الذى يرمى بعجره الخاص
الرموز التي نمت وتقولبت
تجاوزت أحجامها وأصبحت مرئية من قبلى
ما زال رمز « الجمال » يهزنى هزا
ثرت مرتين وبدوت أشد خيلاء عشر مرات
ذرعت دربى وغنىت أغنيتى
كمجرم لم يقارب العريمة
صارخاً من خلف قضبان سجن ليس بسجنه
وفي وقت لاحق صحت وقد أوغلت في العمر
صحت في (نيويورك) ان « الجمال الوحيد كامن في الشروخ
وحواف الأرصفة »
الجمال المتدر بالأسماى والغبار والهباب
فتشرست عنه في كل فج
قفزت إليه متشبثًا بثديه
همست في أذنه
قبلت ثغره

خاًصرت خصْرَه ،
أبْحُرْت في جسده
على بطنه انذهلت
كالعاشق الضريء من أعماقِي صحت :
« الصوت الذي يحكى باسمِي
هو صوت الهباب الأجش
الصوت الوحيد الذي أحسست
الجمال الوحيد الذي مسست . »
وتكاؤناتٌ على بعضِي باختياري
أطعْمُ أفواهي الغاوية
كاماً كل صوت ،
ذارعاً دربي مغنياً أغنيتي
ملكاً متوحداً
واقفاً في حديقة الملكة
مستبطناً قبراً غير عميق .
• • • •

سافر الزمان ومضت الوجوه
تعلمت أفكاراً وأحصيت رؤوساً
مسَتْ دربي مساً
ثم انقضت
بعضها تشبّثَ تشبّثَ صديق

قد يكون الأول ولكنه ليس الأفضل
الآن أتحدث عن واحدة ،
برهنت لي أن الأولاد ما زالوا يكبرون
فتاة التقىتها في ساحة عامة
تقىثِر^(*) كما أقىثِر^(*) العاناً متوحدة
تصدح بصوت رائع أسمعه لأول مرة
« قطعة جمال » يقول القائلون
« صوت مدھش » يكتب الكاتبون
« أكره هذا الصوت »
أقول

« الجمال الوحيد هو الجمال القبيح
الجمال الدوّامي (**) ، المُعَطِّم ، الذبيح
هو الجمال الوحيد
الذي أفهم وأدرك . »

• • • • •

بين لسانينا ثمة بَونْ
 مجرة[°] كون[°]
نرسل الضحكات تقرقع

(*) تعزف على القيثاراً .

(**) نسبة إلى دوامة .

نحوّبُ بواصرنا في اتجاه واحد
وإذ أدرك انها توشك أن تصدح
يinctصب جدار أصم
بسرعة قديفة مولولة
مثل زجاج لا يخترقه الرصاص
خارج أذني

أصبح صياحاً عالياً في الدوّاخل من رأسي
أنصب مصدراً مزدوجاً يتصدى لكل صوت :
« لا صوت غير الصوت القبيح
لا صوت غير الصوت الذبيح
لست بمن يكتثر بصوت آخر قلامة ظفر
إن تكن ذراعي لا تستطيع أن تلامسه
فلا تحسبن انني مستطيع" أن أدركه
ومع ذلك فسأنتظر أن تغنى أغنيتك
لأن فيك شيئاً لا أعرفه

أذرع دربي وأغنيتي أغنيتي
كشاعر رعديد
يسبر شريط شاطئ
يركل بظله شراشب طافية

يستحلب الطحلب البحري
يهرس اليخصوص الأرضي
يسمع صوتها يتسرّب من سيارة هادرة
يهرف بقصة طفولة انقضت
في أرض تحصد فيها كلاب الطريق حصداً
أشيخ بوجهى
معدقاً في الطريق
تصفع الريح صفحة وجهى ،
تتقهقر ناكصة ذاكرتى
فيما ينبعط الطريق
أذكر رقعة عشب تحتضر احتضاراً
و تستفيق
· · · · ·
· · · · ·

رأسي مشرعة في الريح
الريح تتصف الكلمات قصداً
جاذبة أنفاسى فيما تزار شاحنة
ليس ثمة أغنية أغنيها . .
.
.
في منزل بـ « وودستوك »

الأصدقاء منتشرون على البساط
ساقاي متصالباتان
أشعل لفافة تبغ ، أبتسם ، أحسو التبید
تدوّم (*) الغرفة و تدّوم
تمخر العباب
« دع صوتها يغنى »
يتصايمون

« نحن أشد تعباً من أن نستطيع إيقاف المغني »
يقهقون

وعندما أتکيء على مرفقى العاريين
العاملين لجسدي ،

وجهي يتجمد حتى العظام
فمي جليد
شفاهي جلمود
تضحك ضحکاً عالياً

تهز هز جداراً يتزلزل
أقهقه كالجنون يسدد قهقهته
صوت دریئة السقف

(*) أي تدور في دوامة .

تطفو أعصابي ،
حرقة ،

سائبة ،

أهدده

الحلم

محضرأ

في

الليل

(ما أن شرعت أتحسس بحاسة اللمس
حتى شعرت أخيراً بما لم يكن هناك
أواه كم كان

حمساً وذبولاً وحزناً مني
أن أحسب أن الجمال ليس بكامن
إلا في القبح حسراً ،

بينما الحقيقة أن صولجان الساحرة
المائج أمام باصرتي العابرة ،
 يجعلني أحسن أن أنفاس الفتاة

الفتاة التي سمعتها أنفاس الفتاة
حقيقة كالجنس حقيقة كالآمومة

عمقها عمق' موت عميق
قوتها ضعف' أضعف ريح هابّة
طولها طول القدر
تشبه طبول الغجر ،

النواقيس الصينية
تخزن تسبحه غموض لا يستبيان
لا يفهم ولا يدرك ولا يُحل

باليد
أو
بالقدم

أو برووس الأصابع
غموض لا يستبيان وليس قميئاً بأن يطلق عليه اسم شائن
من قبل ثلاثة باحثين عن أجوبة جاهزة سلفاً
في كل كتاب
إلا في داخلهم
امض امض في القهقهة
كثري واصفقني بركتبتيك
تلك هي طرفتك ، أنا موقن ،

وإنني لأشير حتى إلى نفسي
ولكن وأسفاه، فالامر ليستغرق زماناً طويلاً .)

· · · · ·

· · · · ·

مرة أخرى حان حين الشتاء
إذن فسأنتظر أوبة الربيع
كما أعود القهقرى إلى حيث جثوث
عندما سمعت القطار الفنزى(*) يغنى

ونتشت عشب الأرض من الجذور
ولكنني لن استنفد قوتي في هذه المرة
أهدى الوقت مقتلعاً العشب
منتظراً صوت القطار

كلا سيكون يوماً آخر في المرة القادمة
ربما يكون القطار هناك حين أذوب
(مضياً الساعات محصياً الشواطئ
انتظر صفير السيارات الحديدية الفلز ،
تتدحرج على المنحدر درجة
أعض على الشفتين شاهراً قبضة مضمومة

(*) نسبة إلى فلز .

وأجلس القرصاء فيما المحرك يهرب هريراً
أجثو محصيناً الشواطئ والأعشاب
وبدلاً من اقتلاع الجذور
أربت عليها تربيت صديق ،
وإذ يقترب القطار
أنكس رأسى للعجلات النحاسية الكبيرة
متذكراً طفلاً شيطانياً طوحاً بصخرة
أذرع دربي بين مدار اخضرار الأرض
وبيـن مدار اسوداد القطار
مغنياً أغـنيـتي غـنـاءـ شـوريـ ،
هـذاـ أـناـ
أـعـرـفـ كـيـفـ لـاـ دـفـعـ دـفـعاـ
وـأـعـرـفـ
يـاـ إـلـهـيـ
كـيـفـ لـاـ أـحـاـوـلـ !



معجم الأساطير اليونانية والرومانية^s

ترجمة وإعداد : سهيل عثمان * عبد الرزاق الأصفر

القسم الأول

□ أباس

- ١ - ابن لانسيه وهيبيرمنستز . وهو ملك أرغوس كما يرى بعضهم . وقد أنشأ مدينة (آبا) في (فوسيد) .
- ٢ - رفيق ديوميد . وقد مسخته أفروديت لقلقا بسبب وقاحتها نحوها .
- ٣ - اسم صديقين لايتبه ، أحدهما طروادي والأخر أتروسكي .
- ٤ - صديق بيرسيه .

□ أبسيرتوس

الأخ الأصفر لميديا . عندما حصلت هذه على فرو الكبش الذهبي هربت مع جازون ومزقت أخاهما هذا قطعا نثرتها على الطريق لتعوق الملك ايتيس الذي كان يطاردها . وقد جمع ايتيس الأشلاء ودفنتها في تومي التي تسمى حالياً كونستانس .

□ أبولون

هو من أوسع الآلهة نفوذا في العصور القديمة ، وهو ابن زوس ولیتو ،

والأخ التوأم لأرتيميس . ولد في جزيرة ديلوس التي خصصت له . وفي بعض الروايات أنه كان في البدء آله الشمس (فيبوس) وتعني الساطع . وتقول رواية أخرى أن هذا الاسم لم يظهر إلا في القرن السادس ق.م . حين عبده الرومان باسم فيبوس أبولون .

وعند الأغريق كان أبولون آلهًا لكل ما هو خيرٌ وجميلٌ ، كحفظ النظام وإحترام القانون وإسعاد الناس والتخفيف عن ذوي الضماير المذهبة ومنهم الراحة والطمأنينة وكاله للرماة كان يعاقب المتطاولين . وكان أيضًا آله الطب ووالد أسكولاب . وكان يستغاث به في كثير من المحن ولا سيما في دلفوس حيث كان وحيه يكشف الإرادة الآلهية للكهنة الذين يؤدونها إلى الناس . وكانت مدن عديدة تدعى أنه مؤسسها مثل مدينة طروادة التي بني أسوارها بيديه . وكان أبولون أيضًا آله الموسيقى والشعر ورئيس ربوات الشعر . ونظرًا لكثرته وظائفه تعددت أسماؤه ونوعاته . فمنها منقذ الهلكي ومبيد الجرذان والأفاغعي والشافي .

وكانت بداية عبادته في إيطاليا عند الأتروسكين ثم انتشرت بين الرومان بعد معركة أكتيوم حين بني لها أغسطس معبدًا على مرتفع البالاتان اعترافاً بجميله لأنّه أظهره على أعدائه . وفي الإلياذة أن أبولون أوقع الطاعون في الجيش الأغريقي بواسطة سهامه وأنّه أوقع الخصومة الخامسة بين أجاممنون وأخيل . ويجد في بينما الاهتمام بمقارنة الفيلسوف الألماني نيتше بين الآلهتين أبولون وديونيزوس في بينما كان الأول في رأيه يمثل الحكمة والتعقل والتفكير والتأمل كان الثاني يمثل الوله الديني . وكانت حياة الأغريق الدينية تتراوح بين هذين المعاورين .

أبولون في الفن : تظهر رسوم أبولون على الآنية الأغriقية والآثار الفنية الأخرى على مدى العصور . منها رسم على وعاء خزفي يعود إلى القرن السابع ق.م يبدو فيه أبولون وهو يعزف على القيثار . ورسم على صحفة أتيكية يمثله ملهمًا ربّات الشعر (٤٥٠ ق.م في متحف بوسطن) . ومنها صورة على صحفة دورية وهو يعمي هكتور أمام أسوار طروادة (٤٩٠ ق.م متحف لندن) . ومنها أبولون رامي السهام بصحبة أرتيميس (صحفة أتيكية ٤٩٠ ق.م متحف ميونيخ) . ومنها صورة على لوح من الآجر المشوي يعود إلى القرن الخامس أو السادس ق.م موجود

في متحف روما . وقد اشتهر تمثال أبولون المسمى (تمثال تينيه) والعائد إلى القرن السادس ق.م .

وفي المنحوتات التي تعود إلى حوالي سنة ٥٠٠ ق.م والتي نفذت حسب أسلوب فيدياس يبدو أبولون وهو يكافح الجانحات الفاتكة بالانسان كالجوع والأوبئة . وتنتمي الآثار الفنية العائدة إلى القرن الرابع ق.م بمزيد من الرونق منها أبولون قاتل الزواحف من صنع براكسيتيل . ومنها الآخر الشهير باسم أبولون بلقيديوس في روما الذي يمكن القول انه النموذج الصافي لفن النحت اليوناني . وفي العصر الوسيط كان أبولون يمثل بشكل نبياً . أما في عصر النهضة فكان يمثل كرئيس لربات الشعر وكاله للشمس (دورر) أو كمثل أعلى للجمال (رفائيل في القرن السابع عشر) . وقد غدت تماثيل أبولون مبثوثة في أنحاء العالم الحديثة لتجسيدها .

□ أبياس :

حورية رومانية . وقد سمي باسمها ينبعان يحيطان بمدخل معبد فينيوس في ساحة قصر بروما

□ أبيس :

هو الثور المقدس عند قدماء المصريين . وهو حامل روح أوزيريس . ولعل لاسمها علاقة بالآلهة الهيلينية ميرابيس التي عبدت أيضاً عند الرومان . وقد عبد أبيس المصري في مدينة منفيس حيث كان يمثل حياً بشكل ثور ذي أوصاف معينة كساد اللون مع بقعة بيضاء مثلثة على العباءة .

أبيس في الفن : يمثل أبيس بشكل ثور بين قرنيه هلال وأحياناً بشكل رجل برأس ثور .

□ آتلانتا :

بنت جازون ملك أركاديا . وأمها كليمين . راماها أبوها طفلة ، فأرضعتها دبة ، وقضت شبابها مع الصياديـن . فأصبحت صيادة ماهرة وبرعت في ركوب

الخيل . وفي أثناء مطاردة الخنزير البري في كاليدونيا استطاعت أن تصل إليه قبل غيرها فخصها ميليا غروس بجلده مكافأة لها وتزوجها . وفي رواية أخرى أنها كانت بنت الملك البيوتي شونوس . وأنها آلت ألا تتزوج إلا بمن يسبقها في مضمار الخيل . وإذا فشل كانت عقوبته الموت وقد سبقها ميلانيون وربما هي يومين بفضل ثلاث تفاحات ذهبية أعطاها إياها أفروديت فالقاما في طريق آتالانتا الواحدة بعد الأخرى . فكانت تنزل لالتقاطها فخسرت السباق وكسبها العج . ولما تعرّفت مع زوجها على تدنيس غابة منذورة للآلهة سيبيل حولتهما أسددين .

آتالانتا في الفن : كانت آتالانتا تصور على الآنية الاغريقية كصيادة وقد ظهرت في مجموعة تماثيل في معبد الآلهة أثينا في تيجييه وقد تكون من صنع اسكوباس في منتصف القرن الرابع ق.م وتشاهد صورتها مع ميليا غروس على التوابيت أو الصور الجدارية . وقد صورها بعد ذلك الرسام غويدوريبي .

□ آتاماس :

ملك أورشومين وابن ايول . تزوج الآلهة نيفيل وأنجب منها ولدين هما فريكسوس وهيلي . ثم هجرها ليتزوج اينو بنت قدموس التي ولدت له ولدين أيضاً هما ليارك وميليسيرت . وقد نصحته زوجته الجديدة بأن يتقرب إلى زوس بولديه الأولين حتى ينقذ البلاد من الجفاف . ولكن أحهما نيفيل أنقذتهما . وقد غضبت هيرا عليه وعلى زوجته الجديدة التي أتوت ديونيزوس فأصابته بالجنون فقتل ولده ليارك وطارد اينو وابنها ميليسيرت ليقتلهم فألقيا نفسهما في البحر فتلقتهما آلهة البحر . وقد هرب آتاماس بعد جرائمه والتعاؤ إلى فتيوتيد حيث تزوج تيميسست .

□ أتروبوس

أحدى الآلهات القدر الثلاث .

□ آترييد :

اسم يطلق في حالة الجمع على ابني آتريوس أغاممنون ومينيلاوس .

□ آتريوس :

ابن بيلوبس وهيبودامي . ووالد أغاممنون ومينيلاوس . اغتال مع أخيه ثيسيتوس أخاهما غير الشقيق كريسيب فطردهما أبوهما من بيته فالطبع آتريوس إلى الملك ستيلينوس . ثم خلفه على العرش فعسى أنه ثيسيتوس ودنس زوجته أوروبا فطرده آتريوس فحاول ثيسيتوس أن يعرض ابن أخيه بليستين على اغتيال والده إلا أن آتريوس قتل ابنه هذا ثم تظاهر بمصالحة أخيه ثيسيتوس ودعاه إلى وليمة قدم له فيها لحم ولدي هذا الأخير . ولما اكتشف ثيسيتوس هذه الجريمة الوحشية لعن أخيه وذريته وغادر البلاد التي دمرتها بعدئذ سلسلة من الكوارث . وفيما بعد قتل أيجست ابن ثيسيتوس عمه آتريوس ثم ابن عمه أغاممنون فثار لهما أورست بن أغاممنون وقتل أيجست . وأصل هذه الكوارث التي أصابت أسرة آتريوس تلك اللعنة التي لحقت بتانتال جده .

□ آتوس :

هو أحد المردة . حاول أن يهاجم السماء فقذفها بجبل فرده زوس فوق حيث يوجد الجبل المقدس المعروف الآن باسم آتوس .

□ آتيس :

هو آله الخصب في آسيا الصغرى . وقد عبده الأغريق أيضا إلا أن عبادته بقيت آسيوية أكثر منها أغريقية . وارتبطت بعبادة سيبيل . وباعتبار أن هذه العبادة كانت تتراوح بين الحزن الشديد والفرح المفرط فهي تمت بصلة إلى عبادة أدونيس . أحبته سيبيل فرفضها فأصابته في عقله فخصى نفسه ولذا كان يعمد بعض أتباعه إلى طريقة الخصي والتقطيم .

آتيس في الفن : توجد صور آتيس على ميداليات من العصر الروماني وعلى بعض التوابيت ويبدو مراهقا يرتدي الثوب اللاصق وقبعة فريجية وبيه المعرفة .

□ آتيم :

آلهة العاصفة الهوجاء والهوى الأعمى . بنت زوس وايرس ، كانت توقع الرجال في الإثم وتضلهم .

□ أثينا :

هي آلهة الحكم والعقل والعلوم والفنون وأشغال الابرة . بنت زوس وميتس ولدت بطريقة غريبة . ذلك أن زوس عندما خاف أن يزيله عن العرش الوليد الذي ستنجبه ميتس ابتلع الأم العامل فكان عليه أن يلد الجنين ، وكان ذلك بأن شق له هيبا يستو من جمعته بضربة بلطة فخرجت أثينا من دماغه بكامل سلاحها . كانت أثينا آلة لكل ما هو حضاري تحرص على احترام القانون واقامة العدل وتترأس مجالس الشعب . وتعلم الرجال استخدام النار والمعراث والاستفادة من الخيول . ومن جهة ثانية فقد كانت آلة العرب المظفرة تقود الجيوش وتبارك المحاربين وكان كثير من الأبطال تحت حمايتها مثل آخيل وديوميد . وكان أوليس الذاهية عزيزا عليها ولذلك جعلها هوميروس في الأوديسة حامية لتيليماك ابن أوليس . وبما أنها كانت آلة العرب فقد كانت تضع الخوذة وترتدي الدرع وتحمل الحرمة والترس . وكألهة للسلم كانت تحمل السعادة إلى البيوت وتعيد أعمال الخيانة والتطریز . ولذا كانت فتيات أثينا يقدمن لها في عيدها كل أربع سنوات ثوبا رائعاً الوشي وكانت أثينا أيضاً آلة الصحة والشفاء . وكانت تعبد في كل أنحاء اليونان ولا سيما في مقاطعة أتيكا (حول أثينا) التي حصلت عليها مقابل شجرة الزيتون والبومة والديك والأفعى من دورقة لأثينا . ولأنها بقيت عذراء لقبت (بارثينوس) و (بالاس) أي العذراء . وكان معبدها الأصلي في البارثينون في أثينا المدينة التي خصصت لها وخلدت اسمها حتى الآن . وكان البورجوازيون الأثينيون يقيمون عيدها كل أربع سنوات وقد وحدها الرومان مع ميرقا .

أثينا في الفن : تعد أثينا الموضوع المفضل عند قدماء الفنانين الاغريق الذين كانوا يصورونها محاربة متسلحة بالحرمة والترس ومرتدية الدرع وعلى رأسها الخوذة . وكانوا يرسمونها على آنية وهي تشارك في العروب محاربة أو حكما . وكان من هذه الآنية نوع يوزع كجوائز في احتفالاتها تبدو عليه مسلحة وواقفة بين عمودين مزينتين بالديك وبرمز النصر . ومن أشهر تماثيلها أثينا

بارتينوس (٤٣٨) ق.م في البارثينون وكذلك أثينا برومماخوس وأثينا لامانيا في الأكروبول (٤٤٧ ق.م) وقد فقد الأولان أما الثالث فقد عرف من رأس الآلهة الذي وجد في بولونيا بايطاليا . أما مجموعة (أثينا ومارسياس) فقد نعثت في القرن الخامس الميلادي حسب أسلوب مدرسة ميرون . وكذلك أثينا التي على معبد ايجين . ومن تماثيلها الرومانية أثينا ألباني وأثينا فارنيز وأثينا فيليتري . وهنالك نقوش بارزة لها تمثلها حامية بيرس على أفاريز من الطراز القديم في سيلينونت (القرن السادس ق.م) وكمساوية لهرقل على أفاريز معبد زوس الأولبي (القرن الخامس ق.م) . ويبدو أن النتشن البارز المسمى (أثينا قرب الحدود) ينبع إلى ميرون حيث تبدو فتاة مفكرة ومعتمدة على حربتها (٥٦٠ ق.م) . وظهرت صورتها على نقود أثينا وعلى الوجه الثاني صورة بومة ، وعلى أحجار كريمة من عصر أغسطس . ومن التفاصيل صحفة فضية هيلينستية في مدينة هلسنهايم تبدو عليها جالسة ولابسة خوذة وقابضة بيدها البسيط على ترسها .

□ آجاكس وباليونانية آياس :

١ - آجاكس الصغير وهو ابن أوليلي ملك لوكريس . أثناء حصار طروادة كان يعد أحد الابطال البارزين ولم يتفوق عليه في الجري سوى آخيل . ولما سقطت طروادة سبى كاساندرا التي كانت في معبد أثينا . فنان عقابه بأن غرق أثناء عودته إلى بلاده .

٢ - آجاكس الكبير هو ابن تيلامون ملك سلاميس . كان أحد ابطال حصار طروادة البارزين مثل آخيل رد وحده حملة الطرواديين الذين هاجموا المعسكر الاغريقي وحاولوا احرق المراكب وبعد أن مات آخيل طمع في قيادة جيشه الا أن أوليس ، بدعم من أثينا ، بارزه وانتصر عليه ففضي آجاكس واتكا على سيفه منتحرا . وفي رواية أخرى أنه جن وأخذ يذبح أغنام الاغريق يحسبهم أعداءه . فلما استرد وعيه انتحر خجلا مما فعل . وقد استمد سوفوكليس من هذا الموضوع مسرحيته (آجاكس غاضبا) .

آجاكس في الفن : أكثر ما توجد صورة آجاكس على الأواني أما حاملا جثة أخيل أو مقاتلا دونها (٥٥٠ ق.م) . وقد صوره الفنان دوريس على إناء وهو يبازر هكتور . وصوره أكزيسياس وهو يلعب بالنرد مع أخيل (٥٣٥ ق.م) في متحف الفاتيكان .

□ أجينور

ابن بوزيدون آله البحر ووالد قدموس وأوروبيا وملك فينيقيا .

□ أخيل :

ابن بيليه وثيتيس . لكي تجعله أمه غير قابل للفناء دلكته بطعام الآلهة نهارا ووضعته في النار ليلا ثم أمسكته من عقبه وغمسته في نهر ستيفيس فأصبح ممتنعا على الموت الا اذا أصيب في عقب قدمه ولذلك مات عندما جرح في كعبه عند اقتحام طروادة ، ومن هنا جاء اصطلاح عقب أخيل . وكان عليه أن يختار بين حياة طويلة خاملة وحياة قصيرة مجيدة فاختار الثانية . وفي حصار طروادة كان على رأس المirmidoniens فكان أكثر الأبطال شهرة ومجدًا . وفي رواية أخرى أن أمه أرادت منعه من الاشتراك في حرب طروادة فغبأته في بلاط الملك ليكوميد في سيروس . ولكن أوليس اكتشفه باحدى حيله . وأثناء حرب طروادة أهانه أغاممنون بسلبه سبيته بريزبيس فما كان من أخيل الا أن انسحب من العرب ولم يعد إليها الا بعد مصرع صديقه باتروكلليس حين انتقم له من هكتور . ثم قتل على يد بارييس ابن ملك طروادة والله أبولون . وخلفه ابنه نيوبتوليم في تتمةاحتلال طروادة . تدور أهم حوادث الالياذة حول غضب أخيل على أغاممنون وعودته الى العرب وانتقامه من هكتور . ويقال ان قبره يقع بالقرب من رأس سيجيوم .

أخيل في الفن : ينقش اليونانيون صورة أخيل على آنيةتهم بمشاهد متعددة مثل لقائه مع ترويلوس . وهي صورة على وعاء محفوظ في فلورنسا يعود الى سنة ٥٧٠ ق.م . وفي متحف الفاتيكان صورة له على جرة وهو يلعب بالنرد مع آجاكس ٥٣٠ ق.م وفي متحف برلين صورة له على إناء وهو يعالج جراح صديقه

باتروكليس ٥٠٠ ق.م وفي ميونيخ صورة لأخيل وبانتيزيليه على كوب اتيكي ٤٦٠ ق.م وكثير من الرسوم على الخزف تمثله في مشاهد من حرب طروادة . وقد وجدت على أحد التوابيت لوحه مائية شهرة تمثل سقوط طروادة حيث يغتبىء أخيل خلف ينبوع متربصا بغريمه ترويلوس الفاصل عن الخطر الذي يهدده . وفي رسوم مائية وجدت في بمبى يشاهد أخيل مع أغاممنون يختصمان بسبب محظيته بريزبيس ، وكذا يشاهد بين بنات الملك ليكوميد في سيروس . أما في النحت فقد اشتهر تمثاله الذي صنعه اسكوباس لمعبده أثينا ٣٣٠ ق.م وقد تلقت معظم أجزائه . أما في القرون الوسطى فقد ندرت رسوم أخيل واشتهرت مجموعة روبينز حوله ١٦٢٠ م . وفي القرن التاسع عشر اقتبس لايتون وسواء رسومهم التاريخية من موضوع أخيل .

□ آخيليوس :

اسم أشهر أنهار اليونان ويسمى حالياً أسبرو بوتاموس ويفصل بين مقاطعتي أكارنانيا وايتوليا . ويطلق هذا الاسم أيضاً على الله هذا النهر أحد أبناء أوقيانوس وتيثيس .

قاتل هرقل لامتلاك الحسناء ديجانير ولكنه خسر المعركة بالرغم من تحولاته العديدة .

آخيليوس في الفن يمثل بصورة شيخ ذي قرون أو تنين بوجه بشري أو ثور بوجه بشري ولحية طويلة وهذه الصورة الأخيرة تمثل بها آلهة الأنهار بشكل عام وقد وجدت على النقود ومنها نقود جيلا في صقلية ، وقد وجدت نقوش خشبية من العصر الدوري القديم تمثل صراعه مع هرقل (القرن السابع ق.م) .

□ آدراستوس

١ - ملك أرغوس . زوج بناته إلى تيديه وبولينيس وقد طردا من طيبة . ولأجل أن يمكنهما من المودة إلى وطنهما قاد حملة من سبته إلى طيبة - وفي خلال الحرب قتل جميع القادة ما عدا آدراستوس . لكنه مات حزناً على ولده ايجياليه . وكان يمجد في بعض المدن اليونانية كنصف الله .

٢ - ابن غورديوس ملك فريجيا . قتل أخاه بدون قصد منه وهرب إلى ليديا ملتجئاً إلى ملكها كريزوس . ولما قتل بدون قصد منه أيضاً ابن كريزوس انتحر يائساً .

□ أدميت

هي بنت أوريستيه . وقد سرق هرقل لأجلها زنار هيبيوليت ملكة الأمازونات وكانت هذه أحدى أفاعيله الائتني عشرة .

□ أدميتوس

هو ملك فيريس في تساليا . وعندما طرد أبوتون من الأولب رعى غنم أدميتوس تسعه أعوام وجاء على حسن ضيافته أعطاء حق اختيار من ينوب عنه في الهبوط إلى عالم الأموات وساعدته على تحقيق الشروط التي فرضها عليه بيلياس مقابل تزويمجه إيهابنته أسيست فراح أدميتوس يبحث عنها على عربة تجرها الأسود والخنازير البرية . ولما دنت متيته تطوعت أسيست لتنوب عنه في النزول إلى عالم الأموات ولكن هرقل أنقذها وأعادها إلى زوجها العبيب .

□ أدونيس

كلمة أدون في الفينيقية تعني السيد . وأدونيس الله فينيقي يموت ويبعث باستمرار . وكانت مدينة جبيل المبناء الفينيقي مهد عبادته . وتقع على مصب نهر أدونيس (نهر إبراهيم) أما في الأساطير الاغريقية فهو فتى أخاذ الجمال عشقته أفروديت . قتله خنزير بري أثناء الصيد فحصلت أفروديت على ميثاق من زوس بالآ يبقى في عالم الأموات إلا بعض العام . فكان يبعث في الربيع والصيف ليتابع رحلاته مع أفروديت . وكان يقام العداد لموته والفرح لبعثه بأعياد سنوية فخمة في كثير من المدن ومنها الإسكندرية وقد وصف تيوقريطس هذه الاحتفالات .

□ أدونيس في الفن :

ووجدت أقدم صور أدونيس على مرايا وآنية أتروسكية مثل صورة أفروديت وبرسيفون وهما بجانب نعش أدونيس على وعاء وجد في إيطاليا القديمة . وكذلك

تمثال أدونيس في كابوا (القرن الرابع ق.م) وينسب إلى الفنان اليوناني أوفرانور . وكثيراً ما وجدت صور لأدونيس على رسوم جدارية كما هو الأمر في بومبي وعلي توابيت رومانية وفيما بعد استمد الفنانون مثل لوتيبيان وروبنز صوراً من رحلات أدونيس للصيد ومن أحزان فينوس عليه وكذلك فعل بعض النحاتين مثل دوروسى و كانوفا و دوفريس و ثرولتزن . (والحدث هنا عن أدونيس اليوناني الروماني وليس عن الفيتيقي) .

□ آراخنة :

فتاة ليدية كانت ماهرة في صنع السجاد بحيث فاقت الآلهة أثينا في أحدى المباريات فما كان منها إلا أن مسختها عنكبوتًا حسداً منها .

آراخنة في الفن : « ظهرت أسطورة آراخنة على افريز في معبد الآلهة أثينا في روما وفي نقش على الزنك للفنان ستيفانو ديلا بيلا وفي لوحة للفنان فيلاسكين وكلاهما من المدرسة الباروكية .

□ أرتيميس :

آلهة الصيد عند الأغريق . وهي بنت زوس وليتها وتوأم أبولون . ويرجع أن تكون ألوهتها للحيوانات والغابات قد أتت من أصول أقدم من الحضارة الأغريقية . كانت بارعة في الصيد . تجوب مع وصيفاتها الجبال والغابات في أركاديا ولاكونيا . وفضلاً عن ذلك كانت ، كأخيها أبولون ، تعاقب الخارجين على النظام وقتلهم بسهامها كما فعلت بالمتكرة نيوبيه . وكانت مستعصية على العب وآثرت أن تبقى عذراء ولذلك تعتبر حامية العفة . ولذا للأمهات في مرض أولادهن . وكما أن أخاهما أبولون كان يعد آلهًا للشمس فقد كانت هي آلهة للقمر . وكانت تدعى في إسبارطة أرتيميس أورثيا وكان سكان هذه المدينة يخشون سلطتها ويرجون خيرها ويقدمون لها القرابين البشرية . وكانت في الشرق آلهة الخصب وبهذه الصفة عبدت في معبد ايفيز . أما الرومان فقد وحدوها مع الآلهة ديانا .

□ أرتيميس في الفن : « كانت تمثل أرتيميس كملكة للحيوانات في الآثار اليونانية الأقدم كما هو الأمر في آثر كورنثي في جزيرة ديلوس من القرن السابع ق.م وتمثل أحياناً بشكل آلهة القمر في شعرها هلال وفي يدها مشعل . وهكذا صورت على احدى الميداليات . وتصویرها كصيادة يعود الى مستهل العصر الهيليني حيث تبرز متسلحة بقوس وجمة ومسكة بيدها اليمنى قرون وعل (وعاء محفوظ في أثينا من القرن السابع ق.م) وهنالك رسم على افريز في البارثينوس يمثلها مستوى على العرش وسط عدد من الآلهة . ووجد لها في بومبي تمثال بلباس طويل يبدو أنه نسخة عن أصل اغريقي من القرن الخامس ق.م . ولها في اللوحة تمثال شهير باسم أرتيميس غابي ، ذو ملامع تجعله قريباً من أسلوب باراكسيتيل (القرن الرابع ق.م) . وغالباً ما تبدو أرتيميس في وقفة مفعمة باللطف ويدها تشبك رداء الصيد من فوق كتفها . أما أرتيميس فرساي فربما كان من صنع ليوشارس حيث تبدو صيادة رشيقية بأذية قصيرة ومعها وعل . أما ديانا ايفيز فتظهر كالآلهة للخشب باشداء كثيرة . وتبرزها الرسوم الجدارية في بومبي بأشكال أخرى .

وفي الفن الحديث نذكر رسوم كوريج وروبنز وبوشيه وكورو وأعمال النحاتين غوجون وهودون وميلس وفالفيير .

□ آرغو :

اسم السفينة التي أكلت الأرغيفين إلى آيا . وكان يقودها خمسون ملاحاً ، وقد تلقت هذه السفينة من الآلهة أثينا قطعة من شجرة البلوط الناطقة جلبتها من غابة دودون وبها أصبحت السفينة قادرة على الكلام والتنبؤ بالمستقبل . وعندما انتهت رحلتها انضمت إلى المجموعات الفلكية .

□ آرغوس :

عملاق ذو مائة عين كلفته هيرا أن يراقب ايوا التي حولت إلى عِجلة . الا أن هرميس قتلها بعد أن ألقى عليه التوم . فنشرت هيرا عيونه على ذيل الطاووس .

□ آرغوس في الفن : « تبدو صورته على بعض الآنية اليونانية كحارس ،

من ذلك وعاء في ميونيخ يعود إلى القرن السادس ق.م. وهناك رسوم جدارية لأرغوس في بومبي وروما . وقد رسم روبنز لوحة لأرغوس المتحول إلى طاووس .

□ الأرغيون :

هم الأبطال الاغريق الخمسون الذين أبحروا على سفينة الأرغو بقيادة جازون نحو الكولشيد (جورجيا) لأجل الاستيلاء على الفرو الذهبي . وكان الملك بيللياس قد اشترط على ابن أخيه جازون أن يأتيه بهذا الفرو ليعطيه مملكة ايولكوس وهو فرو الكبش الاسطوري الذي حمل في الهواء فريكسوس واخته هيليه وعندما تقربا بالكبش إلى زوس أهدى فريكسوس فروه الذهبي إلى ايتيس ملك الكولشيد فعلقه على بلوطة مقدسة يحرسها تنين مخيف . وكان بين الأبطال الخمسين امفياروس وهرقل وأوفيس وتيسيوس والأخوان ديوسكور ابنا زوس . ولم يقبل ايتيس أن يعطيهم الفرو الا بعد أن يقوم جازون بأعمال خارقة منها أن يعرث الأرض بمحراث تجره ثيران تنفس اللهب وأن يبذر أسنان التنين ثم يستأصل المخلوقات الغبية التي تنبتها وأن يقتل التنين الحراس للفرو . وقد استطاع ذلك بمساعدة الساحرة ميديا بنت ايتيس ولم تكن عودتهم إلى بلادهم خالية من المصاعب . وبعد مغامرات عديدة وصلوا إلى ايولكوس .

الأرغيون في الفن : « من جملة الآثار المستوحاة من قصة الأرغيين رسم على وعاء أورفييتو يبدو فيه الأرغيون وهم يستعدون للابحار إلى كولشيد (٤٦٠ق.م) . ويحتمل أن تكون هذه الصورة نسخة عن أثر فني لبولينيتو . وقد وجدت مشاهد من رحلتهم منقوشة على علبة زينة من القرن الرابع ق.م . وفي عصر النهضة استخدم هذا الموضوع في تزيين السقوف الإيطالية وقد استمد الفنان بيرودي كازيمو من هذه الأسطورة احدى لوحاته .

□ آركاس :

هو ابن زوس من الحنساء الأركادية كاليستو . غارت منها هيرا فحوّلتها إلى دبة وبينما كان ابنها آركاس يصطاد قابلها وهم يقتلها وهو يجهل حقيقة أمرها . وهنا تدخل زرس وحولهما إلى مجموعتين من النجوم هما الدب الأكبر والدب الأصغر .

□ آريان :

هي بنت مينوس ملك جزيرة كريت . ساعدت تيسسيوس على قتل الميتوتور . وأعطيته رأس الخيط الذي مكنته من معرفة طريق الخروج من التيه ثم هربت معه لكنه تركها في جزيرة ناكسوس حيث وجدها ديونيزوس نائمة فتزوجها . وقد استقبلها سكان الأولب استقبالاً حسناً .

آريان في الفن : « ظهرت صورة آريان على وعاء شهير موجود في فلورنسا يعود إلى ٥٧٠ ق.م . وقد عادراها تيسسيوس وظهرت لها رسوم جدارية في بومبي بصحبة ديونيزوس وأشهر تماثيلها آريان النائمة (الفاتيكان) وأريان المهجورة (في اللوفر) وأريان والفهد للفنان دانيكر ١٨٤٠ م .

□ آريثوزا :

أحدى حوريات البحر . تبعها ألفيوس آله النهر الذي كانت تستحم به إلى جزيرة أورتيجيا فطلبت مساعدة أرتيميس التي حولتها إلى ينبوع بالقرب من مدينة سيراكوزا فاجتاز ألفيوس البحر ووحد مياهه بمياه ينبوع آريثوزا .

آريثوزا في الفن : « يبدو رأس آريثوزا على نقود سيراكوزا القديمة محاطاً بالدلافين وهي تضم شعرها بشبكة .

□ آريس :

هو آله العرب عند اليونان . وهو ابن زوس وهيرا ولشدة بأسه واعتداده بنفسه أخذ يتطاول على سائر الآلهة ومنهم والده . وكان ذا قامة ضخمة وصوت يشبه الرعد وكان أسرع من كل الآلهة يصعبه الخوف والرعب أثى سار ولم يخضع إلا لسحر أفروديت التي أحباها . ويحتمل أن تكون منطقة تراس مهد عبادته التي لم تنتشر في الأوساط الشعبية اليونانية كثيراً وقد اتحد بمارس عند الرومان حيث لقيت عبادته اقبالاً أكثر .

□ آريس في الفن : « كان آريس يمثل على الآنية الاغريقية في مطلع العهد

الهيليني بصورة محارب مكتهل ذي لعنة يحيط به بعض الآلهة ويلبس درعاً وخوذة من ذلك رسمه على وعاء أتيكي في متحف الفاتيكان (٥٤٠ ق.م) ورسمه على وعاء شهير في فلورنسا (٥٧٠ ق.م) . وفيما بعد أصبح يبدو في صوره أحدث سنًا وأقل تعجلاً . وهناك آرييس لودوفيكى الجالس على صخرة وقد شبك يديه على أحدى ركبتيه وأرييس بورجيا الموجود في متحف اللوفر وله تمثال من البرونز في متحف الفاتيكان يعود إلى العهد الأنطروپوسكي في القرن الرابع ق.م يمثله لابساً درعاً وخوذة . وله رسوم جدارية تمثل حبه لفينوس ظهرت في أطلال بومبي . أما رسامو عصر النهضة فكانوا يفضلون تصويره مجبأ لفينوس ثم عاد الباروكيون إلى تصويره كآله للحرب وقد أصبح مارس أو آرييس مصدر الهام لبعض نحاتي القرن الثامن عشر مثل كانوفا وثورفاللسدن .

□ آريسب :

- ١ - بنت توسر وزوجة دردانوس .
- ٢ - زوجة بريام ملك طروادة قبل زواجه بهيكوب .

□ أريستوديموس :

ملك اسبارطة وحفيد هرقل ووالد أوريستين وبروكليس .

□ أريستوماخوس :

هو حفيد هرقل ووالد كرسفونت . حاول عبثاً أن يقهر البيلوبونيز (شبه جزيرة المورة) وتمكن أبناؤه من ذلك فيما بعد .

□ أريستايوس :

هو الله اغريقي قديم وهو ابن أورانوس أو أبولون وكان يعتبر رب الزراعة والصيد وتربية الماشي .

□ آريون :

١ - مغن وشاعر من جزيرة ليسبوس . صحب برياندر ملك كورنثوس

طويلاً . وعندما غادر هذه المدينة في سفينة ذاهباً إلى إيطاليا استولى البحارون على ثروته وقررروا قتله فطلب أمنيته الأخيرة وهي أن يسمعوا له بالغناء فاتجه إلى حافة السفينة وغنى أحلى أغانيه ثم ألقى نفسه في البحر فاحتمله دلفين كان قد سحره غناوه ، وأوصله سالماً إلى رأس تينار في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة الموره ومن هناك عاد إلى ملوكه برياندر . وكان البحارون قد أشاعوا أنه بقي في إيطاليا ففضح آريون كذبهم بظهوره غير المرتقب .

٢ - هو الحصان غير القاني السريع كالبرق العائد لأدراستوس .

□ أستراباكس :

بطل لاكونيا القديمة وجد ديمارات ملك اسبارطة . اشتهر في العروبة الميدية .

□ أسترايوس :

أحد المردة الجبابرة وهو زوج ايوس (الفجر) ووالد الرياح الأربع وهي بوريه (ريح الشمال) وزيفير (ريح الغرب) وأوروس (ريح الشرق) ونوتوس (ريح الجنوب) .

□ أسترايا :

هي بنت زوس وتيميس . أو بنت أسترايوس وإيوس . أقامت بين الناس أثناء العصر الذهبي الطيب . وعندما أخذ الشر يطفئ رويداً رويداً على الغير اختفت من الأرض وصعدت إلى السماء وسطعت نجماً يعرف بالعذراء .

□ أستياناكوس :

هو ابن هكتور وأندرومك ويدعى أيضاً أسكمندر . عندما سقطت طروادة القاه الأغريق من فوق الأسوار .

« أستياناكوس في الفن » : يظهر أستياناكوس في لوحات بوليسيوت (القرن الخامس ق.م) . كما يظهر على العديد من الأواني الأغريقية . وكان موته مادة

للفن فعل وعاء من ليدوس صورة له ورأسه مدلى الى الأسفل بينما قبض نيوتوليم على رجله (القرن السادس ق.م) . وصوره بريغوس بالهيئة ذاتها على صفحة محفوظة في باريس . وفي صورة مائية للرسام كلسيفراديس محفوظة في مدينة نابولي (القرن الرابع ق.م) يظهر بريام جاثياً على ركبتيه بجانب جثة أستياناكوس الدامية .

□ **أستيريا :**

هي بنت المارد كوس وفيبيه . استفزها زوس فألقت بنفسها في البحر فتحولت الى جزيرة تعرف باسمها .

□ **أستيريون :**

هو ملك كريت وزوج أوروبا ، ربى أبناء أوروبا من زوس ومينوس ورادامانت كما لو كانوا أبناء الشرعيين . وقد عين مينوس خليفة له .

□ **أسكالافوس :**

١ - ملك أورشومين وابن آريس وأستيوش . اشتراك في رحلة الأرغيين وهلك بعدئذ في حصار طروادة .

٢ - ابن آشيرون وأورفنه . فضح بيريسيغون التي أكلت في العجيم من رمانة محمرة وعقب على ما فعل بأن حول الى بومة .

□ **اسكانى :**

ابن اينيه وكرييوز . هرب مع أبيه من طروادة المحترقة الى اللاتيوم وهناك أسس مدينة ألب الطويلة وعرف فيها باسم ايول فكان جد الرومان ولا سيما الفرع اليولياني .

□ **آسيا :**

هي حورية بحرية اغريقية وهي بنت أوقيانوس وتيتيس ، وأم بروميثيوس أو زوجته في بعض الروايات .

□ أسيداли :

لقب لفينوس مشتق من اسم ينبع في بيوتيا كانت تستحم فيه .

□ آسيس (أكيس باليونانية) :

هو ابن فونوس . أحب غالاتيا . سحقه غريم السيكلوب بوليفيم تحت صخرة فاستحال دمه نهرا يحمل اسمه في صقلية .

□ أشيرون :

هو نهر في مقاطعة إيبير يجري قسم منه تحت الأرض ولذلك اعتبره اليونان القدماء أحد أنهار الجميع، وكان شارون يعبر بأرواح الموتى إلى الجانب الآخر من النهر .

□ أطلس :

هو أحد المرأة ابن جايبت . شارك في غزو السماء فعوقب بأن حكم عليه أن يحمل على كتفيه القبة السماوية أو الأعمدة التي تقل السماء . وهو والد البناء المعروفات باسم هيادس وبليادس ، وقد توحد منذ القدم مع سلسلة جبال الأطلس المعروفة في شمال أفريقيا لأن ببرسيه حولته إلى جبل مستخدمة تأثير رأس ميدوزا .

أطلس في الفن : « توجد صوره على العديد من الآنية الاغريقية وأشهر صوره على افريز في معبد زوس الأوليبي حيث يبدو هرقل وقد أخذ عنه حمله بينما يقدم له أطلس تفاحات هيسبريد . وله في نابولي تمثال من المرمر يمثله حاملا كرة العالم .

□ اطلنطيد :

اسم البلاد الأسطورية المعروفة بأطلس . يروى أنها كانت تقع غرب أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) ومنها اشتق اسم المحيط الأطلسي . وقد أصيبيت بالغسق والزلزال وغرقت في البحر لأن الآلهة عاقبت سكانها الخالدين . وقد وصفها أفلاطون في محاورته (كريتياس) وذكر تفصيلات عن موقعها ومكانتها السياسية وازدهارها وسقوطها . وقد أثارت هذه المحاوره كثيرا من الأعمال الأدبية الحديثة حول هذه البلاد الأسطورية ..

ويطلق هذا الاسم في حالة الجمع على بنات أطلس هيداس وبلidas .

□ آغاقيه :

هي بنت قدموس . تملكتها هوس عبادة باخوس فضحت بابتها .

□ أغاممنون :

هو ابن آتريوس ملك ميسين . عندما قتل ثيسيتوس أباه هرب مع أخيه مينيلاوس إلى إسبارطة حيث تزوجا بنتي ملكها تندار (كليتمينستر وهيلين) . وقد نجح أغاممنون بطرد ثيسيتوس وصار ملكاً على ميسين بينما أصبح أخوه ملكاً على إسبارطة وبعد أن هربت هيلين زوجة مينيلاوس قاد أغاممنون الحملة الأغريقية على طروادة وكانت نقطة تجمع السفن ميناء أوليس حيث قتل أغاممنون أثناء الصيد وعلا يخص الآلهة أرتيميس ف humili غضبها وأسكنت الريح فلم يتمكن الأسطول من الإقلاع فأشار الكاهن كالشاس على أغاممنون بتضحية ابنته إيفيجينيا قرباناً لارضاء أرتيميس . وأثناء حصار طروادة نشب نزاع بين أغاممنون وأخيل كان شواماً على اليونان . وبعد خراب طروادة وفي طريق العودة اغتالته زوجته كليتمينستر وحببها إيجيست ثم انتقم ابنته أورست له . وقد استوحى الروائي أستخيلوس قصة أغاممنون في ثلاثيته (أوريستي) . وكان أغاممنون أحد البارزين في اليادة هوميروس .

أغا منون في الفن : « يصور أغاممنون بهيئة ملك ذي لعنة كما في بعض الرسوم البارزة اليونانية في ساموتراس وعلى بعض الآنية الأغريقية يبدو أغاممنون وهو يقود السبية الحسناء بريزيبيس (باريس ٤٩٠ ق.م) . وعلى بعض الآنية الأغريقية في نابولي نجد رسوماً لأغاممنون أثناء تدمير طروادة وفي بعض الرسوم الجدارية في بومبي رسم لأغاممنون وهو يضحى ابنته . ويشاهد منظر موت أغاممنون على جرار دفن أتروسكية . »

□ آجاميد :

هو ابن الملك أرجينوس البيوتي . بنى مع أخيه تروفونيوس معبد أبولون في دلفي فتمنيا على الآله أن يحقق لهما خير أمانيهما . فكان أن أماتهما في المعبد

ذاته . وفي رواية أخرى أنها بنيا للملك هيريوس بيت مال حصينا وصنعا فيه ممراً سرياً . وبواسطته سرقة كنوز الملك إلا أن آغاميد وقع في فخ كان الملك قد نصبه قطع أخوه رأسه وأخذه لثلا تعرف هويته .

□ آغانيب :

ابنة ملك الأنهار . كانت حورية تقيم في ينبع كامن انجس عندما ضرب الحewan بيجاجس الأرض بحافره وكان ماؤه يلهم الشعراء .

□ أغديستيس :

مارد نصفه ذكر ونصفه أنثى من نسل زوس .

□ آغلوروس :

هي بنت سيكروس . لما دمرت مدينة أثينا في حروب طويلة ألتقت بنفسها من فوق الأكروبول تحقيقةً لنبوءة زعمت أن المدينة لا تنجو إلا بمثل هذه التضحية . وفي معبدها كان يقسم شباب أثينا الذاهبون إلى الجنديمة يمين الاخلاص للوطن . وفي أسطورة أخرى أن الآلهة أثينا أودعت عند بنات سيكروبس الثلاث صندوقاً وحدرتهن من فتحه . وكان البطل إيرينخته مخبأً في داخله ، وبداعف الفضول ففتح الأختان آغلور وهيرسيه الصندوق بالرغم من التحذير وما وجدتا فيه الشاب أصابهما الجنون والقيتا بنفسيهما من فوق الأكروبول .

□ آفایا :

هي آلهة اغريقية عبادت في جزيرة ايجهن حيثبني لها معبد مشهور . وهي في الأصل من كريت .

□ أفروديت :

هي آلهة الجمال والشهوة والخصب عند الاغريق . وهي بنت زوس وديونيه . تروي الأساطير اليونانية أنها ولدت من زبد البحر (أفروس تعني باليونانية زبد

البحر) ويبعدو أن أصل عبادتها شرقي لأن ثمة تقاربًا بينها وبين عشتار . ولم تكن أفروديت آلة للحب والجمال فحسب بل كانت آلة الحياة الكونية وحامية البحارين . انتشرت عبادتها في الموانئ والجزر . وكانت قبرص المركز الرئيسي لعبادتها . ويروى أنها خرجت من البحر إلى هذه الجزيرة . وعبدت في أماكن أخرى مثل صقلية حيث بني لها معبد على جبل ايريكس . وكان الآلهة والرجال يخضعون لجمالها على السواء . وليس عجبًا أن يعطيها باريس تفاحة الجمال التي خصصتها ايриس آلة الفتنة لأجمل فتاة . وفي بعض الروايات أنها كانت زوجة هيبايسوس . وتزعم رواية أخرى أنها زوجة آريس الله العرب ، وقد أتت أسطورة حب أدونيس لها من آسيا ، وكان آتشيز أحد الفنانين الذين نالوا العظوة بها وولدت منه اينيه . وقد لعبت أفروديت دوراً هاماً في حروب طروادة وهي التي أعطت هلين إلى باريس وأشعلت وبالتالي العرب الشهيرة التي ساعدت فيها الطرواديين وابنها اينيه بشكل خاص . وتعتبر الآلهات المرح والحب والاحسان من حاشيتها . وكذلك ربات النظام الطبيعي والاجتماعي . وقد خصصوا لها من الطليور الحمائم ومن النباتات الاس والرمان . وفيما بعد اتحدت بها فينوس ربة الربيع عند الرومان كما اتحد ابنها ايروس بكيوبيد .

أفروديت في الفن : « في عالم الآلهة الاغريقية تعد أفروديت من أكثر الموضوعات التي استثرت بانتاج الفنانين . وكان الفنانون الاكثر قدماً - ولا سيما على الغزف - يصورونها كاسية اما في العقب الأخيرة وفي عهد الكلاسيكية فقد صورت عارية تماماً او عارية الصدر . وتوجد صورة لها على وعاء ايوني من القرن السادس ق.م محفوظة في ميونيخ تمثلها في أبيهى حلقة في مشهد تحكيم باريس . وفي بوسطن وعاء يعود الى بداية القرن الخامس ق.م وعليه صورة اختلاف هيلين . وعلى صحفة تنسب الى بيستوكينوس ٤٩٠ ق.م تبدو أفروديت راكبة اوزة طائرة . ويدرك أن آبيل رسام الاسكندر الكبير صنع لها صورة أهداها الى معبد اسكالافوس في جزيرة كوس تمثلها خارجة من الأمواج . وقد اختفت هذه الصورة بعد أن كانت سبب شهرة المعبد الذي احتواها .

أما في النحت فهناك أفروديت كنيد للمثال براكسيتيل (القرن الرابع ق.م) وللفنان فيدياس أعمال تمثلها كاسية . وهناك أفروديت اسكوباس التي تضاهي في الشهرة أفروديت كنيد . وقد اشتهرت في القرن الثالث ق.م أفروديت المستحمة للمثال ديد الساس ويوجد هذا التمثال في متحف اللوفر وهناك فينيوس الكابيتول في روما وفيينوس ميديتشي في متحف نابولي . ولعلهما نسختان عن تمثال هيلينستي وأخيراً يوجد تمثال شهير باسم فينيوس دي ميلو (القرن الثاني ق.م) . وهناك كثير من التماثيل الآجرية لفينوس على غرار فينيوس كنيد . وقد تناول موضوع فينيوس - أفروديت فنانو العصور الوسطى مثل فرو وماين الالمانيين فأظهروها بلباس فاخر واشتهر من رساميها في عصر النهضة بوتشيلي ورافائيل وكوريج وفي العصر الباروكي روبنز .

□ آفيرن :

اسم لمملكة بلوتون عند الرومان .



آراء في جورج لانز

لا يبرح « جورج لانز » منذ صدور ديوانه الأول « هنا ici » عام ١٩٢٠ ، الذي ضمنه قصائد تفتى فيها بمقاطعة الأردين ، يؤكد إرادته بأن يغدو ابن عصره الذي يتعجج بالآلية والسرعة ، معتبراً عنه في لغة موقفقة .

معجم لاروس

بحث في الشعر الفرنسي لجان روسيلو

إن « جورج لانز » هو واحد من هؤلاء الكتاب الذين أمسوا شهوداً على العصر الحديث بوضوح قللَ مثيله .

ضد العرب ، ذاك بخاصة ما أعلنته « البيانات الشعرية » التي نظم بعضها « جورج لانز » فطبّقت الآفاق ، والتي لا تبني تشور على عجزنا عن كشف ما يعسر العثور عليه في العالم والناس .

لقد شرح « جورج لانز » في سبع روايات له ، القلق الذي يساور الإنسان المعاصر . فكانت بداية طيبة لشعره نوه فيه بذكر احساسنا « بصبح العالم الأول » .

جورج ماري ماثيوجس

إن ما يروعنا كذلك ، تلك اللهجة « البروميثيوسية » التي عبر فيها « جورج لانز » عن المدنية الحديثة ، مبشرًا بالمدنية المقبلة ، بكل ما فيه من حيطة وحذر .

إن أعظم هم يساور « جورج لانز » هو دراسة العالم الحديث ، عَبَرَ الطفولة ، والآلة ، والعرب التي لا تبني نعلنها . تلك هي المواضيع التي لم يخل منها أثر من آثاره .

دانيل ديبيري

قصيدة

السلام الذي لا يصدق

للسّاعِرِ الْبَعْيِيْكِي : جورج لانز
مُتَرْجِمَة : سعد صائب

Poème :
des « Je suis ... »

قصيدة :
الـ « أنا » ٠٠٠

والفصول
وهما ابناء
من دم واحد .

□

أنا
للسلام
للعمال
للفلاحين
للنجوم
للغابات
للمدن
للبحار .
فماذا تبتغون مني

أنا ،
أنا
لسرورة العريّة
الحنون

□
أنا
لالمعابد القوطية
مثلاً أنا
للطائرات المسالة ...

□

وبين الاثنين
يترجح قلبي
تباعاً للساعات

وهي في منتهى شعبيتها ...



بلى ،
إن ما قبل التاريخ ليبدأ
منصفاً
ما كان جديراً به أن يمسى
حدثة غَضَّةَ
وبربرية .
وإني لأُشهد
لكل من يعيَا
كما أشهد لنفسي
ببقطة حيَّةَ
ولن يغالبني شك ،
في أني كنتُ على حقَّ .

- أعيدوا عليَّ ماتبتغونه !
الا فلتتها
بالحياة
مع عصرها
ولتتعاطف
مع العالم .
أنا إذن ،
أنا ببساطة
من عصر
الحروب الكبرى
أنا من الدروب العريضة
من الآلات
من الكهرباء



Poème :
des « Tiens, Tiens »
ou de l'étrange parenté

قصيدة :
« أقاربك ، أقاربك »
أو القرْبَى الغريبة

وحدي
في أعنان السماء
□
ولأكن في أحسن حال
آه !
لأكن في أحسن حال

أقاربك ، أقاربك ،
فلاكن في أحسن حال
عند شاطئ النهر العتيق ،
□
ولأكن في أحسن حال
وأنا أحلق مصعداً

وإذ أفكّر في هذا المحرّك
تعرّوني هزةً
لأنَّ
هذه القربي البارعة
تمزج
سعادة جديدة
 بشيء من خوفٍ .



لذا أراني أطرح السؤال
عن كل شيء
حتى عن العروب



دون أن أنسى
تبجيلي العميق
الريحَ
 والأرضَ
 والماءَ
 والنارَ .



وبدهي
تبجيلي كل شيء
له روح
حتى نُدْفَة ثلجٍ .

وسط أثاث
 وأوانٍ مزخرفة
 تبدو
 في شتى الأرجام
 مرتفعةً اوبتي
 مذعنةً لي
 وكان حبّها ايّاً قد سلّكَ قلبها :



ألا إني لأبصر
 عن شمالي
 مشكاةً
 تُبدي عظمتها
 ويدأً ممتدةً
 تُظهر قسوتها لصبار فولادي .



كما أبصر
 عن يميني
 أيها الأصدقاء ،
 - دعوني أزجره ! -
 محرّكًا

يشبه كل الشبه
 شكل جمعتنا .



Poème :
de la vraie lecture
ou de la vitesse et du jeu

قصيدة :
القراءة الصعيبة
أو حول السرعة واللهو

بلى ، بلى ،
فلننحدد في الوجوه نظرنا
ولنقرأها
ما اوتينا
لأن كل شيء كامن فيها .

□
أما نهجنا الذي ننتهج في قراءتنا
ففي ميسوره أن يُفْضِي بنا
إلى أن نسوانغ
اعجوبة وجودنا .

□
وانه لنصر مؤزر لنا
ب خاصة
اذا كانت هذه العذوبة
تنمي فينا
في اللحظة المواتية
السرعة واللهو ،
كما تعيد الثقة
إلى شاعر
لايفتا يراوده شيء من شرود
و سط
 أحاسيسه الداخلية
و غلوّه العادل .

□
السرعة
تبعدنا ،
□
واللهو
يُبعدنا
مادمنا ، بفضلهما
نجيا على نحو آخر ،
وكأنهما حرّرانا
من بعض سحر يستغلق على الفهم .

□
وحين نمعن التفكير فيهما
يتاح لنا الوقت
كيماء ندخل
المدينة
ونديم في الوجوه نظرنا ثانيةً
تلك الوجوه التي تحفَ بها
حجارة
بلور
حلم
وآلات

Poème :

des nouveaux « ET SI ... »

قصيدة :
طرائف « ولو أن ... »

أعلينا إذن
أن نعيد القول
دوماً وأبداً ؟



لو أننا
كما نبدأ
راودنا الحلم هنيهة ،
ولو أننا أبدعنا
حضارة
باهرة النساء
ملوّنة
وصامتة ؟
ذات نوافذ مشرعة
وأبواب
لا أفال لها .



الا إن مدن الفد
كامنة فينا
وكأنها أجنة
من بلور واسمنت .



بيد أن
الوسواس سيظلّ مستحوداً علينا
منذ أن تبعت من الأرض
أول رائحة .

لو أن الملائكة
عاشت ،
ولو أنها تجلّت
حيالنا

على غرّة
كما تتجلّى السهام النارية
في آفاق السماء .



لو أن الناس
هبيوا من رقادهم
ذات يوم
فرأوا
شتت آلاتهم
وقد سترها
جسَد حي ...



مُحال
أن لا يوجد دنيوي
وأن تمسي الأعاجيب
أليفة
أشدّ الفة
مما نبدعه
وهو نحن
تماماً .



■ السلام الذي لا يصدق ■

Poème :

des mille ans

قصيدة :

الالف عام

— سنظلّ نجني دوماً
— مدنًا عجيبة
أناساً شوادَّ
شعراء أغراها .



أترى تمسي الفرابة
عندئذ
خالدةَ
بالقياس اليكم ؟



رويدكم ، رويدكم ،
أما ساوركم الشك قطَّ
فيما تنزعون اليه ؟

— ما الذي سنجنيه
خلال الف عام ؟
— مدنًا عجيبة
أناساً شوادَّ
شعراء أغراها .



— وبعد ألف عام ؟
— مدنًا عجيبة
أناساً شوادَّ
شعراء أغراها .



— وكذلك بعد ألف عام ؟



Poème :
de l'amour
ou de la poésie universelle

ـ أما الغد ؟
لكانني بكَ لم تبع لي قَطَّ
 بشيء عنه .



ـ الا ليتكَ ترھف اليه
سمعاكَ !



ـ إن الغد
 درب ساحرة ،
 انه خالد ،
 نبدعه بضربات من قصائد
 متلاحقة .



ـ لأنه ، هو وحده ،
 حتى هذه الساعة
 لا يملك سوى حقيقته
 وعليها في الواقع أن تمسي
 عامة شاملة .



ـ أنتَ موافق ؟



ـ موافق .

قصيدة :
الحب
أو الشِّعْرُ الشَّمْوَلِي

ـ أنا ،
أحبَ الشِّيوخَ .

□
ـ أنا ،
أهوى الشباب

□
ـ حَسَنَ
هكذا

ـ يتبع لنا عالمنا
تخوماً صحيحة .

□
ـ بيد أني
أبوج لكَ كما تبوج لي
بأنني ،

ـ أهوى العديد
والنحاس
والرصاص
والقصدير

□
ـ أهوى قسوة الأرض
المعروفه بأسرار عظيمة .



قصيدة :
الزهو الآخر

Poème :
d'une ultime fierté

فيا أيها الطفل ،
إني مُنْزَجٌ إليكَ شكري !
إذ تَهَبْ لي
هذا الزهو الآخر .

□

— فيم تقول :
زهو آخر :
— اني أقول :
زهونا الآخر ،
الكامن خَلَلَ
الآلات
والحديد
والطِّلَام
والأَزَاهِير
والأطفال ،

ولن يتبع لنا البتة
الامان في بحثنا

عن معرفة هذه الأرض
التي لا تعدو مدينة ذات اشعاع ،

□

بيد أنها ،
تصون
في أعماقها
ذخيرةً لا تنضب

واذا
بالأرض
لا تعدو مدينة .

□

وعلى غِرَّة
رأيتني وقد غالب على نفسي الزهو
أتغلغل معنًا
خلل الآلات
والحديد
والبلور
والطِّلَام
كِيما التقي
بنظرة طفل
تذكّرني
بالشجر
والعصور الممعنة في القِدَم .

□

هكذا
يمزج
الشِّعرُ
العصور
والسرعة
والأحساس .

□

التي يجدر بنا
أن لا ننفو في البحث عن فهمها
وأن نكون يقطنين
لأن الكلمات والأفكار
هي التي تكيف مسلكنا .

من الهوام
والغابات
والأنهار الجديدة
كما ستتصون ، بلا ريب ،
تلك القصائد

Poème :
du Trou

قصيدة :
الثقب

أقل شأنًا
من فجر
 فوق الأرض ،
 من دخان
 في السهل

يبدو
أن ثمة
ثقباً
في الفضاء
تتجمع فيه
مئات الملايين من الشموس .
وانه ثقب عميق
 كالفرد .

□
 من غراب
 يحلق
 ملوّناً بالزرقة
 وكأنه معدن ،
 من أغنية ،
 من تمثال ،
 من موسيقا يعزفها انسان ،
 من دراجة

□
 فترانا نمضي هاتفين به .
 إلى أين ؟

□
 لعل
 هذا الثقب
 يمسني

■ السلام الذي لا يصدق ■

تدور
من أجلنا
كمهددة عذبة
وانه ليحيا
أفضل مما يحيا قلب .

منسية
متکثة على جدار من الاسمنت صغير .

□
لعله أقل شأنًا
من عجلة متقدمة المصنوع

□ ■ □

Poème :
de la pensée folle

قصيدة :
الفكرة المجنونة

حقاً
إنها لفكرة مجنونة
بيد أن عليها
الفيينة حدّ الفينة
ألا تدوم
إلا لكي تنقذ
المظاهر .

والعودة الضارّة :
إني ساع
إلى أن أعي
كذلك

□
أأظلّ أعمى ؟
ما الذي أعييه ؟
فلا لأضرب مثلاً :

ألا إن الأفكار المجنونة
ليست البتة
هي التي تراود أذهان
هذا الضرب من الناس
الذي يفسد عالمنا
المكتظ
في سجونه .

علم
لا يظل
الإنسان
والشجرة
ناميين أبداً ؟
وفيم يتوقفان عن نموهما

— وما الدلالـة
التي أفعما فيها بالنمو ؟

□
ها نحن
إذن .

□

الحركة
ما دام ليس في ميسور الزمن
أن يُمسى
سوى السكون الأسمى .

أسياد الحركات والمياه .
□
يبيد أن عليكم أن تفسروا لي
الماء ،
عليكم ، أن تفسروا



Poème :
de la science

قصيدة :
العلم

وقدرا .
ذلك
هو العِلم .
□
ـ آو تقولون
ان ليس ثمة انسان
لا يساوره الدهش ؟
□
ـ ولكن كلام ،
لا انسان .
□
ـ الا إن كل سرّ خفيّ
يتلudem ومنطقه .

فلنعد القول :
ـ عبّثا نسرع الخطى .
إن الفد
هو الابداع نفسه .
□
ـ ثمة ،
الأسرار كافية
تترقب منها
صابرية كل الصبر
ذاهلة كل الذهول
ـ أن نهب لها
اسما



■ السلام الذي لا يصدق ■

Poème :
du plaisir extraordinaire

أرهفتُ اليه سمعي ،
ورددتُ فيه نظري .



الحق أقول ،
لعلَّه كان معيّنا
ولا سيما انه كان خلوا
من نهج للسعادة
دقيق
نهج لن يتاح له البتة
في هذه الأزمان المحتدمة
أزمان الكهرباء والآلة .

قصيدة :
اللئنة الخارقة

— يقول الانسان ،
أما أنا ،
فسعيد ،
غاية السعادة
إذ أحس أنني أمسى
رويداً رويداً
أصم ،
أعسى ...



وعلى غيرَة ،



Poème :
**de la nuit
ou du grand optimisme**

— طبعاً
هذه الليلة بخاصة .



أمضوا قدمًا
حتى عمق الأشياء
لتروا

قصيدة :
**الليل
أو التفاؤل العظيم**

كل الليالي
هائنة ،

□
— حتى هذه الليلة التي تشتمل علينا ،
هذه الليلة الأطول ؟



انه ليل يطفئ المعرّكات
الواحدة تلو الأخرى
مفضلاً عليها

المصابيح

التي تحكى أطفالاً فوجئوا على غيرِّه



وبعد ؟

عليكم أن تطرحوا سؤالكم
على القادرين على التفكير
في الأزاهير
في الأهداب
المطبقة
دون ركام
من الظلمات العنون .

أن ليس ثمة ممكن
لا يلتقي ما يغايره .



ترى إلى أي شيء
يُفضي ذلك ؟



ألا فلنعد إذن .
إلى ليلنا القصير
الذي الفناه ،
وانه لليل حalk ،
ليل غراب ،
ليل فغم حجري ،
ليل بوم ،



Poème :

héroïque

قصيدة :
بطولية

في زاوية من زوايا الكون
أعني
في هذه المدينة
التي تُبتكَر فيها
ضروب الآلات



آلة سمع ذاتعة الصيت
وسماء بهي .

إنني لأصدح
بقصائدي
جهير الصوت
بكل ما أملك
من شجاعة ،



فشة ،

Poème :

de la perfection imprévu

قصيدة :
الاتقان الطارئ

في أرجاء
متباينة كل التباين
وضمن أشكال طارئة .

احتلت
على غرّة
ذوابة من شعرك الفاحم
مكانها فوق
جبينك الوضاء
وكانها اتقان مهان

□
- فيها أصدقائي
انها لحقيقة
جديرة بأن تعرفوها دوماً .

□
واثمة
إلى جوارها
محرك
تبثث منه تمتة
جديدة غاية الجدة
كان لم يُخْلِق
أجمل منها
فوق ظهر البسيطة

□
عيشا
تكمن متوارية ،
لأن الاتقان
يبرز
دوماً
وكانه قصيدة .

□
لا ريب ،
في أن الاتقان
عام شامل
ما دام يتجلّى
الفينة حدّ الفينة

□
هموا !
إنه هناك
وإن لم تدركوه .
- بلى ،
وإنني لأراه .

Poème :
de la vérité quotidienne

عن هذه الأمور .



ما الذي يعنيه
كل هذا الهذيان ؟
هذه الثورة ،
هذا التغيير ،
هذا التقدم ،
هذا الفناء
الذي يبطل دوماً ؟



أتُرى سِيسِمو
الشِعْرُ
إِلَى رُوُسْكِمْ ؟



ـ كلا ، كلا ،
فتكلك هي
صغرى حقائقي اليومية ؛
ولكن ماضرّني ،
حسبى أن أنسح لكم
بأن تفكروا
من آن إلى آن
في تعويذتي الحنون

ـ هو ذاك ،
إنني لسمح
إذ أقول
إن الحياة
ثورة
تنطوى
على ذاتها



تتغيّر
ولا تتغيّر .



تقدّم
ولا تقدّم



وانها بخاصة
تفنى
ولا تفنى البتة .



إنني لألود بصمتى
على الرغم من أن
لديّ الكثير مما أقوله لكم

■ السلام الذي لا يصدق ■

علام
لا نتيح للشِّعْر المتسكّع
أن يؤدّي دوره
حين يحلو لنا أداؤه ؟

التي أسعى وقد داخلتني رقة عليكم -
إلى أن أعلمكم ايها .



وبعد ،

□ □ □

Poème :

prémonitoire

قصيدة :
منذرة

ومومياء رجل أعمال
في ثوب سهرة ،
تقييمان وسط
أشياء عجيبة
بحيث لا ندرى ماذا نصنع بهما
...



أيها الطفل ،
حذار
أن تطرح سؤالك
عما ألت إليه
المدافن العسكرية الرحمة
 ومعامل
هاتيك العصور



التي
يُحرّم فيها
على الناس

نحن
خلال عام ٢٢٧٣
في صميم
عصرنا .



السماء زرقاء
في أحلى زرقتها .



قال أحدهم
للطفل ،
 Helm
نأخذ سمنتنا
إلى متحف
السلالات البائدة



فساريك
momiae قائد
في بزرة مهرجان ،

قصائد

لاتني
تنالى علينا
كأنها البحر ،
وسمسي
غيب ستة أشهر
في عام ٣٢٧٤

أن يفكروا .

□
والتي لم يتبق منها
أية ذرّة هباء .
□
ترى ، ما انتفاعهم
آنذاك
بكل ماجنوه ؟



Poème :
sans réponse

قصيدة :
بلا جواب

فهذه السعادة الغريبة
لم توهب لنا قطَّ
حتى اليوم .

□
وإذ يعوزنا الوقت
للترقب
ترانا نعود
لتوانا
إلى التحرّي
عمّا تبقى لنا
من الأرض
والأنهار
والغابات

لقد التمسنا
من ملاحي الكون
في شتى الارجاء
أن يحسنوا نياتهم بوحدتهم
كما يحملوا لنا
ما وسعهم
وجوهاً طافحة بالبشر
وعلوماً مجهولةً
أو
قصائد جديدة .

□
« ولقد قلنا لهم :
لكم الشكر الجزييل ! »

■ السلام الذي لا يصدق ■

لصا برون
وصدّقوني ،
انهم في منتهى السماحة .



ناهيك عن
أنهم ليسوا متواجدين البتة
في نظام شمسيٌّ
دانِ .



وانهم مهما غلوا في البعد
فلن يفقدوا
صدقة
أوراق
ومعادن .

والمدن
والاطفال الابرياء
والظلّ الطبيعي
والضياء . . .

□
ألا إننا سنستعين بكم ،
ومن المؤكَد
اننا سسلم بكم
لو أن القلب ناجاكم ،
إذ ،
اننا لا نبتغي البتة
أن نؤخذ على غيرَة .



ألا إن الشعراً



Poème :

pour bien savoir

علام ابدعناها ،
ونمضي نشيد مدننا
ونحلم أحلاماً
ونبتكر رقصات
وننظم أغنيات . . .



دعوا ، هنية ،

لدينا
جميعاً
طرَف من حقيقة .



فترانا نُبدع
آلات

دون أن نعي جيداً

في أن أعرف
و لأنني شدَّ ما الوب لهفان
باختِـا
عن نظام عام ،



فرجائي اليكم ،
أن تقصوا عليَـ
في يُـسر
قصة حياتكم .



ـ حَسَنَـ ، هاكم ،
اني أبداً ،
فالقوا بسمعكم اليـ :
ـ « أنا عامل
ولدي يدان ضخمتان ٠٠٠ ـ

كل ذلك
و تعالوا مسرعي الخطى
تعالوا مسرعي الخطى
وانظروا
إلى جواد
يجوز العقول ،
انه لشهد
بين مطلع الفجر
ومغرب الشمس
نادر المثال ،
لا يُـنتسى



وإن شئتم
أن تسرّوا عنـي ،
بدوركم
إذ أني طلـعـة ،



Poème :
des conseils
ou d'une sorte d'éternité

قصيدة :
نصائح
أو ضرب من الخلود

عن صفاتـها
بـاذلين جهـدهـم
في مـعرفـة

يتـسائل الشـعـراء
عن كل شيء ،
عن عـظـائم الـامـور

وإن نحن شئناها
فستظلّ
ذات يوم
حيّة كلّها
ولن تحتاج البتة
إلى العلم بها .

□
تلك هي
السعادة المضحكة
التي تدهوننا بها !

□
لا ريب ،
لا ريب ،
لا ريب ،

في أن هذا الأمر قد حداني
إلى أن أزجي إليكم نصي
بأن لا تؤخذوا على غِرْة .

□
ألا إن كل شاعر
يعرف حقَّ المعرفة
أن في أعمق أعمق
نبوعاته
تظلّ صور يومه
هي الأفصح والأبلغ .

□

سر العالم .

□
أتراهم يتساءلون
عن السرّ
أم عن الجمال ؟

□
حسبهما إنهم الوجه نفسه ،
تماماً .

□
وتلك لعمرى لذَّة
لها مزية أختها
وكلتاها تصنع
صبر زهرة .

□
الا فلتدمروا النظر
إلى أوراق الغريف
التي تساقط
متراجحة
في أحاديد
المدن الحديثة

□
ألا فلتفكّروا
في أن آلات
ستُصنّع
فوق سطح الأرض
حتى نهاية العصور ،

أن تفكروا فيـ *

على نحو لم تألفوه ؟



ألا إن الشعراو

لن يموتوا البتة

وان سنتهم

لا تمت إلى فصول .



ومن نحو آخر ،

فلمل الموت

ليس سوى

تصوّر ساذج

ليلاد الكون .

وان آفاقه

لتلتفـ *

حوله

وكأنها حبال مسحورة .



رويدكم ، رويدكم

إن لدىـ انطباعـ *

أنكم تتحددـ ثون

وكأنكم لن تحياوا

أمداً مديداً !



يالها من ملاحقة تبغتقـ ،

أترىـ في ميسوركم



Poème :
du vieillard

قصيدة :

الشيخ الهرم

وهو واحد من الانطباعات الجمةـ

الذـي أضـيفـه

إلى شـتـيتـ تلكـ الانطبـاعـاتـ

الـتيـ تـفـتنـ اللـبـ وـتـمـلـكـ القـلـبـ فيـ عـذـوبـةـ

هـنـاـ ،

فـوقـ الشـرـىـ .



يسـاورـنيـ الـيـوـمـ

احـسـاسـ ،

بـأـنـيـ شـرـدتـ

فيـ كـهـفـ

شـعـرـيـ الأـشـهـبـ .

وـانـهـ لـانـطـبـاعـ

نـادـرـ المـثالـ :



■ السلام الذي لا يصدق ■

قصيدة :

المحبّا

أو الفسيل العظيم

Poème :

du visage

ou de la grande lessive

فتنشر غسلها
في مرج رحب مشمس
ثم تمضي
من نجم الى نجم . . .



لا تدهشوا ،
إذ ليس للشعر
ایمان
ولا قانون
ولا حدود ،



وثمة ،
كذلك ،
في هذا الزمن
بعض مدبرات بيوت
ساذجات
كماء الصخرة



وأناس
وسط معامل ،
يؤمنون
بفضائل الجمال
وهم على اهبة
لأن يرموا للماء صاحبين ،
متمادين في صخبيهم .

— إن الزهو ليغلب على نفسي ،
وإني لأستشعر الغبطة
إذ أدعكم سعداء هانئين ،



— ألستم إذن .
أهلاً لهذه السعادة ؟



— ياله من سؤال !
أو لم تلحظوه قطّ
مرتسمًا على محبابي ؟



— ترى ماذا ترغبون
أن تصنوا بدوركم ؟



— قليل من اللهو
وساروي
لمدبرة شؤون البيت
 ساعياً الى
أن أشرح لها
ما يساورني من تفكير
في الكون .



— عندها ؟
— عندها ؟
لعل الحلم سيراودها

Poème :
des vitesses relatives

قصيدة :
السرعات النسبية

شهوة الكون



وانهما لتنتميان
وتمتزجان
فيه ،
وهما موجوتان
في ادنى فكرة
وأقلّ مادة .



وانهما لتنصرّفان
حتى
في القصيدة
حيث تحبو
الصور
أو تومض
في سحر البلور
والحجارة .



هلاً فهمتم ؟



كلا .



- أنا ،

أهوى آلة

تسير

وثيده الخطى



متقنعة الصنْع ،
توشك أن تتأنسن .



- أنا ،

أهوى آلة

تسير

حيثية الخطى



متجاوزة
الاتقان الانساني .



- أنتَ مُحقّ

فكلتاهما :

السرعة

والثؤدة ،

قصيدة :
العجبينة

Poème :
de la pâte

<p>وطبعيَّةٌ أن تأخذ حماسة مصيرها .</p> <p>□ إن لها صدقة شاطئِ ، ولكم يبدو أن بعضهم يلقي بسمعه إلى غنائهما . . .</p> <p>□ بيد أن هؤلام قلة .</p> <p>□ — ألا أرموا لنا ما طاب لكم فإن ماترونونه لم يعد كافياً .</p> <p>□ — حَسَنَ .</p> <p>إني مبادر إلى أن أخطئ لكم لغزاً وسأضيف كيمَا أعينكم ، أن هذه العجينة ليست إلا اسماً بالغ الصيغَر . . .</p> <p>□ ألا فلتبحثوا !</p>	<p>آيادٍ تقطُّرٌ أياماً وليلالي .</p> <p>□ تعجنَ عجبينة ، كواكب حيري حياةَ ، أزاهير ، دوراً ، آلات ، أحداثاً وأشياء أرضية متماطلة كل التماطل .</p> <p>□ ألا إن هذه العجينة التي يستعملها الزمن وكانها خميرة لتأخذ هي نفسها شكلها ولونها .</p> <p>□</p>
--	--

أن ما يهمنا
ليس دوماً
ما نعثر عليه .

يجدركم إذن أن تبحثوا !
□
شريطة أن تعلموا تمام العلم

□ □ □

Poème :
**de l'appel
et de moi**

قصيدة :
**النداء
وأنا**

ترى ، علام
يرتدي العمل
هنا
رداءً أزرق ؟

الشاعر مُفترى
بسر" العالم
فتراه لا يفتا
يلوب باحثا عنه ،

□

الآن إن الكون
في هذه الهيئة
ليدعوك الشاعر .

□

وها هو ذا اليوم
يحد" النظر
إلى رأس عامل
حتى لتوشك قضيته
أن تبتسم له .

□

انه ليدعوه
من شتى الارجاء .
أما هو
فضائع
مستجد ..

تستحوذ عليه
كزهرة بليلة الأثير
عند طرف ساقها الأزرق .

□

■ السلام الذي لا يصدق ■

الهنيهات الغريبة .



لِمَ لَا ؟
 إن الشِّعْرُ
 طيف اشعاع
 أما أنا
 فمزيج بسيط
 أجيد تقديره
 بزمن
 بسلام
 بفضاء
 بكهرباء .

ألا رحِبوا بالشعراء !
 رحِبوا بهم !



إن ترحيبكم ليحكي
 برْقًا لا يُقْهَرَ ،
 يحكي حواراً .
 ولئن تمادى البرق والحوال
 فمن المؤكَد انهما سيقيمان
 حول الشاعر
 كل ضروب الامان
 ويتيحان له



Poème :
de l'admiration

قصيدة :
الاعجاب

معجب بالعجلة
 التي أَفْتَ أن تمسي
 أكثر ليونة
 وأشدَّ وميضاً ،



معجب بعينيكِ
 الاشدَّ سُمْرةً ،



معجب بهذه الفمامة

- اني لمعجب
 بالشجرة
 التي أَحْسَنَت رسمَ
 شكل أوراقها ،



معجب بالساقي
 التي ابدعت
 حدَّ أشواكها ،



— تعني
انك معجب
بكل شيء .



— حقاً
اني لاوشك أن أتعجب بكل شيء .



من يدرِّي
لعلَّ فجرًا سيطلع
على عالم
لن يتبع لنا الغيار
إذ سيغدو مفعماً
بالكتابة الحقة .

ذات الرأس البشري
الأشد " شروداً .



معجب بزَبَد
مراوح سفينتي
ووسط الخضم ،



معجب بالشمس
التي تبدو ،
مع ذلك ،
وكأن مهارتها
ادنى من المهارة
التي تؤديها يدي .



Poème :

**de la science
de l'invention
et de l'amusement**

قصيدة :
**العلم
والابداع
والله و**

كل ضروب الحدود
فصنعتم مياهاً
وعلوماً
وهواجس
دفعتنا إلى التفكير

— هو ذاك ،
انكم تقدّمون لنا
كل شيء تسوده الفوضى .



لقد خططتم حولنا

حاجتنا الى الابداع
لا تكاد تنقطع
فقد عدتُ الى مناجاة نفسي



ترى أين سيفضي بنا
كل ذلك *



أياً كان الامر ،
فاني أرجو
لأناس هذه الملايين
أن يمعنوا في لهوهم *



- هلاً قلتم شيئاً ؟
- بلى ،
إن الحياة جميلة *

في أسرى غريبة
من ملائكة
وشياطين *



وصنعت
آلات الأمس
ما وسعها
كيميا تعذو حذوكم *



ولم يتبقَ لنا
إلا كلمات بالية
نُفسح بها
عن هذه الأشياء الحديثة *



وإذ أن



Poème :
du grand étonnement

قصيدة :
الدهش العظيم

تغمّره الشمس



القمح ذهبيَّ
الذهب ذَهَبٌ
الطائرة تترقبني

الدم أحمر
الورقة خضراء
السماء زرقاء
الولد يشدو
البيت

وكانه حيٌّ



اننا لنشتشفْ

القد

أحياناً

فنقيه

وقد ساورته رعشة .



لَكُمْ يبدو العالم

مذهلاً !



ألا إن آلات تنمو .

وان انفجارات

تنناهى إلى أسماعنا ،



واني لأفتح جُمْعِ كفَّي

أوه !

فابدع أنامل !

الزهرة تُفْعِمُ الجوَّ باريجهها

القصيدة جميلة

الارض تدور



العَجَلَة مدوّرة

البحر مُضنى

ويديك دافئة

ونحن نبصر

نجوماً ،

أطياراً ،

كلاياً ،

حجارة ،

سمكاً ،

ضفادع ،

مذيعاً صغيراً

يتهدى

وحده



Poème :

de Georges

ou des « Je vois ... »

: قصيدة

جورج

أو « إني أبصِر٠٠٠ »

كل شيء وقد غمرته الشمس ،

أبصِر٠

- من خلال النافذة المشرعة ،

أبصِر٠

النَّبِيَّةَ

وَإِسْمَنْتُهَا الْمَفَرَّغَ



أَبْصَرُ

جَانِبَّاً

مِنْ مَظَهِّرٍ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ
يَحْمِلُونَا

عَلَى غَيْرَةٍ

عَلَى ذَرْفٍ دَمْوعَنَا
وَهُمْ رَاضُونَ



لَكَ شَكْرِيٌّ
يَادِمُوعَ الْجَمَالِ •



أَلَا إِنْكَ يَا جَورَجَ
لَتَهْرِمَ •



أَجْلُ ،

إِنِّي لَأْهَرِمُ

بَعْدُوبَةٍ

هَنِيَّهَةٌ إِثْ هَنِيَّهَةٌ ! •

لَبَلَابَةَ

وَمِدَاقَةَ

اتَّحَدُتَا أَيْمَانًا اتَّهَادَ

بِعِيَاتَنَا الْمُعَاصِرَةَ •



لَكَ شَكْرِيٌّ

أَيْهَا الْفَسَيَاءَ •



لَكَ شَكْرِيٌّ

أَيْتَهَا الْلَّبَلَابَةَ

أَنْتِ يَا نَبِيَّ الْأَرْجَوَانِيَّةَ !
وَنَبِيَّنِي النَّهَارِيَّةَ !

لَكَ شَكْرِيٌّ

عَلَى صَدَاقَتِكَ

يَا بَرْجَ الْأَسْلَاكِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ
فِي شَكْلِكَ

وَضِيَّانِكَ •



إِنِّي لَأَبْصَرُ

وَلَدًا

يَغْبَيْهَ لِي ،

هَنِيَّهَةَ

Poème :
**de la nouvelle guerre
 et du « Mon dieu ! »**

قصيدة :
**العرب الجديدة
 و « ربّاه ! »**

قد لها
 مع ناره
 فلم يعثر قطّ على ذاته
 في لهبها
 في كيميائه
 في لوالبه
 وجَبْرِه ؟



فيما فقراءنا
 إنكم لتعلمون
 أن من العبث
 أن نتمادي في العافنا .



وبعد .
 اذا لم يكن ثمة ما هو أفضل
 فعلينا أن نجزم
 مثلاً :
 « بـان الشــعــرــ »
 يخرج
 من أفواه الأطفال » .



مختبر
 هنا ،
 مختبر
 هناك .
 ننحت فيما
 صابرين
 وجه
 العرب الجديدة .



مشعاً
 هنا
 مشعاً
 هناك .



بـيد أنه الجحيم !
 ربـّاه !
 ربـّاه !
 ماذا نصنع ؟



ـ لا تقل :
 « ربـّاه » ؟
 فعلــته

■ السلام الذي لا يصدق ■

رداً من الزمن
بالقنابل العبارات .



إني لأسائل نفسي
عما إذا كان وَخْز ضميرنا
سيدرك ذات يوم
أعباء تلك القنابل
وجبروتها .

هانحن
مطمئنون غاية الاطمئنان
في عالم
منظم غاية التنظيم
حيث يبلغ
تابع الاحداث
حد المنطق والاعجوبة
على نحو لن يتاح لنا فيه
التفكير ، قَل أو كثُر



Poème :
des enfants nouveaux
de la vérité inutile
et du danger nécessaire

قصيدة :
الابناء الجدد
والحقيقة اللا مجده
والخطر الذي لا بد منه

ولدوا في دور رحبة
تعج بالغريب .



وانهم لمن عِرق غني
بيد أنه عابر . . .



لا ريب
لا ريب
في انكم لن تعلّموني شيئاً .

من منا لا يعلم
أن كل حكمة
بريئة ؟

□
ألا إن أبناء هذا العصر
قد ولدوا
من الماء
والنِفط ،



ألا ليتكم تعلمون !

□

ولكي أثبّكم
أضيف
اننا دون جهالة
ودون سرّ
ودون ليل
لن يُتاح لنا
الشِّعْر
ولن تتيّسر لنا
السعادة

حتى ليensi في مقدور
انعدام المغامرات
وانتفاء الاخطار
أن يثروا آلامنا .

□

تلك هي حياتنا
التي نعيها اليوم
في عالمنا الصغير ،
عالمنا الشاذ
الذي لما ينته ...

□

أيها الابناء
أيتها الكواكب
أيتها الآلات
لأنك خالدة !

□ ■ □

إن السعادة والشقاء
هما وحدهما

اللذان لا يطيقان
أي تحول
لأن لهما قوى راسخة .

□

وأياً كان الأمر
فحين يُسْفِر الكون قليلاً
فإن أسراراً أخرى
تأخذ لتوها جانبًا معيناً
خلال خفاياها .

□

لَكَمْ قلنا
إن كل حقيقة
لا تجدي ،

□

وإن البحث
قد نابه أمى
إذ يتثبت بفراغ لامتناه
كما يتثبت سمك سليمان
بمبصبات أنهار ملوّنة .

□

لَكَمْ قلنا
إن السر
مجد .

□

— وبعد ،

■ السلام الذي لا يصدق ■

Poème :

**du faubourg triste
ou du dernier conseil**

قصيدة :
**الضاحية العزيزينة
أو النصّح الأخير**

في الضاحية
مرات لا عِداد لها
□
وَهَا هِي ذِي
حِيرَى
صَابِرَة
رَحْبَة
مُتَكَثَّةٌ عَلَى سَقْوفَهَا .
□
حَتَّى لَكَانَا نِبْصَر
فَوْقَ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ
مَخَابِيَّهُ مَدِيدَةٌ
لِأَسْمَاءِ مَوْتَىٰ :
وَتَلْكَ قَصِيدَتِهِ الْمَشْوُومَةُ الْذَّهَبِيَّةُ .
□

بَلِي ،
إِنَّهُ لِعَصْرِ جُنْدٍ
عَصْرِ مَدَنِ مَحْتَرَقَةٍ
عَصْرِ أَنَّاسٍ فَقَرَاءٍ ،
عَصْرِ فَرَائِسٍ
عَصْرِ فَوْلَادٍ مَعْبُودٍ
وَأَنْظَمَةٍ مَرْقَمَةٍ .

أَهْبَط
إِلَى الضَّاحِيَّةِ
الَّتِي تَلْتَمِّ
خَلْفِي
كَمَا تَلْتَمِّ مَقْصَاتٍ بَارِدَةَ .
□
هُنَا ، وَهُنَاكَ ،
ثُمَّ بَعْضُ مَصَابِيعِ
مَبْشُوتَةٍ
وَلَنْ يَخَالِجَنِي شَكٌ فِي أَنَّهَا
بَعْضُ هِيمَمٍ صَغِيرَةٍ
كَانَهَا بَقِيَّةً مِنْ حَيَاةٍ .
□
بَلِي ، بَلِي ،
وَمِنْ قَلِيلٍ مِنْ هَذِهِ الْهِمَمَةِ الْمُسْتَنْهَا
تَنْجُمُ
آلاتٌ مَأْلَوَفَةٌ
خَلْلُ الْبَلَلُورِ
وَالْفَوْلَادُ
وَالْعَجَارَةُ .
□
لَقَدْ أَثَرَتِ الْعَرَبُ

ألا أزجَ بكم
في أتون العرب !
لأن الحقيقة
تنساب
فوق معيّاكم
وكانها انعكاسات نور حيّة .

□

وتلك ولا ريب
بارقة أمل
حتى

لو أن الحزن الذي يعتري الضاحية
قلماً ينسجم معها ،

□

وإدخال
اننا لو أردناها
منذ اليوم حتى الغد
مع الشِّعْر
الذِّي هو في الواقع
علَّة العالم ،
لما أعيانا الامر ...

□

ما الشيء الذي لا يعيينا أمره ؟

□

انكم لتدركونه
أكثر مني ،
وإنني تارك لكم ،

ألا إن العرب التي هرمـت
حـيرـى
مـتكـثـة
صـابـرـة ،
أـتـرـاهـاـ تـنـشـبـ ثـانـيـةـ ؟
روـيدـكـمـ !
إـنـ شـيـئـاـ لـمـ يـفـقـدـ :
فـشـمـةـ طـفـلـ يـعـدـوـ
مـنـ رـصـيفـ إـلـىـ رـصـيفـ .

□

وـبـعـدـ ؟
اـنـهـ فـلـيـذـةـ مـنـ سـعـادـةـ
توـشـكـ
أـنـ تـوـارـىـ .

□

وـكـمـثـلـ اـيـمـاعـةـ
فـانـ الـابـنـاءـ كـافـةـ
عاـبـرـونـ
مهـيـأـوـنـ
لـلـمـشـولـ بـيـنـكـمـ
متـزـاحـمـينـ
لـائـذـينـ بـالـنـاسـ الـبـوـاسـلـ .
فـيـاـ لـلـقـضـيـةـ !

□

أـيـهـاـ الـابـنـاءـ ، طـابـ مـسـبـاحـكـمـ !
إـنـيـ مـحاـوـلـ

دوماً وابداً .



امضوا إذنْ .
امضوا مفسّرين لي ،
علام نحن مدعاوون
لأنّ نقول لكم :
« اني أهواكم كلّكم ،
ولكن ماذا تراني أصنع
كيما آخذ بيدكم ؟ »



ماذا تراني أصنع
كيما افسّر لكم تفسيراً وافياً
دموعكم
والدواير المزرقة التي تحفَّ بعيونكم
وآلاتكم
وموسيقاكم
ورقصاتكم
وابتساماتكم ؟



ماذا تراني أصنع
كيما يمسي لكل فرد فيكم
وطن صغير جميل
غاية في الجمال
وغاية في الدفع
وغاية في الانسانية ؟ »



مرأة آخرَى ،
الاهتمام واللذة
اللتين تختمون بهما الافتية
وتبدعنها
كذلك ،
دون أن تعرِيكُم
ثورة عذبة .



فيما أيها الاصدقاء الاعزاء
الا ترون
أن الشِّعْرَ
كما يتناهى الى سمعي
ليس إلا
حضوراً رحباً



وحين يرتفع
حجب النهار
وحجب الليل
الا نفاجأ جميعاً
برؤية
أن ما يحفّ بنا
من نظرة
وضياء
وشيء بسيط
أتقين صنعته
إنما يحمل لنا الفالَّ ،

سنضج بالصرّاخ
من سعادتنا فيه !

□
عند ذاك ،
سندعه يحيا . . .

ثمة نصيحة أخير أرجوكم :
« ضعوا أنفسكم جيداً
في معنى
دوران الأرض نفسه .

على ضوء هذا الوضع نخلد إلى النوم
وقد استحوذت علينا الغبطة
بالكون . . .

ألا فلنأمل
في يوم يجيء ،
يرفرف فيه
علم السلام الأكبر
فوق
الضواحي كافة
تلك الضواحي التي لن تدبر فيها
إلا معامل
أدق وأرهف ،
وإلا سماحة
أجل وأوضح !

□
وسنسمى مجهدين
إن نحن آمنا بهذا اليوم



Poème :
de la synthèse
ou du lest sacré

قصيدة :
التركيب
أو الثقل المقدس

بطائرتي المعجزة
في سماء أوروبا
فيقع نظري
على جبال الألب

لقد آن آوان
الاقناع .

□
ها أنذا احلق اليوم

■ السلام الذي لا يصدق ■

ثم احوم
ميمماً بطارتي
شطر المدن الجديدة
مجيلاً نظري
بعظمـة
كـيـما أبـصـر بـجـلاءـعـ
غـامـةـ ،
دوـنيـ ،
جمـيلـةـ
جمال سلام لا يصدق .

وهي بيضاء ناصعة
كأنها اقـطةـ .

ومن ثمـ ،
أزـجيـ إيمـاعـةـ صـدـاقـةـ
إـلـىـ الـپـارـثـيـنـونـ(1)
الـذـيـ ظـلـ تـحـ طـائـرـتـيـ
معـنـاـ فـيـ عـنـادـهـ
أـمـدـاـ مـدـيـداـ
وـكـانـ شـقـلـ مـقـدـسـ .

أنا موـقـنـ
بـأـنـ الـعـالـمـ
سيـظـلـ
فـيـ هـذـهـ الـهـنـيـةـ
فـتـيـاـ أـبـداـ .

ورـويـدـاـ روـيدـاـ
ارـانـيـ مـحـوـمـاـ فـيـ سـمـاءـ پـارـیـسـ
نـصـفـ تـحـوـيـمـةـ
مـرـخـيـاـ العنـانـ
لـطـائـرـةـ

الـتـيـ لـمـ تـكـنـ قـطـ
تـشـبـهـ الـكـوـنـ
فـيـ نـقـاءـ آـلـيـتـهاـ .

إـذـنـ ،
لـنـ يـدـرـكـ .
لـحـسـنـ الطـالـعـ .

(1) PARTHENON معبد الالهة اثيناعلى الاكروروبل في اثينا ، زينه بالتماثيل والنقوش النحت الاغريقي فيديامن (القرن الخامس ق.م) .

من القصص الفيتنامية

ترجمة : عبد المعين الملوحي

بوي دين با

حارس المنارة

رسا مركبنا على بعد حوالي كيلو مترين من منارة (هو لانغ) . وعرض علي العامل على الآلات (وونغ تافات) وهو صيني - فييتنامي أن نزور حارس المنارة الذي يسميه السيد (ستة) والذي كان صديقاً لوالده .

ووافق الربان ، وأخذنا زورقاً ، انتزع محركه منه ، ومضينا الى المنارة ،
نسير بالمجاديف .

وساعدتنا الريح والموج ، وسرعان ما اقتربنا من غايتنا . كانت منارة (هو لانغ) التي تهدى المراكب في مدخل المضيق ، مؤلفة من بيت صغير من الخشب مدهون باللون الرمادي ويقوم على أربعة أعمدة من (الاسمنت) فوق سخرة يتلتصق بها برج للمشاعل يبلغ ارتفاعه ضعفي ارتفاع البيت .

إذا نظرت الى هذا البيت - المنارة من عرض البحر بدا لك أنه الصورة الكاملة للوحدة والعزلة .

الحق أن له في الجهة اليسرى أصحاباً يؤانسونه من أشجار الجوز العبلية ، وأن له من ناحية خليج (الونغ) بعض جزيرات تنتصب فتخفف من عزلته . أما ما بعد ذلك فليس إلا عرض البحر . وتظهر الصخرة التي تقوم عليها المثارة ، وقد كساها الطحلب وتعفت ، وكأنها غارقة في زبد الأمواج الصابحة . والبيت الذي تعلمه الصفائح تنفس مدفاته المصنوعة من التنك خيطاً من الدخان .
هانحن أولئك نصل ، ولست مؤخراً زورقنا صخرة هناك . . . وهجم علينا كلب أسود ، وكان نباحه ، في هذه اللوحة البحرية ، يبدو مقبولاً . وظهر من باب البيت رأس ، نصفه أصلع ، ونصفه ذو شعر أبيض ، وتطلع إلينا صاحبه محدقاً فينا .
ولم يلبث أن صاح :

- آه . . . أهذا أنت يا (فونغ) ؟ ظننتك - ثم أمسك فلم يتتابع - إذن فاربطوا الزورق أولاً . . . أليس لديكم سلسلة . . . خذوا . . .
وأرفاانا زورقنا ثم صعدنا الدرج . . . ولم يكف الرجل عن تهنة رفيقي على صحته وهنديه ، وهو يقودنا إلى بيته الصغير فدخلنا واحداً بعد واحد . كان أثاثه فقيراً ، ولكن الذي أدهشني أنني وجدت بعض الكتب على منضدة هناك ، ووجدت عدداً من الصور معلقة ، منها صورة للعلم (هو) ، وبعض زعماء الثورة إلى جانب صورة كبيرة تمثل ثلاثة قادة في رتبة لواء ، جمالهم رائع : في وسطهم لواء يحمل سيفاً ويمتليء صهوة حصان أحمر ، ويمتليء الثاني حصاناً أبيضاً ، والثالث حصاناً كميتاً ، وسلامهما حربة وسيف عريض الصفحة .

وقد أوقف الرجال خيولهم على شاطئ نهر تهز الريح قصبه هزة ناعمة .
وكأن اهتمامي بالصورة أرضى صاحب البيت فقال لي : ونحن نجلس على طرف سرير عسكري :

- وأنت أيضاً من بخاراء المركب رقم ١٢ .

وأجاب (فونغ) عنـي :

- انه جديـد . . .

- صحيح فأنا أعرف كل بخارـته . . .

قدم (فونغ) للسيد (ستة) علبة من المحار المجفـف ، ففتحـها أمامـنا وقال :

— أنت تدللني كثيراً يا ولدي ٠٠٠ هذا يكفيني شهرين ٠٠٠

وجعل السيد (ستة) يدور حول الفرن القائم في زاوية الغرفة ، وبعد قليل امتلاً الجو برائحة المحار المسلوق . وجاء بجرة من الفخار وقال : « هذه الخمر أهدانيها ابن عمي » وجاء بصحن من المخلل وهو يعد الطعام : وقال : وهذه هدية ابنتي التي تبنيتها ٠ »

ثم استأنف ٠

— الوحدة قاتلة — كما تعلم — ولكن لي ، لحسن حظي ، بنتي الصغيرة . تزورني كل يومين في زورقها . وربما شغلتها شؤون الزراعة أو اجتماعات الشبيبة فتبقى غائبة أربعة أيام أو خمسة . العيادة تنبثق شديدة الحرارة في القرية ، والفالحون يؤسسون مزارع تعاونية . وأنا هنا دائماً وحيد ، أقضى حياتي في نسج الشباك ، وفي قراءة الحكايا القديمة وإعادة قراءتها . ويمكن أن أسمع ، علاوة على زمرة الأمواج ، صرخات طيور البحر وصفير المراكب .

ولكنني لا أسمع صوت انسان . جرّب أن تعيش عيشتي أسبوعاً ، ثم انظر ما يحل بك . ومع ذلك فإن الشيخوخة يتعلمون الوحدة أكثر من الشباب . أنت في ميزة شبابك وأنت تعيش عيشة طيبة مع العمال والمعركات ، ولا حاجة لك لكي تعيش منفياً في هذه المناطق .

وملا العجوز أقداحنا ؛ وهو يرفع كأسه :

— هذه خمرة أرز (كام) أصلية . في صحتكم ٠٠٠
كان لهذه الخمرة لون الخوخ ، وطعم خاص ٠٠٠ وجرع العجوز جرعة ووضع محارة مسلوقة في فمه جعل يلوكها بالبقية الباقية من أسنانه .

— يا فتى ، في الماضي لم يكن لنا شيء نضعه تحت أسناننا ، والآن وقد انتهى عهد الشقاء وجاء الخير ، حلت بنا الشيخوخة فلم تبق لنا شهية . إن المجاعة هي التي انتزعوني من أرضي ومسقط رأسي . منذ عشرين سنة تركت كل ماهو عزيز علي لأعيش حياة الوحدة هذه في حضن الأمواج .

واعتدل العجوز في جلسته ثم تابع وهو يتنهد :

ـ لقد عرف أسلافي المجد . الصورة التي تأملتها تمثل اللواء (تران هونغ داو) وعقيدين من ضباطه . وأنا أنعدر من سلالة أحد هذين الضابطين . من الضابط الذي يمتهن الحسان الكميt على يسار اللواء .

ورفعت عيني . غريزيا ، لأرى من جديد هذه الشخصيات التاريخية وسألته :

ـ من رسم لك هذه اللوحة ؟

ـ فنان من بلدنا ، وصفت له جدي القديم كما تصورته ، وأنا أقرأ أنساب أسرتنا ، وأتم الفنان اللوحة حسب خياله ، وقد وفق إلى إعطاء هذه الشخصيات سيماء العظمة . ليست اللوحة سيئة ٠٠٠ ماذا ترى ؟

ـ لا بأس ، ولا سيماء بالنسبة إلى فنان من قريتك .

وبدا السيد (ستة) فخوراً ، وشرب جرعة أخرى من الخمر .

ـ نعم إن البؤس هو الذي طردني من مسقط رأسي . كنت في السادسة والثلاثين من عمري ٠٠ كنت في طفولتي قد ألمت بشيء من العلم . وبفضل تدخل أحد أعمامي نلت وظيفة في الأشغال العامة ، وجئت لأعمل في منارة (لونغ شو) وفيها عرفت والد (فونغ) هذا ٠٠ ياله من مسكون ، مات فجأة إثر برد أصابه . وبعد موته عملت في (هوا لانغ) وأنا فيها منذ عشر سنوات ٠٠٠

وهكذا فقد قضيت عشرين عاماً في هذه العزلة .

ورددت رغم أنفي : ـ عشرين سنة من العزلة ٠٠٠ ذلك مخيف .

ـ كان العجوز سابعاً في أفكاره وجعل يتكلم كأنه يتبع حواراً داخلياً :

ـ الربيع والأمواج ، والنجوم اذا حل الليل . هؤلاء هم أصدقائي . وهناك أيضاً السنونو وز מג الماء ٠٠٠ وكلبي (موك) منذ سنوات ٠٠٠

ولكني كنت أشتاق دائمًا إلى صوت إنسان ، ولا سيماء بعد أن تركتني ابنتي وذهبت إلى البر ٠٠

آه ... ما أشد شوقنا هنا الى البر ...

لقد تغير الزمان ، وأنا أيضاً يداعبني الأمل في العودة الى الأرض ولكن فكر
في سنوات النفي الاولى التي كابدتها .

كنا تحت الحكم الفرنسي . كنت في الليل ، أفكر وأفكـر ، وأنا أصغي الى
الرياح تزار ، والـ الأمواج تز مجر .. أرى الطفل الذي كنته ذات يوم ، شعره كانـه
خوخة فوق رأسه ، يعود من المدرسة ، ويلعب في برـكة القرية حتى الليل .

كنت أـنبش ذكرياتي عن أيام القرية بعد الحصاد ، على أنـوار المشاعـل ،
وأصوات الطـبول ، والـمسـرحـيات التي تقدمـها الفـرقـ الشـعـبـية . كنت أـتذـكر كلـ زـقـاقـ
في القرـية ، وكلـ زـخرـفةـ في مـعـبدـ الضـبـاطـ الخـمـسـةـ الـلامـعـينـ فيـ جـيـشـ (ـ تـرانـهـانـداـوـ)
وأـسـتـمعـ إـلـىـ صـوتـ الرـاهـبـ ، حـارـسـ المـعـبدـ يـقـصـ حـكـاـيـةـ المـرـكـةـ الـتـيـ خـاصـهـ هـذـاـ
الـقـائـدـ ضـدـ القـائـدـ السـاحـرـ (ـ فـامـ نـانـ) . وـكـانـتـ أـنـكـاريـ تـذـهـبـ أـيـضاـ إـلـىـ أـسـرـتـيـ ..
عـنـدـمـاـ باـعـتـ آخـرـ مـاـ تـمـلـكـ مـنـ حـقولـ الـأـرـزـ ؛ إـلـىـ جـديـ الـذـيـ سـقطـ مـنـ جـذـعـ شـجـرـةـ
الـتـينـ الـعـيـقةـ ، وـهـيـ رـمـزـ قـرـيـتـناـ ، وـمـاتـ أـثـنـاءـ مـجـاعـةـ مـخـيـفـةـ ..

منـ أـعـلـىـ هـذـهـ مـنـارـةـ يـمـكـنـ أـنـ نـرـىـ سـلـسـلـةـ مـنـ جـبـالـ لـيـسـ جـدـ عـالـيـةـ تـخـتـفـيـ
قـرـيـتـناـ (ـ جـيـاـ لـوـانـ) وـرـاءـهـاـ ، وـلـاـ تـظـهـرـ مـنـهـاـ إـلـاـ ذـرـوـةـ تـلـكـ الشـجـرـةـ الـكـبـيرـةـ . وـلـقـدـ
اخـتـرـتـ الـعـيـاةـ فيـ هـذـاـ مـنـفـيـ كـيـلاـ أـمـوـتـ جـوـعاـ مـيـلـ جـدـيـ . وـرـوـيـدـأـ روـيدـأـ الـفـتـطـلـوـعـ
الـشـمـسـ مـنـ الـبـعـرـ عـنـدـ الصـبـاحـ ، وـغـرـوبـهـاـ فيـ الـبـرـ عـنـدـ الـمـسـاءـ . وـمـعـ ذـلـكـ .. فـيـ
قـلـبـيـ أـلـمـ عـنـيفـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـزـولـ .. أـتـعـرـفـ مـاـهـوـ ؟

إـنـ هـذـاـ أـلـمـ يـهـاجـمـكـ كـلـمـاـ رـأـيـتـ مـرـكـبـاـ أـجـنبـيـاـ يـمـرـ أـمـامـ الـنـارـةـ وـيـتـجـهـ نـحـوـ
مـضـيقـ (ـ باـشـ دـانـغـ) هـذـاـ مـضـيقـ الـذـيـ أـبـادـ فـيـهـ أـجـدادـنـاـ الغـزـاةـ الـمـغـولـ .

نـحنـ فيـ أـرـضـنـاـ ، هـذـهـ الـمـرـافـيـعـ الـعـالـيـةـ مـرـافـئـنـاـ ، وـمـعـ ذـلـكـ فـانـ الـبـوـاـخـ الـتـيـ
تـدـخـلـهـاـ تـرـفـعـ عـلـمـاـ مـيـلـثـ الـأـلـوـانـ ..

فـيـ كـلـ يـوـمـ كـانـ يـتـكـرـرـ هـذـاـ مشـهـدـ أـمـامـ عـيـنـيـ ، وـفـيـ كـلـ مـرـةـ كـنـتـ أـرـفـعـ رـأـسـيـ

نحو صورة جدي ورفاقه في السلاح ، فلا أكاد أحتمل نظراتهم ، وقد ملأها عتاب
عنيف ، يدوى في أذني فلا يفارقني .

وأنا أرجوهم في أعمقني أن يعفوا عني ولا يؤخذوني ، أنا حارس المنارة
المسكين . ماذا أستطيع أن أعمل لبلدي في هذا الساحل الموحش؟ . . .

في ليلة من ليالي الشتاء في عام ١٩٤٩ سمعت صرخة استغاثة وأنا نائم . . .
ظننت أني أحلم . وعند الصباح الباكر ، كنت أصعد المنارة لأتفقد الفاز ، فوجدت
رجلًا يتمدد على الرمل وقد أمسك بسخرة . . . وأسرعت في الهبوط . كان الرجل
ميتاً . . . كان في الثلاثين من عمره ، وفي وجهه سيماء الطيبة والخير . كان لايزال
يمسك بيده المشجنة الثانية طفلة في التاسعة من عمرها . كانت مغمضة العينين ،
صفراء الوجه . أسرعت فوضعت عند أنفها عوداً من الطحلب فجعل يهتز هزة
خفيفة . . . وأسرعت في إنقاذهما من بين ذراعي الرجل ، وعرفت بعد ذلك أنه أبوها .

حملتها إلى غرفتي ، وخلعت ثيابها المبللة ، ولفتها بقطن دافئ . . . وأشعلت
نار أحامية لادفيع الغرفة ثم دلقت الطفلة بالكتلول . . . وعادت إلى الحياة رويداً
رويداً ، وفتحت عينيها البريئتين . وصرخت فرحاً . . . إنها أول مرة أشعر فيها
بالفرح في هذا المنفى .

واعتدل السيد (ستة) في جلسته مرة أخرى . وكان (فونغ) قد شرب كأسه
الرابعة ، وكان خلال حديث صاحب البيت ، وكيلاً يزعجه في رواية قصته ، يقوم
بعمل كل شيء : يغلق بعض المحار ، ويصب الخمر ، بل يحمل إلى العجوز غليون الماء .

— وهكذا عادت الطفلة إلى الحياة . . . وفي عرض البحر . . . كان حطام
المراكب يتوجه إليها . . . ولكن لم تكن هنالك عاصفة . . . وعلمت بعد ذلك أن
بحارة الجيش الفرنسي المستعمر ، بعد عودتهم من عملية تمشيط لقوى الثورة ،
صدموا ، عن عمد ، زوارق الصيد التي يملكها صيادونا ، فأغرقوا ستة زوارق منها
وقتلوا كل من فيها .

لقد كان المستعمرون الفرنسيون حاتقين على صيادينا ، الذين كانوا مع المقاومة والذي ناضل عدد غير قليل منهم ضد الاستعمار .
والرجل الذي أوى الى جزيرتنا كان واحداً من الفدائيين وقد لقى الموت هو وزوجته في تلك الليل .

جاء في اليوم الثاني أهل الصيادين وأصدقاؤهم للبحث عنهم فطلبت منهم أن اتبني الطفلة . كانت تبكي كثيراً على أبيها وأمها ، ولكنني أحطتها بالف عناء وفعلت كل ما أستطيع لادخال العزاء الى قلبها الصغير .

لقد أدخل وجود داو - وهذا هو اسمها - البهجة الى منزلي . . . بدأ لي الشتاء منذئذ أقل قسوة ، والصيف أقل ثقلاً . . . بل بدا لي أن جدي القديم يبتسم ، وأنه مسحور مثلي ، وأقسمت على العناية ، قدر ما أستطيع ، بطفولة هذا الفدائي . . . وأقنعت نفسي أنني عندما أعنى بها فأنا أشهد ولو قليلاً في المقاومة . كنا نعيش في شكل من الاشكال على ثلاثمائة قرش هندي - صيني أكسبها شهرياً ، فناكل أرزآ في بعض الأحيان أو بطاطاً حلوة . وأخيراً أهدتني أختي هذا الكلب (موك) فتقاسمنا ، نحن الثلاثة ، هذا الكوخ الصغير الذي تزداد صداقتني له يوماً بعد يوم .

حارس المنارة ليس له عمل كبير :

يراقب ضغط الغاز ، يمسك الملاحة ، وعندما يهبط الليل يوقد النار .
كنت أقضى كل أوقاتي في تعليم الطفلة القراءة والكتابة ونسج الشباك . . . وكانت سرعان ماتلتقط تعليمي في مهارة ودون عناء .

وكانت الشباك التي تصنعها بيديها تباع في سهولة . . . وكانت بما تكسب من مال ، أشتري لها حيناً منديلاً وحينياً قماشاً . . . وهكذا عشنا ، نحن الثلاثة ، في صفاء وانسجام حتى أقر السلام في بلادنا . كانت ابنتي قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها ، وبلفت أنا الخامسة والخمسين . ولاحظت من أعلى المنارة أن هناك تغييرات خارقة للعادة . . . في صباح يوم رائعاً لاحظت أن البواخر الفرنسية ، الصغيرة والكبيرة ، تنسحب في خط طويل لا ينقطع من مرفاً (نام ترييو) . وعند

الظهر رأيت من أعلى المنارة بساحتاً أحمر ورائ سلسلة جبال (رو) إنه علم كبير نصب على شجرة التين الباسقة في قريتي (جيا لوان) . وبعد الظهر زارني مسئول من الثوار في زورق :

وقال لي :

— لقد تحررت البلاد من المحتل المستعمر . وهذه المنارة أصبحت لنا . احرص على أن يبقى لديك ما يكفي من الفاز لأشعلها . الباقي الآخر الأجنبية سوف تصل إلى مرافئنا تباعاً .

كنت أريد أن أقول له : — ثق بي . سأقوم بواجبي حتى الرمق الأخير . ولكن الكلمات — والأسفاه — لم تسعفني . ولمعت عينا الرجل العجوز ، وجعل يكور كرات من الدخان الفيتلنامي بين أصابعه ويلقى بها في غليون الماء ثم يسحب نفساً وينفث سحابة من دخان .

ومن جديد رفع صوته المنظم الذي لم تستطع الريح ، التي تعول في صفائح سقف البيت ، ولا زمرة الأمواج المتكسرة على الصخور ، أن تتغلب عليه .

— وبعد أسبوع ، ولأول مرة في حياتي ، رأيت مركبين فرنسيين يبحران إلى (هاييفونغ) وعلى السارية الرئيسية في كلا المركبين يخفق علم أحمر وعليه نجم أحمر .

ومن أعلى هذا البرج هزني هذا المنظر الرائع ولم أصدق عيني « هذه الألوان ألواننا ، أنها تجسد مجد أجدادنا . » وناديت الصغيرة (داو) وطللت ، وقد استطارها الفرح ، تلوح بيتها للأعلام الحمر التي تتحقق في الريح . . . وطللتنا ، من موقعنا هذا ، نراقب كل ما يحدث في بلادنا من تطورات لم نشهد لها مثيلاً .

بعد سنة واحدة بدأت مداخن معمل الاسمنت تتنفس دخانها . وفي السنة التالية ها هي ذي الأبراج في معمل محفوظات السمك تنبثق من الأرض .

تابعت حياتي في البر ، ولكنني كنت استقبل كل شهر أحد الرفاق الذي يأتي لينوب عنـي في العمل لأذهب إلى البر وأحضر اجتماعات النقابة . . .

وقال لي رئيس المصلحة ذات يوم :

— يا جدي (ستة) لقد ظللت حارساً للمنارة عشرين عاماً . وهذا كثير .
أتريد الآن عملاً على البر ٠٠٠ »

وسلكت . فذكرت سنواتي العشرين وأكثر من العزلة . لقد تركت البر وعمرى
ست وثلاثون سنة ، وأنا أناهز الآن الستين . شعرى الأسود أصبح أبيض ، وفقدت
ثمانى أسنان من أسنانى خلال إقامتي في المنفى .

كم عقنتى الأيام ، وكم أوحشتنى الليالي .

ليس لي امرأة ولا ولد . أنا — كما يقولون — شجرة لا تحمل ثمراً .
وظللت التزم الصمت وأبكي .

هذه هي السلطة الشعبية . . . لقد فهمت آلامي . . . فكأنها سكبت في قلبي
العطر والسكينة . ونظرت إلى رئيس المصلحة شاكراً وأشارت برأسى : لا . . .
وعدت إلى صخرتي في البحر .

في مطلع هذا العام ، جاء السيد (ها) وهو حارس منارة مثلث ليحل محلى
خلال العطلة الأولى في حياتي : خمسة عشر يوماً .

أخذت معى (داو) الصغيرة إلى قريتى ومسقط رأسى . ياله من انقلاب
حقيقى . . .

نعم لقد سحقت قنابل الطائرات مجلس القرية ، ومعبدها . . . ولكن . . .
الناس . . . إنهم لا يأكلون الآن حساء ليس فيه أرز ، ولا طحالب البحر وحدها . . .
كلهم أصبحوا ، والعزّة تفترم وجوهم ، كلهم أصبحوا يتتنفسون فرح الحياة . . . ولقد
عرفني أهل القرية جميعاً . آه إن أصدقائي في الشدة لم ينسوني في الرخاء ، رغم
غيابي الطويل عنهم . قالوا لي : عد إلينا وعش في القرية معنا . وقلت لهم :
« شكرأ شكرأ . أنا أريد أن أقضى ما بقى لي من عمرى هناك في المنارة قبل أن

أسلم اليها عظامي . ما تزال هنالك نيران أريد أن أشعها ، إن عملي مهم جداً . أشعل النار لأهدي الى شواطئنا ومرافئنا البوادر القادمة من البمار الصديقة . « قلت ذلك وعدت الى صخرة المنارة مع صغيرتي (داو) . ولكن فكرة خطرت لي فعكرت مزاجي . لقد أصبحت (داو) صبية .. عمرها خمس عشرة سنة ، ويجب التفكير في مستقبلها . وقررت أن أرسلها الى بيت اختي في القرية . وذلك ما فعلته في السنة التالية .

قبل سفرها قصصت عليها تفصيلات المأسى التي أصابت أباها وأمها كما جمعتها وعرفتها . وظلت في أول الحكاية صامتة لا تبكي ، وأخيراً انفجرت في البكاء وظلت تبكي طوال الليل .

إنها الآن في القرية منذ أربع سنين . لقد أصبحت صبية جميلة . إنها تنسب الشباك وتشترك في حركة الشبيبة . لطيفة دائماً ومبسمة . وما تزال - كما كانت - تعبني . تزورني في قارب كل يومين . من بعيد ترتسم ابتسامتها على وجهها كأنها تقول لي : « ما أسعدني بلقائك ياجدي . »

وسرت العد (ستة) ونظر من النافذة . كانت الامواج صاخبة بعد الظهر ، وجعل القارب يهتز وتزن سلاسله .

هذه ساعة زيارتها . ربما عاقتها بعض الاعمال هناك . الناس عندنا يتجمعون في تعاونيات . ويدبحون غزلاناً صادوها في جبل (رو) ليقدموها وليمة في حفلة الافتتاح .

و « بلد يأتي » تذكروني فأرسلوا إلى مع صغيرتي (داو) فخذ غزال . كل من في القرية يعمل الآن حسب ملائكته . الرجال يذهبون الى الحقول أو الى البحر ، النساء يعملن في تربية الماشي أو في نسيج الشباك . واينتي عضو في مجلس القرية وفي منظمة الشباب . وأنا الذي علمتها صنع الشباك أصبحت عضواً في مجموعتها . إنها منهكة في العمل ، ومع ذلك فهي تجد دائماً الوقت الضروري للعناية بي . جاءت مرة ونادتني من تحت ، ولم استطع أن أرد عليها . كنت محموماً ، وصعدت

مسرعة ، لتضع يدها على جبيني اللاهب ، وجعلت تبكي فأغرقت الدموع خديها .
وقلت في صوت خافت : « لا تبكي .. يا صغيرتي .. ما أزال حيا ... » ولم أكدر
أقول لها ذلك حتى شاركتها في البكاء . ثم قالت لي :

— أنت عجوز ، ياجدي . ولنك الحق في الراحة . اطلب إحالتك على التقاعد ،
وأنا أططلع للعمل مكانك . »

— ولكنك يا بنتي مجنونة .. أنت صبية ويجب أن تفكري في الزواج .

وقالت :

— ليس الآن ... ما يزال من واجبي أن أعني بك .. وبعد موتك ، نعم ،
سأتزوج .

لقد مست هذه الكلمات الساذجة حبة قلبى . وقلت لها في ابتسامة :
— وماذا لو عشت عشرين سنة أخرى . كلا ، يا (داو) ، علي أولاً أن
أشهد عرسك .. وبعد ذلك أموت .

يا للطفلة المسكينة .. لقد أدركت مشاعرها ... إنها تريد أن تبقى سيدة
نفسها ومالكة لأوقاتها ، حتى تستطيع زيارتي ، كلما أرادت ، وترقيع ثيابي ،
وإعداد طعامي المفضل ، حساء المحار .

ولكن حدث ما كان يجب أن يحدث . بعد عيد رأس السنة جاءت ، وهي أكثر
ما كانت فرحاً ، تضحك في كل مناسبة ، وتنعد كأنها عصفورة . لم تكن في حياتها
كلها في مثل هذا الصخب . وسألتها :

— ماذا حدث لك يا صغيرتي فجعلتك سعيدة إلى هذه الدرجة ؟

— لا شيء .. لا شيء ..

— ولكنني أشعر أنك تخفين عنّي شيئاً .

وارتبكت (داو) ، وأحمر وجهها ، وقالت :

— لقد انتخبني عاملة ممتازة في التعاونية .

— ولكنك قلت لي ذلك من قبل .

وحدقت (داو) في عيني وقالت :

— ولكنني أخشى أن تغضب .

— كلا .. كلا

ولما رأيت أنها ما تزال تتردد قلت لها :

— هيا يا صغيرتي .. أخبريني خبرك السعيد . هل خطبك أحد الشباب ؟

ولم تجب (داو) ، وتركت رأسها يسقط على كتفي ، كأنها ارتكبت ذنباً ،
وحاولت جاهداً أن أخفى عنها حزني العميق :

— هل وافقت يا صغيرتي ؟

— لا

— ولماذا ؟

— لا أعلم

— ومن هو ؟

—

— أليس هو (كانغ) ؟ إنه هو .. إذن فانا أهنتك يا ولدي . ولكن عدinya
ان تزوريني كلما ستحت لك الفرصة .

ولم تجب (داو) .. وذهبت الى المطبخ لاعداد طعامي المفضل . كانت
عيناها حزينتين ، ولكنني كنت ألمع فيها شرارات صغيرة تترافق . وأننا أيضاً كنت
حزيناً وسعيناً في وقت واحد . لقد حدثوني كثيراً عن هذا الشاب (كانغ) . كان
فتى قوياً وعملاً ممتازاً ، وإنساناً شريفاً ، وكان مرشعاً للعزب .

لم أعرفه شخصاً ، ولكن أن يكون مرشحاً للحزب فهذا يعني شيئاً غير قليل .
لقد وثقت بالحزب . . . وسيكون (كانغ) و (داو) سعيدين في أسرة رائعة .
وسمعنا صوت زورق يضرب الصخرة ، وتبعه صوت فتاة بلوري :
(يا جدي جئت) .

وقفز العجوز ، كأنه لولب ، نحو الباب :

ـ آه . . . أنت ؟ لقد كنت أنتظرك .

وتبعدنا الجد (ستة) إلى أسفل السلم . وعرفنا الفتاة . . . لقد كان من الممكن ،
حتى في الليل ، إدراك ملامح وجهها الجميل المدور . وقد لمعت فيه عينان كبيرتان
سوداء وحنونان .

عدنا إلى الزورق ، كانت الريح ناعمة ، وكان الزورق يرقص فوق الأمواج
القرمزية . . . ومنارة (هوا لانغ) تضيء طريقنا بأنوارها الغضر ، ثم تنطلق في
شعاع يجوس خلال البحر الواسع ، وقد تصاعدت منه أبغية خفيفة ، كان يتنفس .

١٩٥٨



هوي

ساعي وأبا فو

كان الأفق تعجبه مرتفعتات وتلعات تكتنفها الأشجار . قضيت ساعات طويلة أخوض حول الغنادق ، قطعت السهل الواسع الأجرد من أقصاه إلى أقصاه . إن الوسيلة الوحيدة للنجاة من طلقات المدفعية الفجائية ، ومن قنابل الطائرات المعادية هو أن تلتزم السير في الغنادق والغفر .

ولكن الغنادق مع ذلك أصبحت سطحية فتركتها وأنا آمل أن أقطع ، مكشوفاً في سرعة كبيرة ، الشقة التي تفصل بين الغنادق والغاية . ولكن المنظر الذي رأته عيناي صعقني ، فبدلاً من السهل الأجرد الذي كنت أتوقعه ، بدا لي بحر متحرك . هناك في مواقعنا الدفاعية حفرت قنابل المدفعية المعادية الأرض ، فكأنها أصبحت وجهاً أصابه الجدرى . هنا يبدو السهل وكأن الأمواج تهزه . . . المتفجرات والقنابل التي تزن خمسمائة كيلوغرام ، أو ألفاً حفرت في الأرض حفراً واسعة كأنها مستنقعات . يظهر أن العدو ركز على هذه البقعة كل ما يملك من قنابل ومتفجرات .

وفي وسط هذا البحر المتحرك اكتشفت بعض قطع المدفعية المضادة للطائرات ، وقد رفعت أعناقها إلى السماء . كنا ، هنالك ، نجهل كل ما حدث في هذا الموقع . . . أما الآن فقد عرفت . . . لقد تكالبت الطائرات المعادية على هذه البقعة من الأرض عندما اكتشفت المدفعية المضادة للطائرات .

كانت المدفعية في ظاهر الأرض وتکاد تكون دون حماية .. كان رفاقنا هنا معرضين للقذف أكثر منا بكثير ونحن في خنادقنا .

ربما تعرضوا لخسائر فادحة في هذه الأيام . كانت الأرض التي أمشي عليها تموح تحت قدمي كأنني أسير فوق الرمال .

وسرت إلى جانب المدافع ، وأصحابها ، بعضهم تغطي رؤوسهم الخوذات ، وبعضهم حاسرو الرؤوس ، يدورون حولها ويعملون . ولم يلاحظني أحد . كلهم كانوا يبحثون عن قاذفة قنابل يمكن أن تخرج من وراء الجبل لكي تقوم بالهجوم عليهم عمودياً . كانت المدفع وأصحابها يشبهون زوارق صغيرة تمر عباب البحر في أوج عاصفة هوجاء تهددها كل لحظة بالغرق في أحشائها .

كنا قبل معركة (ديان بيان فو) عندما ظهرت المدفعية المضادة للطائرات نتذكر في جدواها ومدى فائدتها . قضينا ثمانى سنوات من الحرب يلاحظنا « الغزاة الذين يعملون في وضع النهار » ونحن لا نستطيع أن نرء عليهم بضاعتهم : لكن هؤلاء هم إخواننا يستعدون للرد عليهم ، وسيرون ما سيكون .

للمرة الأولى يقف على أرضنا رجال لا يهربون إذا ظهرت الطائرات ، انهم يترصدونها ويسقطون عدداً كبيراً منها .

كنت أظن ، وأنا أرى الطائرات تنقض عمودياً على الأرض ، وأسمع زمرة المدفع المضادة ، أن مدفعيتنا الميدانية أكثر تعرضاً منها للخطر . أما الآن فانا أعتقد أن الخطير الذي يتعرض له رفاقنا في المدفعية المضادة لا يمكن أن يقارن بالخطير الذي يتعرض له رجال المدفعية الميدانية .

كانت المدفعية تغطي كل التلعة ، وعندما رأيت هؤلاء المقاتلين الشباب ، في البيستهم الجديدة وقبعاتهم المستديرة ، عرفت أن هذا المكان هو معسكر وحدة من وحدات المدفع المضادة للطائرات . كانت ملاجئهم واسعة توحي بالاطمئنان . يمكن أن تكون هذه الأزهار البيضاء التي تنفجر في السماء مما يسدل على هذا المكان مظهراً مختلفاً عن مظهر مدفعية الميدان ، في السهل المجاور .

وفجأة وقفت مستغرباً ... الى يسارِي عند مدخل أحد الملاجيء وجدت لوحة معلقة وقد كتب عليها في حروف ، مرسومة في عنایة ، الاعلان الآتي :

(دكان لتصليح الساعات مجاناً)

(الجناح رقم ١ - ديان بيان فو)

إنها نكتة من نكات مدفوعي ولا شك . ولم تطربني هذه النكتة ولعلها ساعتنى قليلاً ، لأنها ذكرتني بساعتي الخربة منذ عدة أيام . كنت في حاجة ماسة اليها في عملي كقائد سياسي مكلف باحترام مواعيد الوحدة . وكنت مرهقاً بموضوع ضبط الوقت . كنت في الليل والنهار أمرع للسؤال عن الساعة وأضيع وقتاً طويلاً ، دون ساعة ، كان من الممكن أن أصرف هذا الوقت في أمور هامة . وقد حاولت أكثر من مرة أن أفذ بها لكيلاً أفكُر فيها . ومع ذلك فقد بقيت ، وهي دون فائدة ، في جيب من صداري ، كأنها علامة نحس .

وطللت أنظر الى اللوحة وأنا أدمدم :

- يا لها من نكتة !

وسمعت صوتاً :

- ليست نكتة ... ان وحدتنا تملك فعلاً وبالتمام والكمال ، دكاناً لتصليح الساعات .

والتفت لأرى من يتكلم ، فإذا هو يخرج من ملجاً . كانت يداه في جيبي سرواله ، وعلى رأسه قبعة ، وفي عنقه منديل ، من حرير المظلات .

ثم أضاف :

- اذا كنت تريدين زيارة الدكان فتعال معي .

- لم أستطع معرفة معدثي ، وهل هو من ملاكيات الجيش : كان شاباً صغيراً رغم شاربيه الناعمين ، ولكن مظهره الرصين ، وطريقة حديثه المطمئنة أوحيا لي أنه قد يكون قائد الوحدة .

وقلت له :

- ساعتي تغربت منذ عدة أيام ، وحرماننا من ساعتنا في الجبهة
يعادل حرماننا من عينينا .

- تعال إذن وهات ساعتك للتصليح .

كان يتكلم في بساطة جعلتني واثقاً ومطمئناً . أتراني جئت الى هذا المكان
لأصلاح ساعتي ، بعد أن طلبت من الجميع ، ولاسيما من أصدقائي سائقى السيارات
اصلاحها فذهبت جهودي عبثاً . لم يكونوا يذهبون الى أبعد من مركز التموين في
الجبهة ، بينما كان من الضروري أن يذهبوا الى المؤخرة لكي يجدوا ساعياتاً . . .
ومضى المعارب الشاب الى الملاجأ الذي يحمل اللوحة ، وألقى نظرة الى الداخل ثم
التفت الى :

- تفضل . أنا معك .

ولحقته ودخلت الملاجأ . . . ورغم أنني كنت أعرف أنني سأرى ساعياتاً فلم أكن
 أقل دهشة حين رأيته يجلس في زاوية ويشتغل . . . كان يستضي بمصباح كهربائي
له عاكس للضوء ، ويوضع على عينيه اليمنى مكبراً ، وعلى المنضدة عليه للأدوات
الصغيرة تقطيعها رقعة من حزير المظلات . كان الساعاتي يفحص ساعة ويحرك اللولب
بمفك صغير ، وكان مستغرقاً في عمله ، حتى إنه لم يرنا عندما دخلنا . . .

ونظر الى المعارب الشاب وابتسم ، لعله يتلهى بدهشتى . لم استطع تفسيراً
لوجود هذه الدكان في هذا المكان . هل أقامتها لجنة الخدمات ؟ ولكن ذلك غير ممكن
في الخط الأول للمدفعية المضادة للطائرات ، ولو كانت هذه الدكان تابعة للجنة
الخدمات لغضّن تصليح الساعات لبعض الشكليات ، ولم يجر على النحو الذي
جرى : « تعال اذن وهات ساعتك للتصليح . »

وفحص العامل الساعة التي كانت بين يديه ، ثم التفت علينا وابتسم ، وهز
رأسه يعيينا ، ثم قال للمعارض الشاب :

- هذه الساعة تزعجي . . . كنت أظن أن الميزان وحده خارج عن جرمه ،

ثم اكتشفت أن محور الإبرة الكبيرة مكسور .. أخاف أن يكون ذلك فوق مستوى ما لدى من وسائل ...

وقال المعارب الشاب :

- جئتكم بزبون ...

ثم التفت إلي وقال :

- أقدم اليك الرفيق (فونغ) ، مدير المشروع ، وهو في الوقت نفسه ساعاتي الجناح رقم ١ في (ديان بيان فو)

وهكذا أطلق على (الدكان) اسم (المشروع) ...

- حسناً ننفخ قليلاً لنستريح ...

وتمدد في زاوية وأخذ غليون الماء والصق شفتيه به ، ثم سحب سحبة طويلة ... وملأت الملعقة فرقعة طنانة ، ونظر الي (فونغ) وقال :

- أتعب الغليون ؟

وعندما أعلنت أنني لا أحبه انفجر الساعاتي والمعارب الشاب ضاحكين وفسر لي الشاب سبب الضحك :

- من حسن حظك أنك لا تعب الغليون ، ولو أحببته لأضعت تبغك ...
ليس لدى الرفيق (فونغ) تبغ ، انه لا يملك الا غليونه وهو طنان يثير اهتمام الهواة ... فيقدموه اليه علبتهم ، فلا تعود .

ومد (فونغ) يده الى قطعة المطلة التي تغطي المنضدة وسحب علبة رقيقة ، وقال ضاحكاً :

- لا تصدق .. أنا أقدم لزوار الجناح الغليون والتبع معًا .. وأخذ قليلاً من التبغ وضعه في الغليون وأشعل النار وسحب نفساً طويلاً ... وجعل الغليون يقرقع في فرح ، و (فونغ) يطلق ، وهو سعيد ، غيمة من الدخان تملأ كل الحجرة .. وصرح لي المعارب الشاب :

- خدعة بسيطة . ان تبغه اوراق من الغيزران منقوحة بالمام .

وقال فونغ وأشفع كلامه بضحكه :

- خدعة ؟ كلا انه تبغ من انتاج الجناح رقم ١ .
ولقد أشعرني مرح الشابين أني لم أزعجهما .

- وسائل (فونغ) :

- عندك ساعة معطوبة ؟

- نعم

- هات

أخرجت ساعتي من جيبى ، وقدمتها له ، فأخذها ونظر اليها ثم قال :

- نيكلس ٠٠٠ تباع بالكيلو ٠٠

وأدار المقبض ثم قال : اللوب اما مكسور او خارج عن جرنه ٠٠٠

وأشعل (فونغ) المصباح ووضع الساعة بين راحتيه وأدارها عكسياً لكي يخرج
آليتها ٠٠٠ وجعل يفحصها .

كنت آمل أن يكون العطل طارئاً ، فلم أكن أستطيع الانتظار . وقال الساعاتي :

- اللوب مكسور .

ورنت هذه الكلمات في أذني كأنها وتر مكسور في قيثارة ٠٠ وتضايقت .

- دعها لي ٠٠٠ سأردها إليك خلال أسبوع . رقمك ٩ ٠٠٠ وأنا أشتغل

بالرقم ٣ ٠٠٠ تذكر جيداً : الرقم ٩ .

وفرحت ولم أدر كيف أشكره ، سأجد ساعتي سالمة عند عودتي من جلسات
العمل ٠٠٠ لن أغيرها لأحد ، مهما كان ، ما دامت المعركة دائرة .

وسألني (فونغ) : ما هي وحدتك ؟

- الفرقة الثانية ٠٠٠ نحن نؤمن الدفاع عن الشاطئ المحرق .

وأضاء وجه (فونغ) فجأة :

— نعم إنكم عندما تقاتلون هناك نصعد نحو المربق لنراقب معركتكم ،
فلا نترك منها شاردة .. أنا أعرف أنك في حاجة إلى الساعة ...
— أقول لك اني منذ أيام لا أستطيع أن أنام ، بسبب هذه الساعة المعطوبة .
أخشى دائمًا أن أصل إلى الاجتماع متاخرًا ويزعجني أن أسأل عن الساعة في كل وقت .

وفكـر (فونـغ) قليـلا ثم قال :

— ساعـطيـك الرـقم ٦ ، السـاعـتان رـقم ٤ و ٥ لـرـجـلـين من المـدفعـية وـهـما في
حـاجـة قـصـوىـيـاـ اليـهـما . أـمـا السـاعـات الـبـاقـية فـهـي لـرـجـالـ يـقـومـون باـصـلاحـ السـلاحـ ..
وـهـم يـسـتـطـيـعون الـانتـظـار .. عـدـ بـعـد أـربـعـةـ أـيـامـ .
هزـزـتـ يـدـ (فـونـغـ) فيـ قـوـةـ وـقـلـتـ لـهـ :

— شـكـراـ ياـ رـفـيقـ ، شـكـراـ ... أـنـتـ تـقـدـمـ إـلـيـ خـدـمـةـ كـبـرـىـ .. ثـمـ لـمـ أـجـدـ
مـاـ أـقـولـهـ زـيـادـةـ فـأـضـفـتـ :

— شـكـراـ يـارـفـيقـ شـكـراـ ... سـاعـودـ بـعـدـ أـربـعـةـ أـيـامـ .
وـالـنـفـتـ إـلـيـ الـمـعـارـبـ الشـابـ .. كـانـ وـاقـفـاـ وـيـدـاهـ فـيـ جـيـبـيهـ ، هـادـئـ الـوـجـهـ،
يـخـفـيـ اـبـتـسـامـةـ بـيـنـ شـفـتـيـهـ .. كـانـ مـنـذـ قـلـيلـ يـضـحـكـ مـنـ دـهـشـتـيـ ، وـلـعـلـ سـرـورـيـ
الـظـاهـرـ جـعـلـهـ يـبـتـسـمـ .

وـقـلـتـ لـهـ فـيـ حـمـاسـةـ :

— وـشـكـراـ لـكـ أـنـتـ

خرـجـناـ مـنـ الـمـلـجـاـ وـوـصـلـنـاـ إـلـيـ الـخـنـدـقـ الـمـركـزـيـ ، فـسـالـتـهـ :

— مـاـذـاـ يـعـمـلـ الرـفـيقـ (فـونـغـ) فـيـ وـحدـتـكـ ..
— سـائـقـ مـيـارـةـ .. نـقـلـ مـدـفـعـهـ إـلـيـ هـذـاـ المـوـقـعـ .. وـهـوـ إـلـآنـ حـرـ ، وـلـكـنـهـ
فـكـرـ فـيـ فـتـحـ « دـكـانـ » لـتـصـلـيـعـ السـاعـاتـ ..

وـأـثـارـنـيـ الفـضـولـ فـسـالـتـهـ :

— وـلـكـنـ كـيـفـ اـسـتـطـاعـ الـحـصـولـ عـلـىـ الـآـلـاتـ ؟ هـذـهـ دـكـانـ مـاـعـاتـيـ حـقـيقـيـ ..
وـتـهـلـلـ وـجـهـ الـمـعـارـبـ الشـابـ وـاـهـتـزـتـ الـشـعـرـاتـ الـقـلـيلـةـ فـيـ شـارـبـيـهـ :
— صـنـعـهـاـ بـيـدـيـهـ مـنـ مـخـلـفـاتـ سـاعـاتـ الـأـعـدـاءـ ..

وافتلقنا ، ولم أكُن أقطع عدة كيلومترات حتى ظهر في السماء سرب من الطائرات وبدأت المدفعية تعمل ...
عدت بعد خمسة أيام إلى الجناح رقم ١ ، وكنت قد جمعت من هنا ومن هناك قليلاً من التبغ لكي أقدمه إلى (فونغ) .
لم أجد اللوحة أمام الدكان ، وكدت أعود عندما رأيت قطعة من الورق معلقة بدبوس ، على جذع شجرة خيزران ... واقتربت منها فقرأت هذه الكلمات :
« من أجل الساعات ... راجعوا الملجأ المجاور »

ومضيت إليه ...

رأيت رجلاً ينام ، وعندما اقتربت فتح عينيه محمرتين من النعاس وقلت له :
— أريد الرفيق (فونغ) .

واستوى جالساً ثم سألني :

— هل أعطيت فونغ ساعتك لاصلاحها .

— نعم

وتناول صندوقاً وجعل يمد الخيطان فأخرج عشر ساعات من أنواع مختلفة :

— ما رقمك

— ٦

— مصلحة ...

أخذت الساعة وأدرتها ووضعتها على أذني وسمعت صوتها في مرور :

— عظيم وأين الرفيق (فونغ) ?

— في مهمة ...

— متى

— أول أمس

— متى يعود ؟ أريد أن أراه ولو دقيقة .

— لن تلقاء ... سافر إلى مكان بعيد .

أصبحت بخيبة أمل ، وصاحبى هذا قليل الكلام ، ما أشد الفرق بينه وبين الرفيقين السابقين ، كنت أريد أن أسأله أين سافر (فونغ) ولكنني لم أجرؤ على ذلك .

وتذكرت هديتي فأخرجتها من جيبي :

- أرجوك أعط علبة التبغ هذه للرفيق (فونغ) وألقى المحارب نظرة الى العلبة ثم قال دون أن ينظر الي :

- دعها معك ... لا يمكن أن نوصلها اليه . ودفعته هيئته المجهدة الى اختصار الكلام ... لعله نusan ، وشكرته وخرجت ...

وفي مكان آخر لقيت المحارب الشاب (كان) ، انه الرئيس المساعد للكتيبة : وأخرجت من جيبي علبة التبغ ومددتها اليه :

- الى أين سافر (فونغ)

ونظر اليَ (كان) في دهشة :

- ألم يقل لك الرفاق ؟ لقد قتل ..

وفهمت الآن كلمات الرفيق في الملاجأ وفسرت موقفه .

وقص على (كان) ما حدث .

- تلقت وحدة (فونغ) الأمر بالتحرك الى الداخل ... ومضى قائد الوحدة يستطلع ويمهد الطريق .

كانت الآليات المنقولة تسير دون صعوبة في الأرض التي مدهما رجال المتفجرات ... ولم يبق عليهم الا ربع ساعة لكي يصلوا الى المقر الجديد . ولكن الضباب الذي كان يغطي الطريق انقض فجأة ...

وتلقى السائقون الأمر بالاسراع الى أقصى حد ... ولكن العدو اكتشف السيارات ، وأطلقت مدعيته في (مونغ شان) مدافعتها فقط القافلة ، وأصيبت السيارة الاولى اصابة كبيرة فقطعت الطريق .

كان (فونغ) في السيارة الأخيرة الى جانب (كان) وعندما رأى السيارة التي أمامه تقف صاح بالسائق الذي أمامه :

- خذ يسارك وامش فوق الحاجز

ولكن دولاب السيارة أصيب بقنبلة ...

والحفل (فونغ) الى (كان) هندئ وقال له :
- نتجاوزهم ... نعم ؟

وخفض (كان) رأسه ، وانحرف (فونغ) الى اليسار ، واجتاز الحاجز ،
وسار الى جانب السيارات الملعوبة ثم رجع الى الطريق التي حررها الرجال ونجا
من الضرب ووصل مع قطعته الى موقع المدفعية .

ولم تك مهمته تنتهي حتى سأله (فونغ) رئيس الكتبة أن يسمح له بالعودة
للبحث عن المدافع في السيارات التي أصابتها القنابل .. واستطاع أن يأتي
بقطعتين من المدفعية . ولكن أصيب ، وهو يحمل القطعة الثالثة بشظية في رأسه
وقتل فوراً .

وتوجه وجه (كان) ، وسكت دقيقة ثم تابع :
- كان الضرب شديداً ، وكنت أرقد قرب حاجز وقلت له : - فونغ ...
انتظر قليلاً . عد الى ...

وأجابني : دعني أتابع ... والا دموا مدفعينا ... كان ذلك صحيحاً ..
كان كل مدفع عزيزاً لا يستغني عنه ومع ذلك لو لم يذهب ...

وانطلق (كان) الى موضوع آخر :
- سنفتح في وحدتنا دكان حلاق ... وسيلبس العلاق ثوباً أبيض ، وسيكون
من نصيب الزبون قطرات من العطر ... من « النوع الممتاز » والخدمة مجانية .

وتوقف (كان) قليلاً كأنه يتذكر شيئاً ثم أردف :
- قال (فونغ) ان اللولب الجديد قصير ... ولكن اطمئن ف ساعتك سوف
تسير أكثر من أربع وعشرين ساعة ... ولكن عليك أن تردها في رفق .



رُؤْلِ سِيمُون مَاشَار

مسرحيّة

تأليف بروتولت بريخت
ترجمة صباح الجheim

الشخصيات

فيليب شافز :	مدة ناحية «سان مارتان» (في الأحلام هو الملك شارل السابع)
هونوري فيتان :	نقيب ، ملاك كرمة كبير (وهو في الأحلام دوق دي برغوني)
هنري سوبو :	صاحب النزل ، المعلم (وهو في الأحلام أمير الجيش)
ماري سوبو :	أمته (وهي في الأحلام الملكة الوالدة إيزابو)
سيمون ماشار :	في الأحلام هي جان دارك
روبير :	
موريس :	
سانقان :	
جورج :	
العم غستاف :	
مستخدمان في المنزل :	
السيدة ماشار :	أم سيمون
السيد ماشار :	والد سيمون
عقيد :	

عريف :
قائد ألماني :
ملك :
أشخاص ثانويون :

تقع الأحداث في حزيران ١٩٤٠ في مدينة صغيرة من وسط فرنسا على حافة طريق ذاهبة من باريس الى الجنوب .

يُمثل المسرح فناء « نزل الربط » في صدر المسرح بناء يغطي طبقات هو المرأب . الى يمين المشاهد يقوم النزل مع مدخله من جهة الفناء . الى اليسار مخزن المؤون وغرف السائقين . وبين المخزن والمرأب بوابة ضخمة تفضي الى الطريق . والمرأب شديد الاتساع لأن النزل يقوم أيضاً بعمليات النقل .

أولاً : الكتاب

(الجندي جورج ، ذراعه اليمنى معصوبة بضماد ، يدخن سيجارة ويجلس ترب العم غستاف المجوز الذي يتهمك في إصلاح اطار . الأخوان موريس وروبير سائقا النزل يحدقان في السماء .

يسمع صوت الطائرات ، الزمن مساء ٤ حزيران) .

روبير : الطائرات ، هذه المرة ، طائراتنا .

موريس : هذه ليست طائراتنا .

روبير : (بصوت قوي وباتجاه جورج) يا جورج أهي طائراتنا أم هي طائرات ألمانية ؟

جورج : (يحاول يعتذر لأن يدرك ذراعه المصابة) ها ان العضد هو الآخر لم أعد أحس به الآن .

العم غستاف : لا تحرك ذراعك ، فهذا لا يلائمها .

(تدخل سيمون ماشار وهي ما تزال طفلة تاتزر بوزرة مفرطة في طولها وتتنعل

حذاءين مفرطين في ضخامتها وهي تجر قفة غسيل ثقيلة جداً) .

روبير : أهي ثقيلة ؟

(تجيب سيمون « نعم » برأسها وتتابع جر القفة حتى القاعدة العجرية لضخمة

الوقود (البنزين) يتبعها الرجال بابصارهم وهم يدخنون .)

- جورج : (للعم غستاف) أتقن أن السبب يمكن أن يكون من الضماد ؟ ازداد تصلب ذراعي منذ البارحة .
- العم غستاف : افعل ما ينصحونك به . (خرج سيمون)
- روبير : (لجورج) لا تستطيع أن تجاوبني ؟ تلبس بزة عسكرية ولا ترفع بصرك عندما تأتي الطائرات بأمثالك من الجنود . إنما تخسر العرب .
- جورج : ما رأيك أنت يا روبير ؟ العضد ما زلت أحسه ولكنه لا يطاعوني . يظنن العم غستاف أن السبب هو الضماد وحده .
- روبير : سالتك عن هذه الطائرات ما هي ؟
- جورج : (من غير أن ينظر إلى الخارج) طائرات ألمانية ، طائراتنا لا تطلع . (تعود سيمون ومعها زجاجة نبيذ أبيض ، تصب لجورج وللجندي .)
- سيمون : أعتقد أننا سنخسر العرب ياسيد جورج ؟
- جورج : ربناها أم خسرناها فسوف تكون بحاجة إلى ذراعي الاثنين على أقل تقدير .
- (يرى السيد هنري سويو صاحب النزل ، المعلم قادماً من الطريق ، تخفي سيمون زجاجة الغمر بعجلة . يقف صاحب النزل لحظة تحت البوابة وينظر إلى الفنان ثم يومي ، إلى شخص في الطريق . يطل رجل في لباس الميدان . يرافقه المعلم صاحب النزل حتى يقطع الفنان وهو يجهد على نحو ملحوظ في أن يستره عن أعين المستخدمين ويتوارى واياه داخل الفندق .)
- العم غستاف : هل رأيتم الرجل الذي بلباس الميدان ؟ هذا ضابط ، عقيد آخر يفر من الجبهة . هؤلاء لا يحبون أن يراهم الناس فإذا جاء الطعام أكل الواحد منهم عن أربعة .
- (تمضي سيمون إلى قفتها وتجلس على قاعدة مضخة الوقود ، ولا تلبث أن تستغرق في كتاب موضوع على القفة .)
- جورج : (ماثلاً على كاسه) .. يضايقني روبير ، ففي رأيه أن العرب خاسرة بأمثالي من الجنود . ولكن قبل أن تقع الخسارة فقد وقع الربح عن طريقي . ذلك لا شك فيه . ان حداي مثلاً در مالا على سيد من « تور » ، وخوذتي درت مالا على سيد من « بوردو » ، ومعطفى أثمر قصراً على الشاطيء اللازوري ، ولفافتي أثمرتا سبع أحسن سباق . وهكذا عاشت فرنسا أيامها العلوة على ظهري . فعل الناس كل ذلك وما انتظروا العرب ليفعلوه .
- العم غستاف : أما الحرب فهم في طريقهم إلى خسارتها ، وهؤلاء السادة يفعلون ما هو ضروري لذلك .
- جورج : صحيح . فعندنا مائتا حظيرة فيها ألف طائرة مقاتلة ينفق عليها بطياريهما وفينيهما وهي جاهزة للالقاطع . وعندما تتحقق ساعة الخطير بفترنسا تظل رابضة على الأرض . خط ماجينو كلف عشرة مليارات ثمن الاسمنت وال الحديد وحدهما .

طوله في الأرض المكشوفة ألف كيلومتر وعمقه سبع طبقات وعندما تبدأ المعركة يستقل عقيدنا هذا سيارة ويمضي إلى المؤخرة ومعه سيارتا شحن ممتلئتان خمراً ومؤناً . مليوناً رجل كانوا ينتظرون أمراً ويستعدون للموت ولكن إذا بصاحبة وزير العرب تختلف وصاحبة رئيس مجلس الوزراء وإذا بالأمر لا يصدر . نعم ان تصصيناتنا مفروزة في الأرض غرزاً مكيناً ولكن تصصيناتهم متعركة وهي تمشي على أجسادنا . لا شيء يمكن أن يوقف دباباتهم ما دام فيها وقود ، والوقود إنما يتناولونه من مضخاتنا .لن يمر صباح غد حتى تريحهم أمام مضختك يا سيمون، وسيأخذون وقودك . شكراً على النبيذ .

روبير : لا تتحدث عن الدبابات (مع اشاره من رأسه باتجاه سيمون) وهي هنا . فاخوها في الجبهة .

جورج : هي مستقرقة في كتابها .
العمغستاف : ما رأيك بلعبه بيلوت .

روبير : أحس بوجع في رأسي ، فقد كان عليَّ أن أخوض طوال النهار في طوابير النازحين لزوايا براميل الغمر التي للنقيب . كان نزوح الناس هجرة جماعية .
العمغستاف : خمر النقيب أثمن النازحين جميعاً . إلا تفهم ؟

جورج : هذا الرجل فاشستي . وكل الناس يعرفون ذلك . لا بد أنه تعسس بفضل أصدقائه في الأركان أن الاحوال ساءت مرة أخرى على الخطوط الإمامية .

روبير : مورييس ساخط . ويقول أنه شبع من جرحة هذه البراميل اللعينة وسط زحمة النساء والأطفال . أنا ذاهب لأنام . (يخرج)

العمغستاف : هذه الطوابير من النازحين كارثة على سير العمليات . فالدبابات تعبر أي تكوم ، أما التكoom البشري فهي تفوص فيه . تبين الآن أن السكان المدنيين نسبة بالنسبة إلى العرب ويجب التخلص منهم منذ البداية تخلصاً جذرية ، فهم عقبة ليس غير . إحدى اثنتين : فاما أن نلقى الشعب وأما أن نلقي العرب .

جورج : (يجلس قرب سيمون ويجلس الغسيل في القفة) ولكنك فككت غسيلك وهو رطب .
سيمون : (من غير أن ترفع رأسها عن الكتاب) : لأن النازحين يسرقون الأغطية دائمًا .

جورج : لا شك أنهم يصنعون منها لفائف للصدغار ، أو انهم يلفونها على أرجلهم .
سيمون : (متتابعة القراءة) : ولكن السيدة تعدها .

جورج : (مشيراً باصبعه إلى الكتاب) : ما زلت تقرئين في « جان دارك » .
سيمون : (تجيب سيمون « نعم » برأسها) .

جورج : ومن أعطاك هذا الكتاب ؟
سيمون : المعلم ولكنني لا أجد وقتاً للقراءة . ولم أزل في الصفحة الثانية والسبعين عندما

- كسرت جان دارك الانكليز وأرادت تتويع الملك في « رانس » . (تابع قراءتها) .
- جورج : ولم تقرأين هذه القصص البالية ؟
 سيمون : اني أتشوق لمعرفة تتمتها ٠٠٠ أصحح أن فرنسا أجمل بلاد العالم يا سيد جورج ؟
 جورج : كتابك يقول هذا ؟ (تجيب سيمون «نعم» برأسها) .
 جورج : لا أعرف العالم كله ولكن يقال بعمر أن أجمل البلدان هو البلد الذي نعيش فيه.
 سيمون : « العيون » مثلاً كيف هي ؟
 جورج : أعتقد أن فيها كرمة كما هو الحال هنا . ففرنسا أعمق شاربة للغمmer كما يقال .
 سيمون : وهل في السين مراكب كثيرة ؟
 جورج : نحو ألف مركب .
 سيمون : « وسان دنیس » حيث كنت تشتعل ، كيف كانت ؟
 جورج : سان دنیس ليست مميزة .
 سيمون : ومع ذلك فليس هناك بلد أجمل من فرنسا .
 جورج : هي حسنة بخيتها الابيضة بغمراها ، بصيد السمك . والمقاهي الراقية ليس لها
 ما يقال عليها . وليس لها ما يقال أيضاً على أسواق الخضرة بكل ما فيها من
 سمك وفواكه ولا سيما في مطلع الصباح . ولا اعتراض لي أيضاً على دكاكين
 الخمور حيث يشرب المرأة قدحاً على الماشي . وحتى دكاكين المعارض وازال البوادر
 وسط صخب الموسيقى وكل ذلك مقبول . ومن ذا الذي يغطّر بياليه أن يتشكى
 من ممرات الصفاصف حيث يلعب الناس بالكرات الخشبية ؟ عليك أن تحملني
 اليوم أيضاً إلى النازحين في باحة المدرسة وجبرتهم الصباحية .
 سيمون : لكن ليت جنود الهندسة يصلون قبل أن أضطر إلى الذهاب .
 جورج : أي جنود هندسة ؟
 سيمون : انهم ينتظرون جنود الهندسة في المطبخ . اذاعوا عربتهم بين أفواج النازحين .
 وهم من الكتبية ١٣٢ .
 جورج : أهي الكتبية التي أخوك فيها ؟
 سيمون : نعم وهو ماضون إلى الخطوط الإمامية ٠٠ يقول كتابي أن الملائكة أمر العترة
 « جان دارك » أن تقتل كل أعداء فرنسا . لأن الله يريد ذلك .
 جورج : ستتحلمن من جديد أحلاماً مرعبة إن قرأت هذه القصص الدامية . وقد منعتك
 قبل من قراءة العرائد .
 سيمون : أصحح أن دباباتهم تغوص في جموع الناس يا سيد جورج .
 جورج : نعم . وقد قرأت ما يكفي من هذه القصص .
 (يعاول أن ينزع الكتاب من يديها . يظهر المعلم على باب التزل .)

المعلم : يا جورج ، لا تدع أحداً يدخل إلى قاعة الطعام . (سيمون) ما تزالين تقرئين بدلاً من أن تستغللي . ما أعطيتك الكتاب لذلك .

سيمون : (التي أخذت تعد الأغطية كالمجموعة) : كنت أعد الغسيل والقيت نظرة خاطفة إلى الكتاب فمعدورة ياسيني .

العمغستاف : لو كنت مكانك لما أعطيتها هذا الكتاب ياسيني هنري ، فهو يقلبها رأساً على عقب .

المعلم : حماقات . ففي مثل هذه الأيام لا يأس عليها من أن تلقي نظرة على تاريخ فرنسا . لأن هذه الشبيبة لم تعد تعرف ما فرنسا (يوجه الكلام من فوق كتفه إلى الداخل) : يا جان خذ المقلبات إلى قاعة الطعام . (ينضر مرة أخرى إلى الفنان) أقرؤوا أنتم وسترون الروح السائدة في ذلك الزمان . يا الهي لربما احتجنا اليوم أشد الحاجة إلى جان دارك .

العمغستاف : (متصنعة السداقة) : ومن أين يمكن لجان دارك أن تأتي .

المعلم : من أين يمكن لها أن تأتي ؟ من كل مطرح . يمكنها أن تكون أي إنسان . أنت . أو جورج . (مشيراً إلى سيمون) : أو هي . لم لا ؟ أي طفل يمكنه أن يقول ما يجب فعله . الأمر بسيط جداً . بل حتى أنها يمكن أن تقوله للبلد كله .

العمغستاف : (ينتقل بصره في سيمون ،) لعلها أصغر قليلاً من أن تصلح لتكون جان دارك .

المعلم : أصغر قليلاً ، أفتى قليلاً ، أطول قليلاً ، أكبر قليلاً . فإذا لم تتوفر الروح فيها تعللنا أبداً بعذر . (من فوق كتفه إلى الداخل) أهو السردين البرتغالي ما أخذته يا جان ؟

العمغستاف : (سيمون) ما رأيك ؟ أيسرك أن تتبعولي إلى جان دارك ؟ لكن الذي أخشاه أننا ما عدنا نرى كثيراً من الملائكة يظهرون في أيامنا .

المعلم : كفى ياعم غستاف . أحب لو تختلف بقطفاطاتك لنفسك عندما تكون هذه الطفلة هنا . اتركها تقرأ كتابها دون أن تضييف اليه ملاحظاتك الوسخة . (وهو على وشك الدخول إلى النزل) ولكن تدبري أمرك قدر الامكان حتى لا تكون قراءتك أثناء ساعات العمل ياسيمون . (يخرج) .

العمغستاف : (مقهقاً) هذه هي الطامة إذن يا جورج . سيكون من واجبنا الآن أن نربي عساقتنا الطفلة لتصنع منها جان دارك ؛ في ساعات الراحة وحدها طبعة . انهم يعشون أولادنا وطنية ، أما هم فانهم يختارون في يزاتهم أو انهم يخفون مخزوناتهم من الوقود في أحد معامل الأجر بدلاً من أن يسلموه إلى الجيش .

سيمون : المعلم لا يفعل أبداً ما لا يليق فعله .

العمغستاف : صحيح فهو ولني نعمتنا . وإذا كان يعطيك فرنكاتك العشرين في الأسبوع فلكي لا يبقى أهلك معدمين .

سيمون : بل انه يعتقد بي لكي لا يفقد اخي عمله هنا .

العمغستاف : وهذا ما اتاح له ان يحصل على عاملة ضخ وخادمة وغاسلة ص��ون في الوقت نفسه .
سيمون : كان ذلك لأننا في حرب .

العمغستاف : وهو لا يجد يأساً في ذلك . اليك صحيحاً ؟

المعلم : (يظهر عند باب النزل) ياعم غستاف هات زجاجة شابلي ١٩٣٧ للسيد الذي طلب سمك الثروته (يدخل الى النزل) .

العمغستاف : اي للسيد الذي يلبس بزة عسكرية . اذا كنت احسن الفهم فان السيد العقيد يرغب في زجاجة شابلي قبل ان تهلك فرنسا . (يتوارى العم غستاف في مغزن المؤمن)

(بينما يستمر العوار نراه يعبر الفنانة ومعه زجاجة الشابلي التي يحملها الى النزل)
صوت اهراء : (صوت امراة آت من الطبقة الاولى) : يا سيمون اين الأغطية ؟

ـ تأخذ سيمون القفة وتهم بالدخول الى النزل عندما يظهر عريف وجندية هندسة يقلّمون من الطريق وعدهم قنبر كبيرة) .

العريف : يبدو أن هذا هو المكان المقرر لوجبتنا . قالوا لنا في البلدية انهم اخبروكما بالهاتف .
سيمون : (مبادرة مشرقة) لا شك أنها جاهزة . اذهبوا راسا الى المطبخ (للتعريف . بينما

يذهب الجنديان الى المطبخ) أخي اندرية ماشان هو أيضاً من الكتبة ١٣٢ فهل تعلم ياسيني لم انقطعت اخباره عننا ؟

العريف : كل شيء منقلب رأساً على عقب ونحن أيضاً فقدنا اتصالنا برؤسائنا منذ ٤٨ ساعة .
سيمون : وهل خسرنا العرب ياسيني ؟

العريف : كلا يا آنسة وانما دفعت المدرعات العدوة ببعض طلائعها المتقدمة هنا وهناك .
ومن المقدر أن هذه الوحوش لا تثبت ان يعوزها الوقود وعند ذاك فسوف تتوقف
على حافة الطريق لا أكثر ولا أقل .

سيمون : قيل لي أنها لن تبلغ اللوار .
العريف : لا . لا كوني مطمئنة . فالبعد شاسع بين السين والمدار . والمضائق الوحيدة هي هذه الطوايير من النازحين . فلا يستطيع المرء أن يلتحق بالجبهة إلا بشق النفس . ولا بد من أصلاح الجسور المقصورة والا فكيف يمكن للاحتياطي أن يمر .
(يعود الجنديان ومعهما القدر . ينظر العريف الى ما فيه .)

العريف : هذا كل شيء ؟ هذا عار تطلعى الى القدر يا آنسة ، الى نصفها ، بل أقل . وهذا

هو المطعم الثالث الذي يرسلوننا اليه . في المطعم الثاني لم يعطونا شيئاً . وهنا يعطوننا هذا .

سيمون : (تنظر الى القبر مشدودة) لابد انهم غلطوا . فعندنا كل ما يلزم من العلمس والدهن أيضاً . سانهب حالاً لاقابل المعلم ذاته . وستملا قدركم . انتظروني لحظة . (تدخل)

جورج : (يقدم السجائر) عمر أخيها سبعة عشر عاماً بالضبط . كان المتقطوع الوحيد من « سان مارتن » وهي شديدة التعلق به .

العريف : قبّح الله هذه العرب ، بل أنها ليست حرباً . فالجيش يعامل وكأنه في بلد عدو . ومع هذا فرئيس الوزراء يقول لنا في الاذاعة : « الجيش هو الشعب » .

العمغستاف : (الذي خرج ثانية) الجيش هو الشعب والشعب هو العدو .

العريف : (بلهجة عداء) ماذا تعني ؟

جورج : (وهو ينظر الى القبر الفارغة الى نصفها) ولم تسكتون على ذلك ؟ اذهبوا وقابلوا العمدة

العريف : العمدة نعرفهم . لا يرجى منهم خير .

سيمون : (تخرج ببطء ولا تنظر الى العريف) يقول المعلم ان النزل لا يستطيع ان يفعل أكثر مما فعل وقد أخذ على عاتقه جميع النازحين .

العمغستاف : النازحين الذين لا نستطيع ان نعطيهم شيئاً لأن كل شيء يذهب في ذممهم الى الجندي .

سيمون : (بائسة) المعلم غاضب لأن العمدة يسرف في طلباته .

المعلم : (يظهر عند الباب ويناول سيمون قائمة الحساب مطوية) اذهبي وقدمي القائمة للسيد ذي التروة قولي له ان الفريز سجل بشمن الكلفة الذي اشتريته به من اهلك (يدفعها الى الداخل) ما الامر ؟ فهولاء السادة غير راضين . هلا تفضلتم ووضعتم انفسكم موضع الاهالي لحظة .

المعلم : ... منصدم الاهالي . ومع ذلك تتواتي الطلبات الجديدة بلا انقطاع . ما من انسان أكثر احساساً مني لما يمس فرنسا . يشهد الله على ذلك . ولكن واسفاه ! (حركة طويلة تنم على العجز) . انما حافظت على هذه الدار بفضل التضحيات الجسم وحدها . وانظروا قليلاً الى المعاونين الذين في عهدي (يشير الى العم غستاف وجورج) شيخ وكسيح . ثم هذه الصبية . وانا اشغلهم لكي لا يموتون جوعاً . ولا استطيع فوق ذلك ان اطعم الجيش الفرنسي كله .

العريف : وانا لا استطيع ان اطلب الى رجالى ان يذهبوا ويقاتلوا من اجلكم ومهما
خاوية . أصلعوا جسوركم بانفسكم وسانظر عربتي سبع سنوات اذا اقتضى
الأمر . (يخرج هو وجندياه)

المعلم : ما حيلتني في ذلك ؟ لا يستطيع الانسان ان يرضي الناس جميعاً (يقوم ازا ،
مستخدميه بدور رب العائلة العدب) آه يا اولاد ، انت لا تقدرون سعادتكم لأنكم
لا تملكون نزلاً . يجب ان نعمي انفسنا من الذئاب اليه كذلك ؟ وحين افكر في
العذاب الذي تعذبناه لكي تسجل النزل في دليل ميشلان ... (وعندما يرى العم
غستاف وجورج لا يبديان اي تعاطف يغضب) لا تبقيا واقفين هنا كالاوتاد
(آتى داخل النزل) ياسيدى تم بيق احد في الفناه .

العقيد : (وهو السيد الذي بلباس الميدان ، يخرج من النزل ويتوجه صوب المعلم الذي
يرافقه من الفناه الى الطريق) اسعارك فاحشة ، ١٦٠ فرنكاً ثمن غداء .

جورج : (في هذه الاثناء ، يمضي وجورج الى داخل النزل وينخرج منه سيمون التي تخبيء
وجهها بيديها)
انصرف الجنود من زمان . وان كنت تواريته بسببهم فلا ضرورة لذلك لانه
لا حيلة لك في الأمر .

سيمون : (ماسحة دموعها) ذلك لأنهم من الكتبية ١٢٢ اتفهم ؟ ثم ان الذين في الجبهة
ينتظرون المساعدة ولاجل ذلك لابد اولاً ياسيد وجورج من ان يصلح جنود
الهندسة الجسور .

المعلم : (عائداً من الطريق) كبد دسمة ، ثروته ، فخذ خاروف ، هلبون ، شابلي ، قهوة
مارتيل ممتاز . في مثل هذه الايام .. وعندما تقدم قائمة الحساب تثور ثائرتهم .
اما الوجبة فهم يريدونها في لمح البصر لأنهم لا يطيقون التأخير منذ اللحظة التي
يتذكرون فيها منطقة العمليات . ضابط ، اتفهمون ، عقيد ؟ مسكنة فرنسا ؟
(وقد رأى سيمون يؤمنها ضميراً) وانت لا تتدخل في شؤون المطبخ .
(يعود الى النزل)

جورج : (للعم غستاف مع اشاره نحو سيمون) تعس بالغسل بسبب ما جرى لجنود الهندسة .
سيمون : ماذا سيقولون عن النزل ياسيد وجورج ؟

جورج : (لسيمون) غيرك ينبغي ان يدخل في الحقيقة لا انت . الفندق يبتز الناس كما
ترسل السماء المطر وصاحب النزل يحدد اسعاره كما يفعل الكلب حاجته . ولكنك
لست النزل ياسيمون واذا مدح الناس خموره فلا حق لك ان تفرحي اذا انهار

سقفه فلا حق لك ان تبكي . لم تختراري انت قماش الغطاء وانت لم ترفضي
اطعامهم . انفهمين ؟

سيمون : (بلا قناعة) نعم ياسيد جورج .
جورج : اندرية على يقين من انك هنا لكي تعاقلي له على عمله . هذا كل مافي الأمر .
والآن امضى الى باحة المدرسة والتقي فرنساوا الصغير . ولكن لا تصنفي الى امه
التي ستجوتك من طائرات « شتوكا » . والا قضيت مععلم الليل تعلمك انك
تعاربين . (يدفعها الى داخل النزل ، للعم غستاف) آه من الخيال .
العم غستاف : (وهو يصلح الاطار) وأيضاً فهي لا تعب ان تذهب الى باحة المدرسة . فهي
 تستقبل فيها بالشتائم لأن الوجبات باهظة الثمن .

جورج : (يتنهد) وبحسب معرفتي بها فسوف تعود الى الدخان عن المعلم . فسيمون بنت مستقيمة
المعلم : (خارجا من النزل ينادي صوب المغزن وهو يصفق بيديه) موريis . روبيير .
صوت روبيير : (صوت روبيير الساخر شيئاً ما آتياً من المغزن) ماذا ؟
المعلم : اتصل النقيب فيتان هاتفيا قبل حين . وهو يود لو تستأنف السير حالا الى « بوردو »
ومعك بقية براميل الخمر .

صوت روبيير : هذه الليلة ؟ ولكن هذا غير ممكن ياسيد هنري . فمنذ يومين ونحن نسير .
المعلم : اعرف ، اعرف ، ولكن ماذا ت يريد ان افعل ؟ النقيب يرى ان نقل البراميل شديد
البطء . وهذا طبيعي في هذه الطرق المزحومة .. وصدقني اتنى لا احرمك النوم
عن طيب قلب (يشير اشاره تنم على العجز) .

صوت روبيير : الطرق مزحومة في الليل وفي النهار . ولا بد من السير والاضواء معتمة .
المعلم : انها العرب . ونحن لا نستطيع أن نعاذر افضل زبائننا . ثم ان امي شديدة
العرص عليه . فجعل اذن . (للعم غستاف) : اما انتوى هذا الاطار بعد ؟
(يصل السيد شافيز العمدة من الطريق ومحفظته تحت ابطه وهو ظاهر الاضطراب)

العم غستاف : (يلقت انتبه المعلم) السيد العمدة .
العمدة : علي ان اكلمك مرة أخرى بشان سياراتك وانا الح هذه المرة . يجب ان تضعها
تحت تصري من أجل النازحين .
المعلم : ولكنني قلت لك اني تعهدت بنقل خمر النقيب فيتان . ولا استطيع ان ارفض له
ذلك . وأمي والنقيب صديقا طفولة .
العمدة : « خمر النقيب » ياهنري انت تعلم كم يشق على ان اتدخل في هذه المسائل .
ولكن بعد ان وصلنا الى هذا الحد فمن غير الممكن اطلاقا ان اراعي العلاقات التي
تقيمها مع هذا الفاشي فيتان .

(تخرج سيمون وقد علقت في صدرها سقطاً عليه أكياس من الورق هي وجبات النازحين وفي كل يد سلة ممتلئة أيضاً أكياساً)

المعلم : (مهدداً) : فيليب انتبه لنفسك عندما تنتع النقيب بأنه فاشي .

العمدة : (بلهجة مرارة) : انتبه لنفسك ، هذا كل ما عندكما انت ونقيبك في الوقت الذي يكون الامان على اللوار ... ان فرنسا في طريقها الى التدمير .

المعلم : ماذا تقول ؟ أين الامان ؟

العمدة بقوه : على اللوار . أما العيش التاسع الذي كان مقدراً له أن يرسل للتعزيز فقد وجد الطريق العامة رقم ٢٠ يسلها النازحون . ان سياراتك مصادرة ككل سيارات « سان مارتان » جهزها لصباح غد حتى تخلي النازحين من باحة المدرسة . هذا هو أمر السلطة . (يخرج من محفظته اعلان احمر صغيراً ويشرع في الصاقه على باب المراقب) .

سيمون (بصوت منخفض) : ساخطة ، لجورج (: وصلت الدبابات يا سيد جورج .

جورج : (يطوق كتفها بذراعه) : نعم يا سيمون .

سيمون : وهي على اللوار وستنفذ الى « تور » .

جورج : نعم يا سيمون .

سيمون : وسيأتون الى هنا أليس كذلك ؟

المعلم : الآن فهمت لم كان النقيب مستعجلأً . (منفعلاً جداً) الامان على اللوار . لكن هذا رهيب ! (يقترب من العمدة الذي ما يزال منهكًا في وضع اعلانه) : دع هذا يافيليب ولتدخل . يجب أن أحدثك على افراد .

العمدة : (غاضباً) لا ياهنري ، انتهى الأمر ، ولن نتحدث بعد على افراد . وعلى رجالك أن يعلموا أن سياراتك مصادرة ووقودك أيضاً . فقد غضبت النظر كثيراً .

المعلم : أجيتن ؟ في مثل هذا الوضع تصادر سياراتي ! أما الوقود فلا وقود عندي ما عدا القليل في المضخة هنا .

العمدة : (أليس لديك مخزونات لم تصرح بها ؟)

العلم : ماذا ؟ تتهمني بتغزين الوقود خلافاً للقانون ؟ (خارجاً عن طوره) : ياعم غستاف هل عندنا هنا مخزونات وقود ؟ (يتظاهر العم غستاف بأنه لم يسمع وبهم بدفع الدولاب الى المراقب) .

المعلم : (يصرخ) يامورييس ، يارويير ! تعالا حالا ! ياعم غستاف .. (يقف العم غستاف) تكلم : عندنا وقود لم نصرح به نعم أم لا ؟

العمغستاف: (لا علم لي بشيء) (لسيمون التي تحقق فيه بعينين واسعتين) : انهمي انت الى عملك بدلا من ان تظللي هنا تتبعين الى ما يقال .

المعلم : ياموريں ! یاروپیر ! این تندسان ؟

العمدة : اذا لم يكن عندك فضلة من الوقود فكيف تفعل اذن لتنقل خمر النقيب ؟) :
المعلم : اهو فتح ايها السيد العمدة ؟ اذن ساجبيك بما يلي : انتي انقل خمر النقيب

بوقود النقيب . ياجورج ، هل علمت

جورج : (وهو ينظر الى ذراعه) منذ أربعة أيام لا غير عدت من العجيبة .
المعلم : طيب ، أنت لا تستطيع أن تعلم شيئاً . ولكن هناك موريس وروبير . (في هذه

الاثناء يصل موريس وروبر) موريس ؟ روبر ؟ السيد شافيز يت

الوقود . اني اسالكم بحضور السيد شافيز هل هذا صحيح ؟ (يتردد الاخوان)

العمدة : يا موريس وياروبير ! انتما تعرفانني

هذه المشاكل . لكن فرنسا بحاجة الى الوقود في هذه الاونة وانا اطلب ايندما ان تؤكدوا لي وجود الوقود هنا . اتوجه الى ضميريكم .

المعلم : مادا تفولان ؟

العمدة : طيب هذا كل ما عندكما ؟ (لسيمون) انت لك اخ في الجبهة أم لعلك انت
موريس : (عابسا) لا علم لنا بالوقود .

• ايضاً لا ترعبين في ان تعولى لي ان الوفود موجود هنا .

المعلم : وهكذا اذن . تريد أن تجر أطفالاً ليشهدوا على . لا حق لك أيها السيد العبدة سيمون : (التي كانت متماسكة أول الأمر ، تأخذ في البناء .)

في أن فهو يُغض الاحترام الذي تحمله

العمدة بضرج: (ما تزال تبتز نازحي المدرسة يثمن وجباتك . أما جنود الهندسة فقد تركتهم ينصرفون ولم تملأ صحائفهم إلى نصفها . ولأنك تشلح النازحين آخر فلس من

فلوسهم فهو لا يستطيعون التحول عن هذا المكان .

المعلم : هذا المكان ليس مؤسسة خيرية وإنما هو مطعم .
العمدة : طيب ، طيب ، المعجزة وحدها يمكن أن تنقذ فرنسا . ففرنسا متغترة حتى مخ

العظم (يخرج ، صمت) .

العلم : امضى ياسيمون امضي .
(تنصرف سيمون بخطى بطيئة متعددة وهي تتلتف أبداً الى البوابة ، واثناء سيرها يقع الكتاب الذي كانت تخفيه في السفط على الارض . فتلقطه بوجل ثم تخرج من القذى وعملاً الوجبات والسلطان .)

حلم سيمون ماشار الأول

ليلة ١٤ - ١٥ حزيران

(موسيقى . ومن الظلام ينبعث الملائكة ويقف على سطح المرأب . ذهب وجهه يمحوه كل تعبير فيه . يمسك بيديه طبلةً وينادي ثلاث مرات بصوت مرتفع «جان» ثم تستضيء خشبة المسرح وترى سيمون في فناء النزل . ترفع بصرها نحو الملائكة وقفه الفسيل تحت ذراعها .)

الملائكة : يا جان ، حان وقت العمل . والا فان فرنسا ، بلادنا العظيمة تهلك بعد فترة قصيرة ، ولهذا فتشتى رب عن عنون فاتجه ببصره اليك انت خادمته المتواضعه وهو انا أحمل اليك بأمر رب طبلة . خذيه ، وانتزععي الشعب الطيب من همومه الصغيرة واعلمي ان الطبل لا يرن الا اذا وضعته على الارض . فكانك ائما تدقين ارض فرنسا نفسها . دقي دقة التجمع ، وليرأف بفرنسا جميع ابنائها كباراً وصغراءً أغنياء وفقراء .

احشدي نوتية المراكب على السين وليعبروها مراكبيهم .

احشدي فلاحي الجبروند لأن الخبز والخمر ينقصانها .

لتصنع لها نحاسو «سان دنيس» دبابات للمعركة . وليمض نجaro ليون في غفلة عن العدو ليفكوا العسور . قولى لهم ان فرنسا امهم التي حملتهم في أحشائهما والتي استهزروا بها وجلدوها في وجهها ، فرنسا العاملة العظيمة ، وشاربة الخمر العظيمة ، بعاجة اليهم في محنتها ، امضوا ولا تتأخرى .

سيمون : (تنظر لترى ان كان قربها شخص آخر) : وهل من الواجب ان اقوم انا بذلك يا سيدي . ألسنت اصغر بكثير من آن اكون القديسة جان .

الملائكة : لا .

سيمون : اذن ساذهل ما امرتنى به .

الملائكة : سيكون الامر شاقاً .

سيمون : (بعياء) انت اخي اندرية ؟

الملائكة : (لا يجيب)

سيمون : كيف حالك ؟

(يتوارى الملائكة ، يخرج من الظلمة جورج يجر قدميه جراً وهو يعمل الى سيمون خوذة من خوذ الجيش الفرنسي وبندقية قصيرة .)

جورج : (الخوذة والسيف فسوف تحتاجين اليهما . لم تخلي لهذا ولكن المعلم ليس في عهده الا كسيح وطفلته . لا تحملني هموما بشان عملك . اصفي الى : الدبابات تمر وتتحقق كل شيء كانها هاشمات اللحم . ليس غريباً أن يكون أخوك قد صار ملاكاً .)

سيمون : (تتناول الخوذة والبندقية) : أتريد أن انقفهما لك يا سيد جورج ؟
جورج : لا ، فهما لك . أنت التي ستحتاجين اليهما فأنت جان العذراء .

سيمون : (تضع الخوذة على رأسها) : نعم ، صحيح . يجب أن أذهب الى أورليان حالاً لاري الملك وهي تبعد ثلاثين كيلو متراً . الدبابات تجري بسرعة ٢٠ كيلو متراً في الساعة وخذاني مثقوب ولن يتوقف لي حداء آخر قبل الفصح . (تتهيا للذهاب)
لوح لي على الأقل بيديك لكي لا أخاف لأن هذه المعارك قصص بالية دائمة جداً .
(يلوح لها جورج بيده المعصوبة كما يتفق له . ثم يختفي . تشروع سيمون في السير على طريق أورليان فتدور على خشبة المسرح دوراناً) .

تغنى بصوت عال :

عندما ذهبت الى « سان نازير » .

لست اكن لابسة سروالي

عند ذاك أخذ الجميع يصرخون

أين تركت سروالك ؟

فاجبthem : أمام سان نازير

شديدة الزرقة كانت السماء

والشوفان شديد الجنون

وبالله شديدة الزرقة السماء

(يأخذ مورييس وروبير السائقان في الغب وراءها فجأة وهم يلبسان قطعاً من دروع العصور الوسطى فوق بدلات العمل الزرقاء .)

سيمون : ماذا تفعلان هنا ؟ لم تتبعانني ؟

روبير : نتبعك لأننا حرسك الشخصي . ولكن ، رحمة بنا ولا تغنى هذه الأغنية . فهي غير لائقة أبداً . نحن خطيباك فتصرفي على هذا الأساس .

مورييس : نعم سراً .

(يقبل العم غستاف عليهم ، وعليه سلاح بسيط من العصر الوسيط . يسير كانه لا يراهم ويريد أن يمضى في طريقة)

سيمون : عم غستاف ؟

العم غستاف : انت لا شغل لك معي . في مثل سني وما ذلت اجبر على حشو المدفع . لا حد لجسارتهم . امضى ، عيشي من العلوان ، وموتي من اجل فرنسا .

سيمون : (بصوت منخفض) ولكن فرنسا امك وهي في خطر .

العم غستاف : امي كانت السيدة بوارو ، الفسالة . كانت في خطر ، تعرضت لخطر ذات الصدر ، وماذا كنت تستطيع ان افعل لها أنا ؟ كان يجب ان تتناول كميات من الادوية ولكنى لم اكن املك المال .

سيمون : (صارخة) في هذه الحالة أمرك باسم الله والملائكة ان تعود من حيث اتيت وأن تأخذ المدافع على عاتقك وأن تصوبها على العدو . (ملاطفة :) وسوف انظفها لك .

العم غستاف : على هذا الاساس اختلف الأمر . هاك خذني رمحى .
(يضع الرمح على كتفها ويسيء في ثرها .)

موريس : كم بقي من الوقت يا سيمون ؟ على كل حال ، كل هذا لا يفيد غير رأس المال .
« يا كادحى كل البلدان اتحدوا » .

« اذهبوا واصللعوا جسوركم بانفسكم اما نحن فسننتظر عربتنا . »
(تجيب سيمون هي الأخرى بلغة العلم التي لا يفهمها المشاهد . وهي تتكلم بقدر عظيم من قوة القناعة)

موريس : (الذي فهم ما تقول) .. بالفعل . هذا صحيح . طيب . فلنتابع طريقنا .
روبيير : انت تعرجين يا سيمون فيه العدائى أثقل من أن تحمليهما .

سيمون : (وقد انهكتها التعب فجأة) معدرة . ليس هذا شيئاً ذا بال . انما لم اأكل في الصباح وهذا هو السبب . (تقف لتجفف عرقها :) ستتحسن حالى بعد لحظة .
ياروبيير هل تذكر ما ينبعى أن أقوله للملك .

روبيير : (يقول شيئاً بلغة العلم ، شيئاً لا يفهم ثم) هذا كل شيء .

سيمون : شكرًا جزيلاً . بكل تأكيد . انظر هناك . لقد تراءأت أبراج أورليان .
(يظهر العقيد بلا منه وفوقها لباس الميدان . يعبر الفنانة خفية .)

العم غستاف : بداية حسنة . فالمارشالات يغادرون المدينة ويهربون ! ..

سيمون : لم الشوارع مقفرة الى هذا العدد ياعم غستاف ؟

العم غستاف : لعل الناس جميعاً يتقدون .

سيمون : ولم لا يدقون أجراس النغير عندما يصل العدو ياعم غستاف ؟

العم غستاف : لابد انهم ارسلوا الاجراس الى بوردو بناء على طلب النقيب « فيتان »
(يظهر المعلم في مدخل النزل . وهو يلبس على رأسه خوذة علقت عليها ريشة
حمراء وعلى صدره قطعة من الفولاذ اللماع .)

المعلم : اذهبني حالاً وابتزني نازحي المرسسة بشمن وجباتنا .

سيمون : ولكن يا سيد هنري ان فرنسا امننا في خطر . والامان على اللوار . ويجب ان اذهب
لأكلم الملك .

المعلم : غريب ! النزل يفعل في الحقيقة كل ما يستطيعه . لا تنسى ما تعلمك عليك
من الاحترام .
(يبدو في المراقب رجال بلباس ارجواني .)

سيمون يغادر : اترى يا سيد هنري ، هذا هو شارل السابع . (يتضح ان الرجل ذا اللباس
الارجواني انما هو العمدة الذي يلبس الرداء الملكي فوق بذلته .)

العمدة : صباح الغير يا جان .

سيمون : (دهشة) انت اذن هو الملك ؟

العمدة : نعم انا السلطة وانا اصحاب السيارات . يجب ان احدثك على انفراد يا جان .
(يتوارى في الغرفة السائقان والعم غستاف والمعلم . يجلس العمدة وسيمون على
القاعدة العجرية لمضخة الوقود .)

العمدة : انتهى كل شيء يا جان . سافر المارشال ولم يترك عنواناً . وقد كتبت الى امير
الجيش أطلب مدافع ولكن الرسالة المختومة بالخاتم الملكي عادت الى دون ان تفتح .
اما المسؤول عن جياد الملك فيعلن انه جرح في ذراعه وان في هذا ما يكفيه . مع
ان أحداً لم يشاهد جرحه فقط . كل شيء متغير حتى من العظام . (يبكي) لاشك
انك قدمني لتلوميني على ضعفي . وإنني لضعفيف حقاً . ولكن انت ما شانك ؟ فقبل
كل شيء اريد ان تقول لي اين الوقود ؟

سيمون : في معمل الاجر بالتأكيد .

العمدة : قد غضبت النظر اعرف ذلك . ولكنك انت تستدين من النازحين آخر فلس من
فلوسهم بوجباتك المبتزة .

سيمون : إن كنت افعل ذلك فلكي أحفظ للملك عمله أيها الملك شارل .

العمدة : والسايقون ؟ أمن اجل المحافظة على عملهم ينقلون خمر النقيب فيتان بدلاً من
ان ينقلوا النازحين .

سيمون : وهؤلاء ايضاً لأن المعلم طلب أن يحتفظ بهم مستخدمين خصوصيين . وعليه
فلا يذهبون الى الجبهة . اتفهم ؟

العمدة : (آه نعم . تبعي من التجار الأشراف . أنا مدين لهم بعيادي البيضاء . النبلاء ضد الملك . على كل حال هذا مكتوب في كتابك . أما أنت فالشعب خلقك . ولا سيما موريس . يا جان لا تستطيع أن تعتقد اتفاق أنت وأنا ؟)

سيمون : لم لا أيها الملك شارل . (متربدة :) لكن يجب أن لا تزعج نفسك فتتدخل في هذه المسائل . وهكذا تصبح الصحف ملائكة إلى حفافاتها .

العمدة : سارى ما يمكنني فعله . لا بد لي من أن أكون حرراً والا الفوا مخصصاتي السنوية . ثم أني عند الجميع الرجل الذي يغض النظر . ولذا فعندما أصدر أمراً لا يمثل له أحد . وعلى تقع كل المضائقات . انظر إلى جنود الهندسة : فبدلاً من أن يستولوا عنوة وبكل بساطة على ما يحتاجون إليه من النزل جاؤوا إلى وقابلوني : وفي هذه الظروف يجب لا ندهش إذا تركني الدوق « دي برغوني » أنسقط وانحاز جهازاً إلى الانكليز .

المعلم : (يبدو عند الباب) أنت مستاء أيها الملك شارل على ما أسمع ؟ هلا تفضلت فوضعت نفسك موضع الأهالي . مصت دماؤهم . ما من إنسان أكثر احساساً مني لما يمس فرنسا ولكن وآسفاه . (يشير إشارة عجز وبخفي) .

العمدة : (مذعنأ) أذهبني بعد هذا واكسرني الانكليز !

سيمون : على أدنى أن أدق العجل . (تجلس على الأرض وتتقى الطبل الذي لا يرى ، ترن كل ضربة وكانها تتبع من الأرض نفسها) اظهروا يانوتية السين ، اظهروا يانتحاسي « سان دنيس » وأنتم يا نجاري ليون ، اظهروا لها أن العدو يجيء !

العمدة : ماذا ترين يا جان ؟

سيمون : لقد وصل الأعداء . أثبتوا في مواقعكم . على رأسهم يتقدم الطبال الكبير وصوته صوت ابن آوى ، وجلد طبله جلد يهودي ، وعلى كتفه يجثم عقاب رأسه كرأس الصراف فوش من « ليون » . ووراءه بالذات المارشال مشعل العرائق وهو راجل وانه مثل مهرج كبير . وهو يلبس سبع إزيات ولكن ليس له في واحدة من السبع هيئة إنسان . وفوق هذين الشيطانين تترافق مقللة مصنوعة من ورق العرائد مما يسهل تعرفهما . وخلفهما في سيارة العلاء والرشادات وقد وسمت جياثهم بمسمى الصليب المعقود . ووراءهم تتتابع تتباينا لا نهاية له المدرعات والمدافع والقطارات والشاحنات تحمل المدايا وسر القربان المقدس وغرف التعذيب . لأن كل شيء مجهز تجهيزاً آلية وهو يمضي باقصى سرعته . تأتي أولاً العربات المحملة بالعتاد .

ووراءها العربات المحملة بالغنائم . أما الناس فيكتفون بعنصفهم وأما القمح فجمعونه . وهكذا فعثثما حلو انها رت المدن وإذا رحلوا خلفوا الصحراء . لكنهم لن يتقدموا بعد الآن . فها قد حضر شارل ملك فرنسا وحضرت خادمة الرب . وخدمة الرب أنت .

(في هذه الاثناء يتجمع جميع الفرنسيين الذين ظهروا على خشبة المسرح أو الذين سيظهرون فيما بعد . وكلهم مسلحون باسلحة العصور الوسطى وبقطع من دروع .)

سيمون : (مشرقة) أترى أيها الملك شارل . لقد جاؤوا جميـعا .
العمدة : لم يأتوا جميـعا يا جان . لا أرى أمري ايـزا ابو مشلا . وامير الجيش انصرف غاضـيا .
سيمون : لا تخف أبداً لأنـي سأتجـوك ملـكاً كما تـقـوم الوحدـة بينـ الفـرنـسيـين . انـظـر لـقد جـئت بـتـاجـك .
(تـغـرـجـ تـاجـ منـ قـفـتها) .

العمدة : ولكن مع من سـالـعب بالـورـق اذا لم يـعد اـمـيرـ الجـيش .
سيمون : سـيـعطـونـه اـجاـزة .
(تتـوجـ سـيمـونـ رـئـيسـ الـبلـدـية . فيـ المؤـخـرـة يـفـلـهـ جـنـودـ الـهـنـدـسـةـ يـدـقـونـ عـلـىـ قـدـورـهـمـ بـمـغـارـفـهـمـ صـبـ شـدـرـدـ)

العمدة : ما هذه الـاجـراسـ ؟
سيـمونـ : هـذـهـ اـجـراسـ كـاتـدرـائـيةـ رـبنـسـ .
العمدة : أم لـعـلـهـ جـنـودـ الـهـنـدـسـةـ الـذـيـنـ أـرـسـلـتـهـمـ إـلـىـ النـزـلـ طـلـبـاـ للـطـعـامـ ؟ـ)
سيـمونـ : تـامـاـ . فـهـمـ لـمـ يـعـطـوـ شـيـئـاـ حـتـىـ اـنـ قـدـورـهـمـ خـلـلتـ فـارـغـةـ . وـقـدـورـهـمـ الـفـارـغـةـ هـيـ اـجـراسـ تـتوـيـجـكـ أـيـهاـ الـمـلـكـ شـارـلـ .

العمدة : مـازـلـمـ تـدـقـونـ ؟ـ انـقـلـعـواـ !ـ
الجـيـسـعـ : يـعـيـشـ الـمـلـكـ وجـانـ العـذـراءـ التـيـ تـوـجـتـهـ .
العمدة : (لـسيـمونـ) شـكـراـ عـقـلـيـماـ يـاـ جـانـ فـقـدـ آنـقـذـتـ فـرـنـسـاـ .
(يـظـلـمـ الـمـسـرـحـ . وـوـسـطـ الـمـوـسـيـقـىـ الـمـشـوـشـةـ يـنـطـلـقـ صـوتـ مـذـيعـ فـيـ الـمـذـيـاعـ .)

٢ - المصالحة

في أول الصباح يجلس موريس وروبير السائقان ، والعم غستاف والجندي جورج يتناولون فطورهم .. يسمع صوت المذيع آتياً من الفندق .

المذيع : تعيد عليكم قرارة البلاغ الذي أذاعته وزارة العرب هذا الصباح في الساعة الثالثة وثلاثين دقيقة : « على أثر عبور تشكيلات مدربة عدوة نهر اللوار عبرها مbagatة انتشرت طوابير من النازحين على الطرقات ذات الأهمية الاستراتيجية في مقاطعات وسط فرنسا . ان الحكومة تطلب باللحاج الى الأهلين ان يبقوا حيثما وجلوا فيما تخلى الطرقات من أجل تسهيل التعزيزات . »

موريس : حان الوقت لتنسحب .

جورج : هرب مدير الخدم والخدم منذ الساعة الخامسة من هذا الصباح بعد ان قضوا الليل يعيشون الآنية الغزافية في صناديق . وقد هددهم صاحب الفندق بأنه سيجعل الشرطة تتبعهم . ولكن هذا لم يفده شيئاً .

روبير : (لجورج) ولم لم توظفنا في هذه الساعة ؟

(جورج لا يجيب .)

موريس : لا شك ان صاحب الفندق هو الذي أستكتك ؟ (ينفجر ضاحكاً .)

روبير : جورج الا تريد انت ان تنسحب كبقية الناس .

جورج : لا سائز بزتي وأبقى . فعل الاقل ساجد هنا ما أكله . الان فقدت الامل في شفاء ذراعي .

(يخرج المعلم من النزل بادي الانهاك أنيق المظهر وخلفه تنحب سيمون وهي تسبح حلقابه .)

المعلم : (ضارباً بيديه) - موريس - روبير - غستاف هيا . فعلينا تحمل الآنية الغزافية . كل مافي المخزن يجب ان ينقل الى الشاحنات . يجب تطليع الشرائح اللحمية . ولكن قبل كل شيء حملوا العدور الممتازة . قهوتك تشربها فيما بعد ، أما الان فنحن في حرب . سترحل الى بوردو .

(يتبع المستخدمون فطورهم . وينفجر موريس ضاحكاً .)

المعلم : ما بكم ؟ لم تسمعوا ؟ يجب ان تتعزموا وتحتملوا .

موريس : (يتهاون) السيارات مصادرة .
المعلم : مصادرة ؟ حماقات (بحركة طويلة) قرار المصادرة من أمن والديابات الالمانية
تنقض على سان مارتن . وهذا من شأنه أن يغير كل شيء . فما كان صحيحاً أمن
لا يصح اليوم .

العمغستاف : (هامساً) . صحيح .
المعلم : ارفع فنجانك عن فمك عندما أكلمت .
(تضع سيمون العقائب وتنسل اثناء الاجوبة الأخيرة الى النزل .)

موريس : أتريد فنجاناً آخر ياروبير ؟
روبيير : طبعاً فلا يعلم المرء ما يصيبه غداً .
المعلم : (بالغة غضبه) هيا ، كونوا عاقلين وساعدوا معلمكم على تجميع القليل الذي
يملكونه . (وعندما لا يرفع أحد رأسه :) ياعم غستاف اذهب أنت حالاً واسرع في
حزم الآنية الغزفية .

العمغستاف : (يقف نصف وقفة) لم أفرغ من فطوري بعد . لا تنظر الى هذه النظارات
فإنها لم تعد تنفع . (بقسوة :) اغرب عنى الان أنت وآنيتك الغزفية . (مجلس) .
المعلم : وانت ايضاً أصابك ما أصابهم ؟) وفي مثل سنك ؟ (ينصل بصره من واحد الى
آخر ، يشاهد الدراجة النارية ، بلهجة مريرة :) فهمت . انت تقولون في أنفسكم ،
لم يبق الا أن ننتظر الآمان . فالعلم نفذت قواه . لهذا حبكم واحترامكم لمن
يطعمكم . (للسانين) وقعت بامضائي ثلاث مرات لأشهد أنه لا يستحقني عنكم
في عمليات النقل لدى . ولو لواي لكتنتم الان في الجهة . وهكذا تكافتونني ؟ هذا
مربي من يتصور أنه يكتون مع مسخدميه عائلة صغيرة (من فوق كتفه :) سيمون ،
أعطي قدح كونياك فقد خارت قواي . (وحين لا يلتقي جواباً) سيمون ، أين
اختبات ؟ ها هي ذي الأخرى تصرف !
(تخرج سيمون من الفندق لابسة سترتها ، متهيئة للانصراف . وهي تسعي أن
تمر من غير أن يلحظها المعلم .)

المعلم : سيمون !
(تستمر سيمون في طريقها .)
المعلم : (أانت مجونة فلا تجاوبين ؟)
(تأخذ في الركض وتتواري . يهز المعلم كتفه ويلمس باصبعه جبهته .)
جورج : مازاً جرى لسيمون ؟

المعلم : (يلتفت الى السائقين) هكذا اذن : ترفضون الطاعة ؟
موريس : ليس هذا هو الموضوع . ستنطلق بعد آن نفتر .
المعلم : والآلية الغزفية ؟
موريس : ستنقلها على شرط آن تحملها انت نفسك
المعلم : أنتا
موريس : نعم أنت . أليست لك ؟
روبيير : (مخاطباً موريس) وبديهي اننا لا نستطيع ان نضمن وصولها الى بوردو .
موريس : ومن يستطيع آن يضمن شيئاً في مثل هذه الايام .
المعلم : لكن هذا فظيع ! أتعلمون ما الذي يكلمه رفض الطاعة هنا في مواجهة العدو .
أجعلكم ترمون بالرصاص هنا .
(يصل والد ماشار ٠٠٠)

المعلم : ماذا جئتما تفعلان هنا أنتما ؟
السيد ماشار : يا سيد سويو جئنا بشان ابنتنا سيمون . يقال آن الألسان سيصلون بين لحظة وأخرى وانك سترتحل وسيمون صغيرة ، والسيد ماشار قلق بشان العشرين فرنكاً .

المعلم : أتصور أنها انصرفت . لا رد لها الله .
جورج : أليست سيمون في البيت يا سيدة ماشار ؟
السيد ماشار : (لا يا سيد جورج)
جورج : (غريب) .
 يصل العمدة ومعه شرطيان . وخلفهما تستر سيمون .

المعلم : (وصلت في اللحظة المناسبة يا فيليب .) (وبحركة طويلة :)
يا فيليب ، آنا بازا ، عصيان ؟ فتك ، فانت السلطة .
العمدة : (هنري ، علمت من الطفلة ماشار آن في نيتك ارسال السيارات الى مكان أمين .
وساحاول دون هذه المخالفة للقانون بكل الوسائل بما فيها القوة .
(يشير اشارة باتجاه الشرطيين)

المعلم : سيمون أتملكين الجرأة على هذا الفعل ؟ ياسادة انتما هذه مخلوقة آويتها عندي
رحمة بأهلها ؟

السيد ماشار : (تهز سيمون) ما الذي فعلته أيضا ؟ (تقلل سيمون صامتة) .
موريس : آنا أرسلتها .
العننم : وأصفيت الى ما يقوله موريس هذا ؟

السيد مشار: سيمون كيف استطعت ..

سيمون: فعلت هذا لاساعد السيد العمدة يامي فهناك حاجة الى سياراتنا .

المعلم: سياراتنا !

سيمون: (سيمون وقد أخذت ترتبك) ولكن الطرق مسروقة في وجه اندرية (لا تجد ما تقوله : ! من هضلك ياسيلني العمدة اشرح لهم انت .

العمدة: ياهنري حاول أن تضع حدوداً لأنانيتك . لقد أحسنت صنعاً هذه الطفلة إنها جاءت لمقابلتي . ففي مثل هذه الأيام التي نعيشها يعتبر ملك كل واحد ميراثاً لفرنسا . ولدائي في الجبهة وهذه حال أخيها أيضاً . ذلك يعني أن أولادنا لم يعودوا لنا .

المعلم: (خارجاً عن طوره : اذن لم يعد هناك نظام ؟ ولم يعد للملكية وجود أليس كذلك ؟ لم لا تقدم النزل هدية لعائلة مشار ، ما دمت فيه . وتعلن السادة السائقين يرغبون في اقتسام صندوقى ؟ تلك هي الفوضى ! لا بد أن أذكرك ياسيد شافيز أن أمي والسيدة زوجة المعافظ كانتا في مدرسة داخلية واحدة . وما زال من الممكن الاتصال بها هاتفياً .

العمدة: (ملطفاً لجهته) ابني لا أفعل سوى واجبي .

المعلم: قليلاً من المنطق يافيليب . تحدثت عن ميراث فرنسا . مدخل راتني آنية السفرة الغزفية الجميلة ، الآنية الفضية أليس ذلك ميراث فرنسا ؟ وهل ينبغي أن تضع كل ذلك في قبضة الألمان ؟ لا ينبغي أن يقع في قبضتهم أي فنجان قهوة ، ولا آية شريحة لحم ، ولا آية علبة سردين . الصحراء هي ما ينبغي أن يجدوه لدى وصولهم . أنسنت هذا وانت العمدة ؟ كان عليك أن تأتي لتلقاني وتقول لي : ياهنري واجبك أن تضع أرزاقك في مامن من الألمان . وأجبتك أنا على هذا الكلام : يا فيليب ، من أجل ذلك أنا بحاجة الى سياراتي .

« تصل من الشارع ضوضاء جمهور . يدق الجرس عند مدخل النزل وينظر على أحد الأبواب » .

المعلم: ماذا يجري ؟ اذهب يا جورج وانقل ما الامر ؟ (ينهب جورج إلى النزل) .

المعلم: عليك أن تقول للمستخدمين الذين أمعنا في نسيان واجبهم اذ أرادوا أن ينهبوا ويتركوا كل أرزاقى : عليك أن تقول لهم : (يلتفت إلى السائقين :) أيها السادة أهيب بوطنيتكم احزموا الآنية .

جورج: (الذي عاد) هؤلاء نازحو المدرسة ياسيد هنري . سمعوا أنك تريدين أن تبعث

السيارات الى مكان آمن . وهم هائجون ويريدون الكلام الى السيد العمة .
المعلم : (وقد شجب فجأة) أحسنت عملا يافيليب . وكل هذا من سيمون ! أسرع يا جورج
وأغلق البوابة . (يذهب جورج ليغلق البوابة) استعجل ؟ اركض ! تلك هي
عاقبة تعريض الناس على ثمن الوجبات الدهماء . (للشرطين) اعملا شيئاً ؟
فورة ؟ يجب أن تطلب نجدة يافيليب بالهاتف . أنت مدين لي بهذا . أنا في
خطر يافيليب . أرجوك يافيليب ساعدنى .

العمة : (للشرطين) انهما وأحرسا البوابة (للمعلم) أنت تقول حماقات . فانت
لا خطر عليك وقد سمعت انهم يريدون مقابلتي (يبدأ الضرب على البوابة
أيضاً) أدخل وFDA منهم . لا أكثر من ثلاثة .
(يشق الشرطيان الباب ويقاوضان الجمهور ثم يدخلان ثلاثة أشخاص : رجلين
وامرأة تحمل رضيعها) .

المعلم : ما الأمر ؟
(أحد النازحين في هياج بالغ) سيادة العمة نحن نطالب بالسيارات .
المعلم : هذا مع أنكم سمعتم جيداً أنه يجب اخلاء الطرق .
المرأة : أخلاوها لكم ؟ أما نحن فعلينا من غير شك أن نبقى هنا ننتظر القاذفات الالمانية .
العمة للنازحين : أيها السيدات والساسة اياكم والذعر . وقد اتخذت كافة الترتيبات بشأن
المركبات . وكل ما يرغب فيه النزل هو أن ينقد بعض العاجات الشمينة من خطر
يهدها به العدو .

المرأة : (ساخطة) أترون ، هذا ما توقعناه ؟ ينونون أن ينقلوا الصناديق بدلاً من الناس .
(يسمع صوت الطائرات)
أصوات من الخارج : طائرات شتوكا .
المعلم : أنها تنقض .

(يتزايد الصوت تزايداً مرعبة . تنقض الطائرات فينبعط الجميع على الأرض)
المعلم : (بعد أن ابتعدت الطائرات) هنا يغازف الماء بحياته . وأننا ذاهب .
أصوات من الخارج : هاتوا السيارات . هل تبقى جميعاً هنا لتنقتل ؟
المعلم : وما حمل شيء بعد يافيليب ؟
سيمون : (غاضبة) ليس هذا وقت التفكير بالمؤمن . لا حق لك في ذلك .
المعلم : (متذهلاً) ماذا ؟ أتجترئين ؟
سيمون : المؤمن نستطيع أن نوزعها على هؤلاء النازحين .

نساج : آه ، أهي مؤن ؟ أهي مؤن ما تتعذرون عن نقله .
موريس : تماماً .

المرأة : تصوروا أننا لم نستطيع الحصول على وجبة الصباح :

موريس : انه لا يريد أن يحمي مدخلاته من الالمان بل من الفرنسيين .

المرأة : (تندفع الى البوابة) افتحوا البوابة (وعندما يوقفها الشرطيان تصرخ من خلف الجدار) ما سيحملونه على السيارات هو مؤن النزل .

المعلم : فيليب لا يجوز لك أن تدعها تصرخ بهذا الصراخ .
أصوات من الخارج : انهم يمررون المؤن خفية . اخلعوا البوابة . أليس بيننا رجال ؟ ينقلون المؤن ويسلموننا نحن الى الدبابات الالمانية .
(يخلع النازحون الباب . يتوجه العمدة الى ملاقاتهم)

العمدة : أيها السادة والسيدات . اياكم والعنف . كل شيء سيسوى .
(وبينما يقاوض العمدة النازحين عند البوابة ينشأ في القناة شجار كلامي فت تكون جماعتان : المعلم واحد النازحين والمرأة وأهل سيمون من جهة ، ومن الجهة الأخرى سيمون والسائلون والنازح الثاني والعم غستاف . يفلج جورج على حدة ويتابع فطوره . وفي هذه الاثنتان تخرج العجوز السيدة سوبو من غير أن يلحظها أحد . وهي امرأة طاعنة في السن وكل ثيابها سوداء)

المرأة : بقى ما لا يقل عن ثمانين شخصاً لا يجدون وسيلة لتنقلهم .
المعلم : ولكنك تحملين معك صرتك ، يا سيدتي فكيف يتحتم علي أنا أن أدع كل شيء أليست هذه السيارات لي أنا .

العمدة : إلى كم ميلاً تحتاج يا سيد سوبو ؟
المعلم : أحتاج لما يستوعب ستين صندوقاً على الأقل . أما السيارة الثانية فيمكن أن تتسع بعد ذلك لثلاثين نازحاً .

المرأة : أنت تتوبي أذن أن يبقى هنا خمسون نازحاً ، لهذا ما تتوبي ؟
العمدة : لنقل أنك تكتفي بنصف سيارة ل تستطيع على الأقل نقل الأطفال والمرضى .

المرأة : تريد أن تقسم كل عائلة شطرين ؟ أي عمدة هذا ؟
المعلم : ويمكن لثمانية أو عشرة أشخاص أن يختبئوا أماكنهم على الصناديق (للسيدة ماشار) الفضل في ذلك لأبنتك .

المرأة : في هذه الطفلة من المروءة أكثر مما فيكم جميعاً .
السيدة ماشار : اعتذر طفلتنا سيمون يا سيد هنري . أخوها هو الذي حشا راسها بهذه الأفكار وتلك كارثة حقاً .

سيمون : انتم تعرفون المنطقة . يمكنكم ان تسلكوا الطرق الفرعية . وترکوا الطريق الرئيسية العامة سالكة للقوات .

روبير : لا ننوي ان نعبر مياه الطوفان بموئنه .

سيمون : ولكنكم تنقلون المرضى والاطفال .

روبير : النازحون ، هذا شيء آخر .

العمغستاف : لا تتدخلوا في هذه الامور يا سيمون . هذه تصريحات لك .

سيمون : ولكن بلادنا الجميلة فرنسا تتعرض لخطر مميت ياعم غستاف .

العمغستاف : وهذا الكلام أيضا جاءك من ذلك الكتاب اللعين « بلادنا الجميلة فرنسا تتعرض لخطر مميت » .

روبير : نزلت السيدة سوبو وهي تومي، اليك . (تمضي سيمون نحو السيدة سوبو) .

المراة : (للجمهور الذي يزدحم عند البوابة) ما علينا الا أن نستولي على كل شيء : السيارات والمؤمن .

انسيدة سوبو : دونك المفتاح يا سيمون . حتى من المدخرات وأعطيهم ما يشتهون . عم غستاف ، جورج ساعدهما .

العمدة : (بقوة) مرحي يا مدام سوبو ، عظيم جدا .

المعلم : كيف تفعلين هذا يا أمي ؟ وقبل كل شيء كيف خطر ببالك أن تنزلي ؟ تعرضين نفسك للموت في مثل هذا التيار من الهواء هنا . هذا عدا ما عندنا في القبو من خمور معتقة ومن مدخلات بقيمة ستين ألف فرنك .

السيدة سوبو : (للعمدة) كل ذلك في خدمة النازحين . (لابنها بجفاف) هل تفضل نهبا بحسب الأصول ؟

سيمون : (للمرأة التي تحمل رضيعها) سنوزع المؤمن عليكم .

السيدة سوبو : يا سيمون ان ابنتي يأخذ باقتراحك ويوضع كل مدخلات الفندق تحت تصرف النازحة . ولا يبقى بعد هذا الا الاواني الخزفية والفضية . وهي لن تربكم . وسوف تحملنها . ظليس كذلك .

المراة : ومحلاتنا داخل الشاحنات ماذا سيصيبيها في هذه الحالة .

السيدة سوبو : سننقل كل الناس الذين يمكننا نقلهم . ويرى النزل من دواعي كرامته ان يتکفل بموئنه من يمکثون .

صوت آخر : (أحد النازحين يصرخ باتجاه البوابة) غاستون ؟ هل يقبل العجوزان « غرافيل » وعائلته « مينيببي » أن يبقوا هنا اذا أمنت أعاشتهم .

- صوتمنالخلف: (يصرخ) هذا محتمل جداً يا جان .
المرأة : مهلاً ! اذا موونا فانا ايضاً اقبل ان أبقى !
السيدةسوبو: اهلاً بك .
العملة : (صوب البوابة) ايها السادة والسيدات ، اخدمو انفسكم . مدخلات الفندق
تحت تصرفكم .
(يدخل بعض النازحين الى المخزن متدددين) .
- واحتملي اليها بعض زجاجات الكوبياك ياسيمون من صنف مارتيل الممتاز .
نعم ياسيدتي . « تومي » الى النازحين ويدخل معهم الى المخزن العم غستاف وجورج .
الملم : انت تستهنن موتي .
(يسحب أحد النازحين الى خارج المخزن بمساعدة جورج صندوقاً من المؤن .
يقوم وهو مشرق بدور البائع الجوال .
- فواكه ، شرائح لعمية ، شوكولاتة ، وجبات للسفر ، مجانة في هذا اليوم !
المعلم : (يخرج عن طوره وهو يتامل على المحفوظات التي حملها النازحون مع جورج عبر
الفناء والطريق) ولكن هذه بقالة فاخرة ، كبد دسمة !!
- السيدةسوبو: (تهمس اليه بصوت خفيض) هلا سكتت ! (للنازح بتودد كبير) ارجو ان
تجد ذلك على ذوقك ياسيدتي .
(النازح الآخر يجر عبر الفناء بمساعدة العم غستاف سلا ملائى بالمؤن .)
- المعلم : (يشن نادياً) خمري من صنف « بومار » ١٩٣٣ ولكن هذا هو الكافيار ، وهذا
هذه ساعة التضعيفات ياهنري (بلهجة مؤثرة) المطلوب أن ترى مروءتك .
موريس : (مقلداً تعجب المعلم) خمري من صنف « بومار » (بريت على كتف سيمون وينفر布
في الضحك) يا سيمون ، في مقابل المتعة التي مثل هذا المشهد فانا اقبل ان أحمل
لك صناديق الآنية الغزفية .
- المعلم : (مفتاظاً) الحقيقة اني لا ارى في ذلك ما يضحك . (مع اشارة نحو السلل التي
تختفي) ما قد وقعنا في النهب بحسب الاصول .
روبير : (ملاحظاً وهو يحمل سلة) لا تدع نفسك تنهاي . فبالمقابل ستحمل لك آنيتك الغزفية .
السيدةسوبو: موافقة (تأخذ بعض العلب والزجاجات وتحملها لأهل سيمون) خذوا ، خذوا ،
أنتم ايضاً . وانت ياسيمون أعطي أهلك أقداحاً .
(سيمون تنفذ الامر ثم تذهب وتاتي بمنضدة تضعها بملائقة الجدار ثم تغرس
من السلة مؤناً وتناولها من فوق الجدار للنازحين الذين في الخارج) .

السيدة سوبو: موريس ، روبي ، عم غستاف خذوا أقداحاً انتم ايضاً (بaimاء نحو الشرطة)
أرى القوة المسلحة قد خدمت نفسها . للمرأة التي تحمل الرضيع) وانت ايضاً
اشربى جرعة معنا . (للجميع) سيداتي سادتي ، لنرفع أكوابنا على شرف
مستقبل بلادنا الجميلة فرنسا .

المعلم : (وقد بقي وحده بمotel عن الشرب) وانا ؟ أشربون نخب فرنسا بدوني .
(يصب لنفسه قدحاً وينضم الى الجماعة)

العمدة : (للسيدة سوبو) ياسيداتي باسم ناحية سان مارتنأشكر النزل على الهبة
السخية التي قدمتها (يرفع قدحه) على شرف فرنسا ، على شرف المستقبل .

جسوج : ولكن ماذا تفعل سيمون ؟

(تقلل سيمون منهملة في توزيع الاطعمة على النازحين من فوق الجدار)

العمدة : سيمون ؟ (تقترب سيمون لاهبة الغدين متعددة)

السيدة سوبو: هيئا ياسيمون ، خذني قدحاً انت ايضاً . الناس هنا مدینون لك بالجميل .
(يشرب الجميع)

المعلم : (للسانقين) ها قد عدنا أصدقاء من جديد . أتقلون حقاً ، أتقلون حقاً انه كان
من الممكن أن أفكر للحظة واحدة في ترك النازحين هنا . ياموري وياروبي ان لي
طبعي ولكنني قادر تماماً على تقدير الواقع الرفيعة حيثما وجدت . وأعرف كيف
اعترف بأخطائي . فذلك لا يغيفني . اصنعوا صنعي . ولتننس خلافاتنا الشخصية
الصغرى . فهي توافقه . أجيده بنا أن تكون جميعاً كتلة متمسكة تعاج العدو
المشتراك . أتعدونني بذلك ؟ (يمد اليهم يده ، يمد لها روبي الذي يهزها وعلى
وجهه ابتسامة بلها . بعد هذا يمد جورج يده اليسرى . ثم ينقبل المعلم المرأة
 ذات الرضيع . يتناوله العم غستاف الذي ما زال تحت وطأة الغضب ، يده وهو
يندم . ثم يلتفت المعلم الى موريس السائق الذي لا يبني استعداداً لأن يمد يده)

سيمون : (بلهجة الملامة) موريس ؟

موريس : (يمد يداً متعددة ، ساخراً) عاشت قداستنا الجديدة جان التي تعمل على توحيد
جميع الفرنسيين .

(يصفع السيد ماشar ، سيمون)

السيد ماشar: (تشرح) هذا لتعلمك كيف تعاندين معلمك .

المعلم : (للسيد ماشar) لا تفعل هذا . (يجذب سيمون من كتفها ويواسيها) فسيمون
طفلتى المفضلة ياسيداتي . هذه ناحية الضعف في . (للسانقين) ما فعلنا كل

شيء بعد يا أولاد . بقى علينا تعديل الآنية . أنا واثق أن السيد ما شار
سيعاوننا هو أيضاً .

العمدة : (للشرطين) وأنتما أيضاً ستساعدن السيد سوبو أليس كذلك ؟
المعلم : (ينحني أمام المرأة ذات الرضيع) سيدتي ؟

(تفرق الجماعة . يبدأ الجمهور في الخارج بيتهج . لا يبقى على المسرح سوى
المعلم والعمدة والسيدة سوبو وسيمون والساندين وجورج)

المعلم : هذه لعنة عظيمة يا أولاد . ما كنت أحب أن تفوتني على الاطلاق . لا رد الله
الكافيار ولا الغمر . ما أحبه هو أن أرى الجميع يتفاهمون .

موريس : وما مصير معمل الأجر من ذلك كله ؟

العمدة : (حذراً) صحيح ياهنري . فمعمل الأجر أيضاً لا بد من تدبر أمره .

المعلم : (وقد تأثر تأثر المستاء) ماذا ؟ ما الذي تريدون بعد ذلك ؟ أرسل إلى العمل اذا
شئت سياراتك التي ليس فيها وقود وستستطيع أن تملأ خزاناتها منه . رضيتم الآن ؟

روبير : في « أبيفيل » كانت الدبابات الألمانية تتزود بالوقود من المضخات على جانب الطريق .
وعلى هذا فقد كان تقدمها سريعة .

جورج : لم تكن الكتبية ١٣٢ تجد وقتاً ترتد فيه حتى لعق الامان بمؤخرتها فابادوا
سريتين بسهولة .

سيمون : (مرتعبة) ولكن السابعة لم تصب ؟

جورج : السابعة ، لا .

العمدة : مدخلات البنزين يجب أن تدمر ياهنري .

المعلم : لعلكم تستجلبون قليلاً ؟ فنحن لانستطيع أن ندمر كل شيء منذ الآن . ومن يعلم ؟
فقد ننجح في صد العدو . صحيح ياسيمون ؟ قوله للسيد شافيز ان فرنسا ليست
وشيكة الضياع . (للسيدة سوبو) والآن وداعاً يا أمي . أتركك وبالي مشغول .
ولكن لديك سيمون لتكون سندًا لك . وداعاً ياسيمون . لا أخجل من أن أقول
لك شكراً .

المعلم : أنت فرنسيّة حقيقة (يعانقها) فما دمت هنا لن يقع شيء بين أيدي الامان
أنا واثق من ذلك . يجب إلا ترك لهم من النزل إلا الجدران العارية . اتفقنا ؟
أعلم أنك ستتعلمين ما كنت أفعله أنا نفسي . وداعاً يا فيليب إليها الاخ القديم .
(يعانقه ، ويأخذ أمتعته ، تحاول سيمون مساعدته)

المعلم : (يرفض بيده) خلني عنك . الأولى أن ترى أنت وأمي ما يجب عمله فيما بعد
بمدخراتنا . (يخرج باتجاه الطريق)

سيمون : (تلحق بالسائقين) موريis ، روبيز ! (سيمون تقبل كلا منهما على خديه ثم ينصرف موريis وروبيز بدورهما نهائيا) .

صوت مدحیاع : علمنا في هذه اللحظة أن تشکیلات مدرعة عدوة وصلت الى « تور » (يتكرر هذا النباء مرات حتى نهاية المشهد) .

العمدة : (شاحبا ، فاقدا اتزانه) وانه فقد يصلون اليها هذه الليلة .

السيدة سوبو : ما لك يافيليب ، كن رجلا .

سيمون : سيدتي ساسارع الى معمل الاجر أنا والعم غستاف وجورج لتمير مدخلات البنزين .

السيدة سوبو : سمعت مع هذا تعليمات المعلم ؟ طلب اليها الا نعمل شيئا بعجلة . على كل حال هناك اشياء يجب ان تتركي لنا مباشرتها يا صغيرتي .

سيمون : ولكن موريis يقول ياسيدتي ان الامان يتقدمون بسرعة .

السيدة سوبو : كفى ياسيمون ! (تهيا للاصراف) ففي هذا المكان تيار هوائي شديد . (للعمدة) أشكرك يافيليب على كل ما فعلته اليوم للنزل . (على عتبة الباب) في الواقع ياسيمون بما ان الجميع انصرفوا الان فمن المعتدل ان اغلق النزل . فارجعي لي مفتاح مخزن المؤون .

(سيمون مهزوزة ، تعيد اليها المفتاح) .

السيدة سوبو : اظن الافضل لك ان تعودي الى بيتك بين اهلك . وما على الا ان احمد لك خدماتك

سيمون : (لا تفهم) لكن الن تحتاجوا الى عندما تأتي البلدية لتسليم المدخلات .

« تعود السيدة سوبو الى الفندق دون ان تنبس بكلمة .

سيمون : (بعد فترة صمت ، مجلجة) قد صرفت من الخدمة ايها السيد العدة ؟

العمدة : (موايسيا) أخشى ذلك . ولكن لا يجوز لك ان تخجلي . فلقد سمعتها تقول ما على الا ان احمد لك خدماتك . وهذا الكلام من فمهما له شأنه .

سيمون : (بصوت خاب) نعم ياسيدتي .

(ينصرف العدة بادي الذهول . تتبعه سيمون ببصرها) .

حلم سيمون ماشار الثاني

ليلة ١٥ حزيران

موسيقى مشوشة ذات ايقاع رسمي . من الفلام تبعث جماعة سرّها
الانتظار . العمدة بالرداء الملكي ، والمعلم والعقيد كلاهما يلبس لأمة وبيد كل
منهما عصا القيادة . يلبس العقيد فوق لامته لباس الميدان .

العقيد : استولت قداستنا جان على أورليان ورانس بعد أن أخلت الطريق العامة لعبور
التعزيزات صار من الواجب منها بعض الأosome . هذه بداهة .

العمدة : هذا من شاني ، من شأن الملك . وسيقبل الأرض بين يديها أصحاب المراتب
والعائلات الكبيرة في فرنسا كانوا كل هذه الشخصيات كانت تجتمع في هذا المكان .

العمدة : في الواقع علمت أنهم صرفوها من الخدمة (خاضضا صوته) بناء على طلب السيدة
الوالدة إيزابو الجبارة ملكتنا . على ما قبل لي .

المعلم : لا علم لي بذلك ، ولم أكن متواجداً في مكان العادث ، في الحقيقة لم يكن ذلك
فرضياً ملائماً . سيمون طفلتي المفضلة . ومن الطبيعي أن تبقى في خدمتي .
يقول العمدة في لغة العلم شيئاً لا يفهم كأنه ملاحظة ليغير الحديث .

العقيد : ها هي ذي !

تتقدم سيمون بخوذتها وسيفها وأمامها حرسها الشخصي الذي يتكون من موريس
وروبيير والجندي جورج . يلبس ثلاثة دروعاً . ومن الفلام ينبعث أيضاً أهل
سيمون ومستخدمو التزل وجمهور الناس . يرد العرس الشخصي الجمهور بالرماح .

روبيير : افسحوا المكان للعنقاء .

السيدة ماشار : (تلوى عنقها لترى) هاهي تلك . لا يأس بالغودة عليها .

العمدة : يمشي خطوة نحوها ، ياعزيزتنا جان ، ماذما نستطيع ان نفعل لك ؟ تمني أمنية
 تستجيب لك .

سيمون : (تتعني) أيها الملك شارل أرجوك أولاً أن تعمل على أن تستمر مدینتي الغالية في
تلقي غذانها من مدخلات النزل أنت تعلم أنني أرسلت مؤاساة الفقراء والمعوزين ،
وعليك أن تعفيهم من الضرائب .

العمدة : لا جدال في ذلك . وغيره ؟

سيمون : ثانية عليك أن تستولي على باريس . يجب أن تشرع من غير تأخير بمعركة فرنسا
الثانية أيها الملك شارل .

المعلم : (دهشاً) معركة فرنسا الثانية ؟

العقيد : ولكن ما رأي السيدة سوبو في ذلك ، ايزابو الجبار ملكتنا .

سيمون : أرجو أن تؤجرني جيشاً أستطيع به أن أكسر العدو وذلك قبل أن ينقضى العام أيها الملك شارل .

العمدة : (باسماً) ياعزيزتنا جان ، ما علينا إلا أن نحمد لك خدماتك . وهذا الكلام من فمنا له شأنه . ولكن لنقف عند هذا الحد . فهناك أشياء يجب أن تتركي لي أمر العناية بها . في الوقت الحاضر سأغلق النزل وستعودين إلى أهلك . وقبل أن تذهبى سترفعين ولا شك إلى مرتبة النبلاء . أعطني سيفك . لا أعلم أين تركت سيفك . ذلك الذي أجعلك سيدة فرنسا العظيمة .

سيمون : (تناوله سيفها وترکع) هاهو ذا المفتاح .
(الموسيقى المشوشة بارغتها وجوقاتها تذكر باحتفالات دينية مبهمة ، يقسن العمدة بحركة احتفالية كتف سيمون بالسيف .

الدرس الشخصي والشعب : « عاشت العترة . المجد لسيدة فرنسا العظيمة »

سيمون : وقد رأت العمدة يهم بالانصراف لحظة أيها الملك شارل لا تنس أن تعيد إلى سيفي .
(مستحثة) لم ينقلب الانكليزي بعد و « بورغرني » يجمع جيشاً جديداً أرهب من الأول . أشد المصاعب تبدأ الآن .

العمدة : شكراً جزيلاً لهديتك . وشكراً جزيلاً على الأشياء الأخرى يا جان . (ينعطي سيف سيمون للمعلم) اذهب إلى بوردو أحمله إلى مكان آمن ياهنري . وعلينا نحن الآن أن نكلّم على انفراد العجوز السيدة سوبو ايزابو الجبار ملكتنا . الوداع يا جان .
شكراً على صحبتك لنا .
(يخرج هو والمعلم والعقيد)

سيمون : وقد استبد بها خوف عظيم) ولكن العدو يصل ، ما لكم ؟ تحول الموسيقى إلى مجرد ضوضاء جمهور ، يخفت الضوء ويتواري الشعب في الظلام .

سيمون : تتخل ببرهة من غير أن تستطيع المعركة ، ثم) اندرية ! ساعدني ! اهبط ياملأكي كلمتي ! الانكليزي يجمع جيشاً . « وبرغوني » أخل بالعهد . أما جماعتنا فقد تشتبوا . يظهر الملك على سطح الماء . وبلهجة الملامة) ماذا فعلت بسيفك يا جان ؟

سيمون : (مضطربة تعتذر) أخذوه مني ليسموني سيدة الطبقة النبلية ولم يعيدهم إلى بصوت خفيض وهي خجل) صرفت من الخدمة .

الملائكة : فهمت (بعد صمت) ياخادمة أمينا فرنسا . لا تقبلني أن تصري . أصمني .
فرنسا ت يريد ذلك . انتظري قبل أن تعودي إلى أهلك . سيموتون حزناً أن رأوك
مصروفة من الخدمة . ثم إنك وعدت أخيك أن تحافظلي له على عمله في المراقب ، لأنك
سيعود ذات يوم . أبقي يا جان ! كيف تتركين عملك الآن في حين أن العدو يمكن
أن يفاجئنا بين ساعة وأخرى .

سيمون : وهل يجب أن نتابع القتال حتى لو انتصر العدو ؟

الملاءك : (هل يهبه النسيم هذا المساء ؟)

سيمون : (نعم) .

الملاءك : (لا ترين شجرة في الفنا ؟)

سيمون : (بلى ، الصفصافة .)

الملاءك : وعندما تمر الريح عليها هل تسمع خشخة في أوراقها ؟

سيمون : نعم ، وبوضوح .

الملاءك : لابد إذن من متابعة القتال حتى لو انتصر العدو .

سيمون : (وكيف أحارب وليس معندي سيف ؟)

الملاءك : اصغي !

(في اليوم الذي يدخل فيه الغازى قريتك فليكن الامر كما لو انه يقتل شيئاً .
لا ينبغي أن يوجد بينكم من يسلمه مفتاحاً . لأن الذي جاءكم ليس ضيقاً نرحب
به وإنما هو حشرة تسحق . لا ينبغي أن يجد له طعاماً ولا منضدة يجلس إليها
ولا سريراً أو مقعداً يستريح إليه . كل مالا يحترق خربوه . أفرغوا كل جرة من
حليبها ، ادفنوا كل رغيف . يجب أن يصرخ : رحمة بيبي ! وأن تجبيه إليها الوحوش
انفجر ! يجب أن يأكل من تراب الأرض . وليسقط في التراب كل بيت تقيم فيه .
يجب أن يباس من أن يثير عطف آية محكمة . لا يبدين شيء في قريتك حتى ولا
الذكرى . لا يبدين سوى العدم . ولا تقنعن نظراته إلا على الفراغ . وقادمه إلا
على الصحراء . كان لم يكن في هذا المكان ما يقوت الإنسان . امضى الآن ودمري
كل شيء .)

يعتم المسرح . وبالموسيقى المشوهة ، يختلط برفق والعااج قول الملائكة متذكرة .
امضى الآن ودمري كل شيء . كما يختلط بالموسيقى ضجة واضحة التميز هي
صوت الدبابات الثقيلة أثناء زحفها .

ثالثاً - النار

(السيدة العجوز سوبو ، متلفعة بالسواد ، وخلفها تيريز وصيفتها والعم غستاف الذي يلبس بدلة الاحد ، كلهم ينتظرون عند الباب القائد الألماني . يقف جورج باللباس المدني الذي صار لباسه منذ اليوم ، مستنداً إلى المرآب الذي تستتر فيه سيمون عن السيدة سوبو وتصغى إلى ما يقال لها في الخارج يسمع صوت الدبابات.

سيمون : لونها باهت ، لأنها خائفة .

جورج : هي تعتقد أنهم سيوفونها رهينة ليقتلوها بعد ذلك . لم تنم طوال الليل . كانت مضطربة أشد الأضطراب . وقد سمعتها تيريز تصرخ عالياً وتقول « العざارون سيذبحون كل الناس ومع ذلك فقد بقيت خوفاً على فلوسها . وألآن هي تنتظر النقيب الألماني - لا أفهم في الحقيقة لم لا تريدين أن تظهرني أمامها . هل حدث شيء؟

سيمون : (تكذب) لا ، لا . كل مافي الأمر أنها ستعذرني لو وقع بصرها على خوفاً من أن يسيء إلى الألمان .

جورج : (غير مصدق) أمن أجل هذا ، من أجل هذا فقط لا يصح أن تراك ؟

سيمون : (مغيرة الموضوع) أتفطن أن الألمان يدركون موريis وروبير ؟

جورج : ممكن . في الواقع لم تركت الغرفة التي كانت لك هناك ؟

سيمون : (تكذب) صار في المرآب مكان لي الآن بعد أن ذهب السائقان . أتفطن أن اندرية يعود في الوقت الحاضر ؟

جورج : هذا قليل الاحتمال . لعلها صرفتك من الخدمة يا سيمون ؟

سيمون : (تكذب) لا .

جورج : ها هم أولاً، الألمان .

(يبدو القائد الألماني آتياً من الطريق ، يصعبه النقيب فيتان . وعند البوابة يتبادل الرجلان والسيدة سوبو صنوف التعبيات المهدبة . ولكن لا يسمع ما يقولون)

جورج : إن السيد النقيب فيتان ، وهو فاشي بين خلصائه ، له الشرف أن يقدم للسيدة العدو المتواثر . عرض فغم للمجاملة المهدبة . كلاهما يشتمز من الآخر ولا يبدو مع ذلك على أي منها أنه يستشعر رائحة كريهة . فالعنو المتواثر انسان اجتماعي ومثقف . يبدو على السيدة أن ذلك قد خف عنها كثيراً (همساً) هاهم أولاً .

(تراجع سيمون . تقود السيدة سوبو السيدين عبر الفنا ، الى النزل . تتبعه تيريز متخلفة عنهم)

العمغستاف : (الذي همست السيدة سوبو باذنه شيئاً يقترب من جورج وسيمون)
السيدة ترغب الا ترى بعد الان في النزل دماء النازحين . فان ذلك قد يزعج هؤلاء السادة الالمان . وعلى ما يبدو فقد كان بوسع المعلم ان يبقى هنا .

جورج : يقول اول اعلان لهم في الاذاعة : « ليس على أحد من يحترم النظام والهدوء ويعمل على احترامهما ان يخاف على نفسه » .

العمغستاف : هذا الذي دخل قبيل قليل يقول : « اذا شئت » وعندما يطلب شيئاً يقول « اذا شئت تفضل وأر خادمي أين غرفتي » .

سيمون : صحيح ولكنه العدو . (يمضي العم غستاف الى المخزن)

جورج : وهل حلمت ابنة عمه حلماً آخر ؟

سيمون : نعم في الميلية الماضية .

جورج : بالعدرا ، كعادتها ؟

سيمون : (تجيب نعم برأسها) رفعوها الى مرتبة النبلاء .

جورج : لا بد انه كان يوماً جميلاً لها .

سيمون : واعفوا قريتها من الضرائب كما جاء في الكتاب .

جورج : (أميال الى العسم) ولكن الواقع أن مدخلات النزل لن توزع كما كان الوعد .

سيمون : (مرتبك) لم تحدثني ابنة عمي عن هذا .

جورج : آه .

سيمون : يا سيد جورج اذا ظهر شخص على هيئة ملاك في حلم كالاحلام التي تحلمها ابنة عمي من حين لآخر ، فهل يعني هذا بالضرورة ان هذا الشخص ميت .

جورج : لا اقدر . بل قد يعني ذلك ببساطة ان التي تحلم ، تخاف من حين لآخر ان يكون ذلك الشخص قد مات . قولي لي هل هناك اشياء كثيرة يكلفون بها ابنة عمه في العلم ؟

سيمون : يعني ...

جورج : في آخر مرة ، هل حدث ما يزعج في العلم ؟

سيمون : لم تسأل ؟

جورج : لأنك لم تقولي لي شيئاً ذا بال .

سيمون : (برصانة) لم يقع ما يزعج .

جورج : سالتك هذا السؤال لأنني أتصور أن هناك من يتعلّق بهذه الأحلام تعلقاً شديدة حتى ليensi فجأة أنه يعيش هنا في وضح النهار ، لا في العلم

سيمون : (بلهجة جافة) مدام الأمر كذلك فلن أحذثك بعد عن أحلام ابنة عمي ياسيد جورج .
ـ (يدخل إلى الفنا، المرأة ذات الرضيع ونماذج آخر) ـ

سيمون : آتيا من أجل الاعاشة . أفهمها الامر بلطف ياسيد جورج (تخبيء، وترقب ما يجري) .

جورج : (يتقدم) سيدتي .

المراة : الآن صارت الدبابات هنا .

الرجل : هناك ثلاث دبابات تقف أمام مبني البلدية .

المراة : وهي ضخمة ، سبعة أمتار طول الواحدة .

الرجل : (يشير إلى العراس الالمان) انتبهي .

السيدة سوبو : (تظهر على باب النزل) جورج ، غستاف ، احملوا المقبلات إلى قاعة الطعام للسيد النقيب . عم تبعثان هنا ، أنتما ؟

المراة : جئنا بشأن الاعاشة ياسيدتي . بقي في باحة المدرسة واحد وعشرون شخصاً .

السيدة سوبو : ولكنني أوصيتك يا جورج أن تبقى السائلين بعيدين عن النزل .

الرجل : سائلين ؟ ماذا تعنين ؟

السيدة سوبو : لم لا تقول لهؤلاء الناس ان علاقتهم أصبحت بالقيادة الالمانية لا بنا ؟ ذهبت أيام الرخاء .

المراة : لهذا ما سنحمله للنازحين في باحة المدرسة ؟ تصوري أننا نصحتهم جميعاً بالبقاء ، ليتسنى لأننيك الغزافية أن ترحل ؟

السيدة سوبو : ياسيدتي من الأفضل لكم لا تقوموا بدور المغبرين .

المراة : وأنت لا تحتمي بالالمان .

السيدة سوبو : (من فوق كتفها إلى الداخل) هو نوري :

المراة : في هذه الساعة كان من الممكن أن أكون عند اختي في « بوردو » مع ابني . أنت وعدت باطعامتنا .

السيدة سوبو : تحت التهديد .

النقيب : (الذى يجيء ويقف خلفها) وفي ظل مشهد من مشاهد النهب الحقيقة ! أما الآن فسنعيد النظام والطاعة إلى هذا المكان . يا أصحاب (يشير إلى العراس الالمان) .

اتفضلون أن تستدعى العراب لطردكم من هذا الفناء ؟ لا تحتمي ياماري . تعلمين أن عليك الانتباه لقلبك .

المرأة : قندون .

الرجل : « يوقفها ويجذبها الى الباب » لن يستمر هذا العهد طويلا .

السيدة سوبو : بدأ هؤلاء يلوكون الاقدار . متوجهو من الشمال الكبرى يجيئون ليفرغوا فترانهم في ريفنا الآمن . ها نحن أولاً يجتاحتنا رواد أقدر العادات . لا بد أن يصل الامر بنا الى تلقين هؤلاء الناس درساً دامياً . عم غستاف هي فطوراً لاربعة أشخاص .

النقيب : « لجورج » يا ، أنت ، هناك ! سياتي العمدة ، قل له ان يلقاني قبل أن يرى القائد . (يقود السيدة سوبو الى النزل حتى اذا تواريا ركضت سيمون لتلحق بالنازحين)

جورج : عم غستاف مقبلات السيد النقيب .

صوت العم غستاف : (آتيا من المخزن) مفهوم .انا دانما بأمر السيد النقيب .
(تعود سيمون لاهثة)

جورج : ماذا قلت لهم ؟

سيمون : قلت لهم أن يقولوا للنازحين أنهم سيحصلون على ما يحتاجون اليه . سأهتم بالأمر هذا المساء .

جورج : صحيح ، فالفتح ما زال معك .

سيمون : وعدتهم بذلك .

جورج : لكن انتبهي جيداً . فانت ترتکبين سرقة .

سيمون : قد قال المعلم « ما دمت هنا فلن يقع شيء بين أيدي الآمان أنا واثق من ذلك » .
ولكن النغمة تغيرت الان مع السيدة الوالدة .

سيمون : لعلها لا تفعل ما تريده . (يظهر العمدة عند البوابة)

سيمون : (تبادر اليه وتوشوهه) سيدى العمدة ، ما الذي سيحدث الان ؟

العمدة : ما رأيك أنت ياسيمون ؟ سأبشرك بتبا سعيد . رشحت أباك مستخدمة في البلدية .
أنت تستحقين ذلك ياسيمون . فلا أهمية بعد الان لفقدانك عملك .

سيمون : (موشوشة ، أبداً) أصحح أن أمام البلدية ثلاثة دبابات ؟ (خفضة صوتها)
والوقود الذي ما زال هناك ؟

العمدة : (شارداً) آه نعم ، هذه غباء . (فجأة) لكنني سافكر بذلك . ماذا تفعلين في
النزل ياسيمون .

سيمون : لكن يجب أن نعمل شيئاً ي شأن هذا الوقود ياسيدى . الا تستطيع أنت أن تفعل
شيئاً ؟ لا شك أن السيدة سوبو ستسأل بهذا الصدد .

العمدة : لا أظن أن هنالك مجالاً للقلق على السيدة سوبو يا سيمون .

سيمون : أنا قادرة على أن أفعل شيئاً ما . فانا أعرف معلم الاجر كما أعرف نفسي .

العمدة : (مشتنا) سيمون أرجو ألا تفكري بالاقدام على حماقات فانا مسؤول عن كل ما يجري في سان مارتن . اتفهميني ؟

سيمون : نعم يا سيدي العمدة .

العمدة : لا أدرى لم أحدثك عن هذا كله وانت طفلة بعد . ولكنني أرى أن على كل واحد أن يتصرف كاحسن ما يستطيع . أليس كذلك ؟

سيمون : بالتأكيد ياسيدى العمدة . ولو كان لعمل الآجر أن يحترق ..

العمدة : يا الهى ! تلك أشياء لا يجوز حتى تصورها . والآن على أن أدخل . هذه أشنع خطوة خطوها في حياتي . (يتهيا للدخول ، يخرج النقيب) .

النقيب : سيد شافيز وصلت في الوقت المناسب للغداء .

العمدة : لكنني تغديت .

النقيب : هذا مؤسف . ولا يedo عليك أنك فهمت عنى جيدا . ففي نهار أمس أيضاً وقعت هنا جملة من العوادث المزعجة ، وذلك على مرأى ومسمع من السلطات . ومن المؤسف أن هذه السلطات لم تر من واجبها معاقبة الدسائس الفاضحة لبعض العناصر التي تسعى إلى استغلال نكبة فرنسا لأغراضها الأنانية . فأقل ما ينتظره هنا ضيوفنا الالمان لفترة تدل على حسن النية . انظر مثلاً ؟ علم القائد الالماني بوجود مخزونات البنزين في مستودع لاحظ معامل الآجر . فلعلك تستطيع الاهتمام بهذه القضية . ولعل ذلك يعرك شهوتك للطعام تفضل ياسيدى العمدة .

العمدة : (متربداً جداً) تفضل ياسيدى النقيب .

(يدخل الرجلان إلى النزل . العم غستاف الذي خرج من المخزن يسير على أثرهم) .

العم غستاف : (يدخل حاملاً طبقاً من المقبلات المتنوعة) الجو بدبيع هذا الصباح ، والرحلة تبدو موفقة ! عندما يلاقى ثري ثريا .. بين صناع الذهب أقرب النسب « أليس صحيفاً يا جورج ؟ » انهم يبيعون فرنسا كما يبيعون بقالتهم . (يدخل النزل . تتبع سيمون ما يجري . وقد جلست) .

جورج : سيمون ! ما بك ؟ سيمون !

(سيمون لا تجيب . جورج الذي هم بتحريكها يتوقف قبل أن يتم حركته وكأنه شل . وأثناء حلم اليقظة الذي تحلمه سيمون تتردد على نحو آلي وبصوت ضعيف الكلمة العم غستاف ... عندما يلاقى ثري ثريا .)

حلم اليقظة الذي تعلمه سيمون ماشار

(في ٢٠ حزيران)

« أنفام عسكرية مبهمة » يغدو جدار النزل الذي يواجه المشاهد شفافاً . وأمام الجدار المزين بسجاد مطرز عتيق يجلس العمدة في زي الملك شارل ، والنقيب في زي « دوق دي برغونني » والقائد الألماني وسيفه على ركبتيه ، والسيدة سوبو « يلعبون بالورق لعبة التبعيدة على طاولة من المرمر » .

السيدة ايزابو : لا أحب أن أرى الراعع بعد أيها اللورد . القائد اللورد : احتمي بنا يا سيدتي ايزابو . سأخذ على عاتقي إخلاء الفناء ، ذلك يعيد النظام . قطعت الورق .

العمدة - الملك : اصغوا ! أتسمعون ما أسمع ؟ كانوا هناك رجات طبول .
(يسمع من بعيد طبل جان)

النقيب برغونني : (لا أسمع شيئاً . ضع آس السباتي)
(تتوقف رجات الطبل)

العمدة - الملك : (متشككاً) حقاً ؟ أيها الدوق « دي بورغونني » . أخشى أن تكون « جان » في ضيقة وأنها تستدرج . الا ترى ذلك ؟

النقيب برغونني : عشرة الكبا . أنا بعاجة إلى الأمان لابيع خموري .
القائد اللورد : بكم تبيعن قطع الحلوى يا سيدتي .

السيدة ايزابو : ملن خلط الورق ؟ عشرة آلاف ذنق سيدي اللورد .

العمدة - الملك : هذه المرة ، أنا واثق من ذلك . فهي في خطر ، وفي خطر مميت . يجب أن نطير إلى نجاتها ونقوم بعمليات التدمير الضورية .
(يقف وأوراق اللعب في يده)

النقيب برغونني انتبه لنفسك . وإذا ذهبت الآن فلا عودة لك . لا يبدو عليك أنك أحسنت الفهم . لا سبيل إلى اللعب بعد . فنحن كل الوقت مزعجون . شاب السباتي .

العمدة - الملك : (يعود إلى الجلوس) طيب .

السيدة ايزابو : (تصفعه) هذا لتعلم كيف تعاند معلمك .

القائد - اللورد : أتسمعين يا سيدة ايزابو (يعد قطع النقود على الطاولة) واحد ، اثنان - ثلاثة .

(يهز جورج سيمون ليخرجها من حلم اليقظة بينما يتبع النقيب العد)

جورج : سيمون ! ها انت تلمني الان وعيناك مفتوحتان .

سيمون : أتاتي معك يا سيد جورج ؟

جورج : (يُنعدق في يده المقصوبة . يستضي وجهه) . صرت أستطيع تعریکها يا سيمون .

سيمون : حسن ، ولكن يجب أن تذهب إلى معمل الأجر يا سيد جورج . فليس لدينا متسع من الوقت . وانت ياعم غستاف يجب أن تأتي معنا . لنسرع .

العم غستاف : (الذي عاد من النزل) أنا ؟ لقد وضعوا اعلانا يقول ان كل انسان يتلف معدات ذات نفع عسكري فسوف يقتل هؤلاء لا يمزحون .

سيمون : يجب أن تذهب إلى هناك . العمدة يريد ذلك .

العم غستاف : (العمدة حير)

سيمون : ولكنك انت ستاتي يا سيد جورج . هذا من أجل أنتريه . لا أعرف كيف أفعل لتنمير كل هذا الوقود . هل يجب احراق المعمل كله .

جورج : ألم تفهمتني بعد : صرت أستطيع تعریکها .

سيمون : (وهي تنظر إليه) اذن فانت تريدين ان تأتي معك ؟ وهذا جندي ألماني آخر .

العم غستاف : (يصل إلى الفتاء جندي ألماني وهو ينو . بامتعته . وما ان تراه سيمون حتى تهرب بسرعة وقد استبد بها الذعر) .

الجندي الألماني : (يرمي الى الأرض بالرزم التي يحملها ، يرفع خوذته ليجفف جبينه ويحاول ببطء أن يعبر عن نفسه بالاشارات) هوبيمان ، دوبين .

جورج : (بالعرفات) هناك . في النزل . سيجارة ؟

الجندي الألماني : (يأخذ السيجارة ويصرف باستانه) . العرب شبس (يقلد حركة التسديد . ثم يشير بيده اشارة القذف) .

جورج : (ينفجر ضاحكا) يوم يوم . (يفرقع بشفتيه . وينفجران ضاحكين)

الجندي الألماني : هوبيمان ارسكلوخ .

جورج : ماذا ؟ كيف ؟

الجندي الألماني : (مقلدا القائد بنظارته) . عكروت .

جورج : (ينهم أخيرا ويسرع في تقليد موقف للنقيب والسيدة سوبيو) . كلهم عكاريت .
ـ (يستأنفان الضحك ثم يلم الجندي الألماني متاعه ويدخل الى النزل .

جورج : (للعم غستاف) حلو ، حلو . سيكون التفاصيم سهلا .

العم غستاف: لو كنت مكانك لما ركنت اليه كثيراً •

جورج: صحيح .. ولا سيما بعد أن صحت ذراعي •

(يخرج من الفندق القائد الألماني والنقيب فيتان والعمدة والسيدة سوبو) •

النقيبفيتان: أنا سعيد سيدي القائد أتنا استطعنا التوصل إلى مثل هذا الاتفاق الودي •

القائد الألماني: سيدي أشكرك أنك وضعت تلقائياً مدخراتك من الوقود تحت تصرفنا • لا لأن

القيادة بحاجة إليها ولكننا نقبلها دليلاً على رغبتكم الصادقة في التعاون •

السيدة سوبو: ليس المعلم بعيداً •

القائد الألماني: سارسل الدبابات إليه •

(تصطبغ السماء فجأة بلون أحمر ، تجمد الجماعة وكأنها سمرت بالأرض •

انفجارات في مكان بعيد) •

القائد الألماني: ما هذا ؟

النقيبفيتان: (بصوت مخنوق) معلم الأجر •

الوقت ليل • يسمع دق على الباب « يخرج جورج من غرفته وينهب كي يفتح للمعلم والسائلتين اللاتين) •

المعلم: كيف الحال يا جورج ؟ كيف صحة أمي ؟ في الواقع ييندو على الفندق أنه ما زال سليماً أشعر أني نجوت من الطوفان .. مرحباً يا سيميون !

(تصل سيميون خارجة من غرفة السائلتين • لم تكن تجد من الوقت ما يكفي لتلبس ثيابها • يقبلها روبير • يظهر العم غستاف بدوره) •

روبير: لك ! تقيمين في غرفتنا ؟ (يشرع في الرقص معها وهو يغني) •

عاد جاك السكير

وما تزال روز هنا

وقد عبت أمي قذح كونياك

وقدح بيرة لبابا

المعلم: ما الذي وقع عندكم ؟

جورج: وقع علينا قائد ألماني . أما السيادة سوبو فقد أرهقتها تلك التحقيقات بشان المعلم . فالقائد الألماني .

المعلم : أية تحقيقات ؟

سيمون : تصرفت في كل شيء ، كما لو كنت ستتصرف أنت نفسك . ففي مساء البارحة حملت إلى النازحين شيئاً من الطعام .

المعلم : لا أسألكم عن هذا ما حكاية معمل الآخر ؟

جورج : (متزدداً) احترق ياسيد هنري .

المعلم : (احترق ؟ احرقه الآلان ؟)

يجيب جورج « لا » برأسه .

المعلم : غلطة ؟ (ينخل بصره من واحد إلى آخر ، ولا يتلقى جواباً) السلطات ؟

جورج : (لا) .

المعلم : النازحون اللصوص ؟

جورج : لا يا سيد هنري .

المعلم : (مشعل العرائق بينكم اذن) يصرخ كمن فكت قدمه) من هو ؟ (لا يجيبه أحد) آه .
نعم . أنت جميعاً متآمرون (بغيظ هادي) بلغتم بالأمور حدود العبريمة اذن . في
الحقيقة كان يمكن أن تتوقع ذلك بعد دلائل عرفان الجميل التي عمرتني بها
آخر يوم . اغرب عني أنت وآتيتك الغزفية . أليس كذلك ياعم غستاف . طيب .
قبلت التعدي . وساري .

جورج : كان ذلك بسبب الآلان يا سيد هنري .

المعلم : ساخراً (صحيح المعلم لي) . ولكن عندما يحرق كذلك ضد الآلان . وبعبارة
أخرى . لقد أعماك بغضنك وحدكم المدمر فقتلتم البقرة التي تطعمكم من حلبيها
(يغشونة) سيمون !

سيمون : نعم يا سيدي .

المعلم : قوله لي حالاً من أحرق المعلم ؟

سيمون : أنا ياسيدني .

المعلم : (ماذما ؟ تجرأت) (يمسك بذراعها) من ساعدك ومن دفعك ؟

سيمون : لا أحد يا سيدي .

المعلم : لا تكذبي أتسمعين ؟ لن أغفر أبداً .

جورج : أرجوك ياسيد هنري أن تدعها فهي لا تكذب .

المعلم : من أمرك بذلك ؟

سيمون : عملت ذلك من أجل أخي ياسيدني .

المعلم : آه ، اندرية ! عباك ضد معلمك ؟ « نحن الكادحون » أليس كذلك . كنت اعلم من البداية أنه أحمر . من عاونك ؟

سيمون : لا أحد يا سيدتي .

المعلم : ولم فعلت فعلتك ؟

سيمون : بسبب الوقود يا سيدتي .

المعلم : وهل في هذا ما يدعو لاحراق المعلم كله ؟ لم لم تكتفي باسالة الوقود ؟

سيمون : ما كنت أعرف ياسيد هنري .

جورج : إنها طفل ياسيد هنري .

المعلم : كلكم معروقون ! مجرمون ! اغرب عنى عم غستاف ! جورج انت مسرح من عملك ! أنتم أسوأ من الألمان .

جورج : حسنة ياسيد هنري (يقف بجنب سيمون)

المعلم : أما كنتم تتحدون الساعة عن التحقيق ؟ ما الموضوع ؟

جورج : الألمان يقومون بتحقيق .

المعلم : ولكن هل وقع العريق والألمان هنا ؟

جورج : نعم .

المعلم : (يضطر إلى الجلوس ، مهدودا) ما كان ينقصنا غير هذا ؟ ذلك يعني خراب النزل . (يمسك رأسه بكلتا يديه)

العم غستاف : يا سيد هنري ، البارحة بعد الفظهر كانت (سان مارتان تثنى على النزل ثنا ، عظيمة) وكان الناس يقولون : على مشهد من الألمان .

المعلم : أنا أهل مجلس حربي . انظروا إلى أين أوصلتمني (باهسا) سارمي بالرصاص .

سيمون : (تتقدم نحوه) لن ترمي بالرصاص ياسيدتي لأنني أنا فعلت ذلك . يمكنك أن تاتي معى إلى القائد الألماني . وساتحمل مسؤولية ذلك كله ياسيدتي .

موريس : هذا غير وارد .

المعلم : كيف غير وارد ؟ هذه طفلة ولن يصيبوها باذى .

موريس : يمكنك أن تذهب وتقول للألمان ان شئت ، إنها هي . ولكننا نحن سنتكفل بترحيلها . اذهب فوراً والبس ثيابك .

المعلم : ولكننا تكون متواطئين في هذه الحالة .

سيمون : يجب أن أبقى ياموريس . « اندرية » يريد هذا . ذلك أعرفه .

المعلم : على أية حال كل المشكلة أن نعلم : أفعلت ما فعلته قبل وصول الالمان أم بعده .
فإذا كان قبل فهو عمل حربي ولا يمكن أن يطولوها يشي .
العمغستاف : (موحيا بصوت خفيض) لقد وضعوا فور وصولهم اعلانا يقول : يعدم كل الذين
يرتكبون أعمالا عدائية ياسيد هنري .

المعلم : (لسيمون) هذا الاعلان هل رأيته ؟
سيمون : نعم ياسيدتي .
المعلم : وكيف كان ؟
سيمون : على ورق أحمر .
المعلم : هل هذا صحيح ؟ (يجيب العم غستاف « نعم » برأسه) يبقى أن نعلم وهذا هو
السؤال الذي سيطرحه عليك الالمان ياسيمون - ان كنت قرأت الاعلان بعد أن
أحرقت المعمل . لأن عملك في هذه الحالة ليس تخربا ولا يمكنهم أن يفعلوا بك شيئا .

سيمون : قرأته قبل ياسيدتي .
المعلم : لم تفهمي عنى ان كنت لم تريه إلا بعد فمن المعتدل أن يكتفى الالمان بتسلیمك
إلى العمدة لأن القضية في هذه الحالة لا تتعلق بغير الفرنسيين . وهكذا
تتخلصين . فهمت ؟

سيمون : نعم ياسيدتي ، ولكنني رأيت الاعلان قبل .
المعلم : قد أخذت تتخبط . عم غستاف أنت كنت هنا في تلك الأونة فمتى انطلقت سيمون ؟
العمغستاف : قبل ياسيدتي ، بالتأكيد قبل أن يوضع الاعلان .
المعلم : لاحظت .
سيمون : أنت واهم يا عم غستاف . فانت نفسك الذي قلت لي قبل أن أذهب ان الاعلان
يمنع ذلك .

العمغستاف : لم أقل هذا قط .
المعلم : بالتأكيد . لا .
موريس : أفالا ترى ياسيد هنري أن هذه الطفلة تابى ان تدخل في هذه التركيبات . فهي لا
تتجعل من فعل ما فعلته .

سيمون : ولكن المعلم يسعى إلى مساعدتي فقط ياموريس .
المعلم : بالفعل هو ذاك . أنت تشرين بي أليس كذلك . اذن اصفي الي جيدا . الناس
الذين ستحدهم الآن هم العدو . والفرق ضخم . أتفهمين ؟ سيلقون عليك أسلحة
كثيرة فاجبي أنت دائمًا بجواب واحد يخدم سان مارتن وفرنسا . هذا بسيط .

سيمون : نعم يا سيدي ولكنني لا أريد أن أقول أشياء كاذبة .
المعلم : (فهمت ، أنت لا تريدين أن تقولي شيئاً مخالفًا للحقيقة . حتى للعنو نفسه . طيب . قبلت . ولن أطلب منك إلا شيئاً واحداً أذن . لا تقولي شيئاً على الإطلاق . دعي ذلك علينا . دعيه علي) (والدموع وشيك) . ساكون خلفك مهما يحدث ، تعلمين ذلك جيداً . كلنا خلفك . فنون فرنسيون .

سيمون : نعم يا سيدي .
ياخذ سيمون من يدها ويدخل إلى النزل معها .
موريس : إنها لم تقرأه جيداً ، كتابها .

رابعاً - القضاة

(١)

حلم سيمون ماشار الرابع ليلة ٢١ حزيران

(موسيقى مشوشة . في الفناء يقف القائد الألماني بلا ملته وسيمون بزي عندراء أورليان يحيط بهما جنود يلبسون دروعاً ضافية سوداء ذات حراشف وقد رسمت عليها صليبان معقوفة كبيرة حمراء . الحارس الذي يحرسها والذي تبين أنه حاجب القائد الألماني يمسك بعلم كبير عليه صليب معقوف)

القائد : أنت الآن تحت سيطرتنا يagan أورليان وستقتلون إلى محكمة عليا عليها أن تفصل في الأسباب التي بموجبها ستحكمين بالموت حرقاً .
(يخرج الجميع ما عدا حامل العلم)

سيمون : ما هذه المحكمة ؟
حامل العلم : ليست محكمة عادلة . بل محكمة كنسية .
سيمون : لن أعترف بشيء .
حامل العلم : كما تشاهين . ولكن يبدو أن المداولات انتهت .
سيمون : أذن فهم يصدرون حكمهم على المرء قبل أن يستمعوا إليه ؟
حامل العلم : نعم بالتأكيد .

(يخرج من الفندق ناس يظهر عليهم أنهم حضروا المداولات ، ويعبرون الفنا ،
إلى الطريق .)

العم غستاف : « وهو يعبر الفنا ، تيريز) • الاعدام ! وفي سنها ؟
تيريز : أترى ! لو قالوا لي هذا أول البارحة لما صدقت ؟

سيمون : (تشدّها من كمها) - وهل هتلر نفسه هنا ؟
(يبدو على تيريز أنها لم تلاحظها وتبعد هي والاب غستاف . يعبر والدا سيمون
الفنا . يلبس الاب بدلة مستخدم في البلدية وتلبس الأم السواد .)

السيد ماشان : (تنتصب) منذ أن كانت صغيرة كانت لا تفعل شيئاً إلا على هواها . مثلها مثل
أخيها . ستكون صدمة رهيبة لأبيها . تصوري ذلك ، فهو مستخدم في البلدية بالمعار !

(يخرجان . يعبر الفنا الأخوان موريس وروبير .)
روبير : لا بأس بمقابرها .

موريس : ولا سيما بالازرق ذي الكشكش .
سيمون : (تشد روبير من كمه) أرأيت القضاة ؟

روبير : (بغير مبالاة) طبعاً .
سيمون : وهل أراهم أنا أيضاً ؟

روبير : بالتاكيد . عليهم أن يغرسوا بعد قليل ليكسروا عليك عصا المحكومين بالموت . (يخرجان)
صوت عظيم : صمتاً ! افسحوا المكان ! سنشهد الآن اعدام العذراء من قبل المحكمة الكنسية التي
يتولاها أصحاب النيافة أساقفة وكرادلة « روان » . وفي البداية ستكسر العصي
على العذراء .

(يخرج من مدخل النزل الرئيسي قاض في جبة الكريدينالية الارجوانية . وهو يخفي
وجهه خلف كتاب الصلوات بحيث يتعرّف به ، ويُعبر الفنا . يقف أمام منصب
من البرونز . ينعرف ويغلق كتابه بحركة خاطفة . يسحب من كمه عصا ويكسرها
بابهة رسمية ويلقي بالقطع في القبر .)

الصوت العظيم : نيافة أسقف « بو فيه » لأنها سلمت « أورليان » : الموت لها ! « وقبل أن يبتعد
يلتفت التفاتة غير مبالية فيبني عن وجهه من فوق كتفه . وإذا به العقيد)

سيمون : سيد العقيد .

(يخرج قاض ثان من الباب ذاته ويقوم بالتراسيم ذاتها .)

الصوت العظيم : لأنها سلمت أورليان واطعمت فثران المدينة المذكورة من الأرزاق المسروقة . الموت لها !
(يبني القاضي الثاني عن وجهه فإذا به النقيب)

سيمون : سيد النقيب *

(يخرج قاض ثالث من النزل ويقوم بالمراسيم ذاتها) *

: صوت العظيم : لأنها رفعت يدها على مدينة باريس ومدتها إلى مخزونات الوقود . الموت لها !

(القاضي الثالث هو المعلم) *

سيمون : ولكن يا سيد هنري إنما تحكمون علي أنا !

- (يومي ، المعلم أيام العجز المشهورة) ثم يخرج قاض رابع من النزل ويؤدي المراسيم

: صوت العظيم : لأنها عملت على توحيد جميع الفرنسيين . الموت لها !

يضغط القاضي الرابع على كتابه ضغطاً شديداً التشنج بحيث يسقط الكتاب على

الأرض فيفتحي بعرارة لالتقاطه فيكتشف ، وإذا به العدة) *

سيمون : العدة ذاته . آه ، سيد شافيز !

: الصوت العظيم : نطق قضاتك العظام بحكمهم يا « جان » *

سيمون : ولكن هؤلاء جميعاً فرنسيون . (لعامل العلم) الامر خطأ *

عامل العلم : لا يا آنسة المحكمة فرنسية حقاً *

(يقف القضاة الأربع في مدخل الفتنة) *

العدة : ولكنك تعلمين جداً ، وذلك مكتوب في كتابك من غير شك ، أن العذراء حكم عليها

قضاة فرنسيون . وهذا طبيعي لأنها فرنسية *

سيمون : (مضطربة) صحيح . أه يحكم علي بالموت كنت أعلمه وهو مكتوب في كتابي *

ولكنني أود لو أعلم لماذا ؟ هذا ما لم أفهمه جداً *

العدة : (للقضاة) تطلب أن تجري مرافعة *

النقيب : ما نفع المرافعة بعد صدور الحكم *

العدة : على الأقل نجري في المرافعة تحقيقاً ، نستمع إلى المتهمة ، نناقش ، نزن .

العقيد : اتفصح أن ما نزنه بالغ الغفة (هازاً كتفيه) أما إذا كنتم تعرصون على ذلك ...

المعلم : نحن بالطبع غير مهتمين بذلك *

(يشارعون في مشاورات خافتة . همس . يخرج العم غاستاف طاولة إلى الفتنة)

ويضع عليها صحوناً وشمعدانات . يجلس القضاة إلى الطاولة) *

العم غاستاف : النازحون يقفون في الخارج وينتظرون أن يشهدوا المرافعة *

المعلم : غير ممكن فانا أنتظر أمري . وهي تقول أن رائحتهم كريهة *

النقيب : (للخلف) ستجرى المرافعات في جلسة سرية حرضاً على المصلحة العليا للدولة *

المعلم : وزين الملفات ؟ ضاعت ولاشك في القوضى . لا عجب فنحن في فرنسا *

العدة : لكن من المدعى *

(ينظر القضاة بعضهم إلى بعض) *

العمدة : القضية غير مقبولة قانونيا بدون ادعاء .

المعلم : عم غستاف ، هات مدعيا ، انذهب وأحضره من المؤمن المدحرة .

العم غستاف : (ينذهب ويلبي أمام البوابة ويصرخ باتجاه الطريق) ان المحكمة الكنسية العليا في روان تدعو كل من له شكاية على العبراء ان يمثل لعرضها . لا أحد ؟ (يكرر نداءه ثم يتوجه بالكلام الى القضاة) حضرت للادعاء الملة الوالدة ايزابو من شيعة الدوق دي برغوني ومن شيعة العدو المتوازن .

السيدة سوبو : (تخرج من النزل بلامتها وتعيي القضاة الذين ينتظرون انتقام عظيمة) وعلى عادة ربيات الفنادق المقتدرات . تبسيط كل ما لديها من مظاهر العفاوة المهنية)

مساء الخير أيها النقيب . ايق جالسا . أرجوك لا تزعج نفسك . « من فوق كتفها باتجاه النزل) واحدة الزاس - نورين حلوة للسيد النقيب . وأنت يا أمير الجيش كيف تحب أن تقبل لك فلاحيك . أيها العقيد هل نال الطعام رضاك هذه المرة ؟ » باشارة نحو سيمون كان يمكن انقاد كل شيء لو لم تعني عندها أورليان هذه لتفسد مقاوضاتنا . من يأمر هنا : الكنيسة أم خادمات الفنادق . (تأخذ في الزعاق كمن أصابه كلب) أطلب أن يصار إلى تنفيذ الاعدام فوراً في هذه المخلوقة بجرم المروق من الدين والعصيان ، وائليل إلى المبادرة الشخصية . يجب أن تقطع رؤوس ، يجب أن يراق دم ، يجب أن تسحق هذه العشرة في الدم ، يجب أن يجعل من العقاب الدامي عبرة لمن اعتبر . (مجده) عاودتني نوبات الترس .

النقيب : هات مقعدا للسيدة الوالدة .
(العم غستاف يحمل مقعدا)

المعلم : أليست الدرع شديدة الضيق عليك يا أمي . على كل حال لم تلبسين لأمتك يا أمي ؟

السيدة سوبو : وانا أيضا أباشر العرب .

المعلم : آية حرب .

السيدة سوبو : حربي ضد هذه العبراء المتمردة التي أثارت نازحي المدرسة .

النقيب : (يعفاف) صه (سيمون) في الواقع باي حق جررت - الفرنسيين الى العرب أيتها العبراء ؟

سيمون : أمرني الملائكة بذلك أيها الاسقف النبيل .
(ينظر القضاة بعضهم الى بعض)

المعلم : عجبا ملائكة ! ومن أي نوع هو ؟

سيمون : ملاك الكنيسة الذي على يسار المذبح .

النقيب : لم أره قط .

- العمدة : (متودداً) وكيف كان ذلك الملوك ياسيمون ؟ صفيه لنا .
سيمون : كان فتى وكان جميل الصوت يامولي ، كان يقول لي . ان على ان ٠٠٠
العقيد : (مقاطعاً) ما قاله لك لا ينطوي على آية فائدة مطلقاً . الأولى أن تقولي لنا بآية
لهجة كان يتحدث . كان يتكلم كما يتكلم الرجل المشقق أم غير ذلك ؟
سيمون : لا أعلم . كان يتكلم كما نتكلم .
النقيب : آها !
المعلم : وكيف كان لباسه ؟
سيمون : كان جميلاً بلباسه . قماش بذاته يكلف المتر الواحد منها من عشرين إلى ثلاثين
فرنكًا في « تور » .
النقيب : ان كنت أحسن الفهم ياسيمون او ياجان لا فرق ، فإن الملوك لم يكن من هؤلاء
الملائكة العظام ذوي الجلاله الذين يبلغ ثمن المتر من كستانهم من مائتين إلى
ثلاثمائة فرنك ؟
سيمون : لا أدرى .
العقيد : كيف كانت حال بذاته ؟ لاشك أنها رثة ؟
سيمون : تهرات قليلاً عند المرفق .
العقيد : آها . تهرات عند المرفق . ذلك ولاشك لأنها كانت تستخدم للعمل أيضاً . أليس
ذلك ؟ وهل كانت مشقوبة فوق هذا ؟
سيمون : لا ، مشقوبة لا .
النقيب : لكنها كانت متهرة على كل حال . لا شيء يثبت أن الكم لم يكن في الموضوع
المتهري ، مشقوبة ، باليها بسبب الشغل . لعل ذلك لم يكن يلحظ لأن اللون قد
تقشر في هذا الموضع بالذات . على كل حال هذا ممكن . ماذا تقولين ؟
(تسكت سيمون)
العقيد : هل كان يقع للملوك أن يقول أشياء لا يمكن أن يقولها إلا رجل ذو منزلة رفيعة ؟
فكري جيداً .
سيمون : بل انه كان يتكلم كلاماً عاماً .
العمدة : هل كان الملوك شبيهاً بأحد معارفك ؟
سيمون : (بصوت خفيض) باخري اندرية .
العقيد : اندرية ماشار العسكري صنف ثان . أيها السادة الآن عرفنا كل شيء . ملوكها من
نوع خاص . هذا أقل ما يقال فيه .
السيدة سوبو : ملك حانة وخديعة ، ملك متسلع ، على كل حال عرفنا الآن من أين هذه الاصوات ،
انها تنبئ من الخمارات والمزابل .

سيمون : حرام عليكم أن تسبوا الملائكة أيها الأساقفة والكرادلة النبلاء .
 العقيد : ألا تعتقدن إننا نحن كرادلة فرنسا ، أعلم بما يريد الله من ملائكة متشرد لا يبيته .
 سيمون : في ضيق شديد تنظر إلى القضاة والذين يبتسمون . ثم تترقص وتأخذ بضرب الأرض .
 ضربة مجتنا . ومع ذلك لا يسمع صوت الضرب ويقلل سطح المراقب حاليا . إنها
 لا ترد الجواب هاهنا ، ما بها ؟ لا ترد الجواب ؟ أرض فرنسا لم تعد ترد الجواب !
 ها هنا لا ترد الجواب .

انسيدة سوبو : (تنتقل إلى قربها) ولكن أتعلمين من فرنسا ؟

(٢)

صباح ١٩ حزيران . فوق البوابة علم فرنسي منكس وعليه إشارة العداد . جورج
 وروبير والعلم غستاف يصفون إلى موريis وهو يقرأ جريدة يعطيها إطاراً أسود .

موريis : يقول المارشال أنه طلب هدنة تحفظ الكرامة .
 العمغستاف : هذا عزاء جميل .
 موريis : بالفعل يقول المارشال أيضاً . إن ليس على الشعب الفرنسي بعد الآن إلا أن يلتئم
 حوله وكانه بازاً أبي القائلة . يجب إعادة النظام والانضباط .
 العمغستاف : أقدر ذلك . انهى اندريه القتال وسحبوا سلاحه من يديه وسيتكلّلون الان بافهمامه
 معنى الانضباط .

جورج : من حسن الحظ أن سيمون ذهب .
 « يخرج من النزل القائد الألماني من غير قبعة ومن غير نطاق وهو يدخن سيجارة
 الصباح . يستعرض العازريين يتلهون ثم يتوجه متراخيًا نحو البوابة . وهناك يلقي
 نظرة سريعة حوله . يعود على أعقابه ويدخل النزل مستعجلًا الخطى . »

العمغستاف : من البداية كره هذا الرجل أن تكون له علاقة بطفولة .
 جورج : في الحقيقة أني أتعجب لفරارها . كانت تصر دائمًا على البقاء هنا مهما يحدث .
 لابد أن شيئاً ما أزعجها فجأة فلم تتردد في الهرب من كوة غرفة الغسيل .
 (يخرج المعلم من النزل وهو يفرك يديه) .

المعلم : موريis ، روبيير أفرغا صناديق الغزفيات والفضييات . (خافضاً صوته بعد أن ألقى
 نظرة حوله) . على كل لن أسائلكم ان كان أحد مستخدمي النزل قد ساعد في

عملية هرب حدثت هذه الليلة . قد كان ما كان . بل اني اذهب الى القول ان ما حدث لم يكن أسوأ العلول لأن هناك خطرا حقيقيا فالامان ليسوا وحشة ومعلمكم في الواقع يعرف كيف ياخذهم . ولقد قلت صباح اليوم أثناء الفطور للسيد القائد هذا غريب ؟ قبل الاعلان او بعد الاعلان ما أهمية ذلك ؟ انها طفلة ؟ ما حيلتنا ؟ انها ضعيفة العقل ؟ وحالتها من اختصاص علم النفس المرضي ؟ رأت الدبابات فقالت في نفسها : يجب ايقافها . يجب تدمير كل شيء . وفورا تهرب الى أعواد الشتاف . فالأولاد يعبون دائمة اللعب بها . اهو اعتداء ، او قضية تمس الدولة ؟ أبدا . ما هي الا مزحة صبي . نعم ؟

جورج : (ناظرا الى الآخرين) كيف مزحة صبي ؟

المعلم : لقد كنت اقول ذلك أيضا لأمي : انها طفلة .

جورج : طفلة كانت الشخص الوحيد هنا في النزل الذي قام بواجبه . ولم يرفع أحد سواها اصبعه . هذا ما لن تنساه سان مارتن ياسيد هنري .

المعلم : (غاضبا) أنت ، الافضل لكم أن تقوموا بواجبكم وان تفرغوا الصناديق وبالنسبة الى فانا احمد الله ان هذه القضية انتهت بسلام . وانا قانع ان السيد القائد لن يتتوسع في تحقيقاته بالنسبة الى سيمون . والآن هيا الى العمل . فالعمل هو ما تحتاج اليه فرنسا المسكينة قبل كل شيء . (يخرج) .

جورج : يحس المرء بالارتياح على طول الخط . فهى ليست هنا .

موريس : وبالطبع فليس لهذه القضية أية علاقة على الاطلاق بالوطنية او باى شيء آخر من هذا القبيل . والا لكان الأمر محاجة لهم . « ليس الامان وحشا » كان الاستعداد يجري للقيام بمبادرة طيبة ولتسليم الامان الوقود الذي حرم منه جيشهم ولكنهم فوجئوا بالرعاع يدسون أنوفهم في ذلك كله ويتعاطون الوطنية . (ينقبل العمدة من البوابة شاحبا لا يريد السلام . يدخل الى النزل)

العمدة : (ملتفتا) هل هناك حرس أمام شقة السيدة سوبو ؟

العمغستاف : لا ياسيد شافر (يتوارى العمدة) .

العمغستاف : ما جاء الا لأن الامان يطلبون أن تخل بناحة المدرسة من النازحين . الا اذا كانت السيدة سوبو هي التي تتطلب ذلك .

روبي : انهم يعيدون النظام والانضباط .

العمغستاف : ياموريس : فيما يتعلّق بسيمون يجب أن يكون العريق ناشئاً عن غفلة لأن مؤسسة التامينات تدفع في هذه الحالة . هذه أمور ليس من عادتهم تسليمانها .
 (تبدو سيمون في فتحة البوابة بين جنديين ألمانيين ركباً العربة في البندقية .)

جورج : سيمون ماذا أصابك ؟

سيمون : (تقف شديدة الشعوب) . أردت أن أمر على نازحي المدرسة مرة أخرى قبل أن أذهب .

دوبير : لا حق لك في الخوف فلن يفعل الآلان بك شيئاً .

سيمون : لقد قالوا البارحة مساء، أثناء الاستجواب أنني يجب أن أسلم إلى السلطات الفرنسية .

جورج : لم هربت أذن ؟

(لا تجيب سيمون .) يدفعها الجنديان إلى داخل النزل .

موريس : الآلان أذن لا يعتبرون القضية منتهية . السيد هنري مخطىء . (يدخل من البوابة السيد ماشار والصيّدة ماشار في بزة مستخدم بلدي)

السيد ماشار : هل أتوا بها . شيء رهيب . السيد ماشار خرج عن طوره لأن الأجرة استحقت في هذا الوقت بعينه فحسب بل إن ما يعتبه هو الغسل . قدرت دائمًا أن الأمور ستنتهي على هذا الشكل . فعندي تقضي طفلاً وقتها في قراءة الكتب فإن الكتب ستقلب لها رأسها ففي السابعة من هذا الصباح دق الباب فإذا الآلان في الفنان . قلت لهم . يا سادة إذا لم يعش على ابنتي لأن مصيبة حلت بها ، لا شيء سوى هذا يجعلها تغادر النزل . وقع العريق أم لم يقع . إلا إذا كان ذلك بسبب أخيها .
 (يخرج المعلم من النزل)

المعلم : كلفتني ابنتك كثيراً ياسيد ماشار . كلفتني مائة ألف فرنك . ثم أنها هدت أعصابي . وهذا ما لم أضعه في قائمة الحساب .

(تخرج الصيّدة سوبو من النزل . تمسك بقبضتها الشديدة على سيمون من ذراعها وتعبر بها الفنان صوب المخزن يرغم ترددها ويتبعها العمدة والنقيب . ثم يغيب الاربعة في المخزن يراقب الذين في الفنان المشهد بدھشة)

العمدة : (عند باب المخزن) ياماشار اذهب إلى المدرسة واعمل على أن يتم الأخلاص في هذه . أوضح للنازحين أن الآلان بحاجة إلى الأماكن (يتوارى في المخزن) .

السيد ماشار : نعم يا سيد العمدة .

(يتصرف السيد والصيّدة ماشار بوقار)

دوبير : ماذا ينونون أن يفعلوا بها في المخزن ؟ ماذا سيصيّبها ياسيد هنري ؟

المعلم : لا سالوا كل هذه الأسئلة . فمسؤوليتنا منهكة . هفوة واحدة ويطير النزل .
السيدة سوبو : (تعود من المخزن ومعها سيمون تتبعها والنقيب) - أيها السيد العمدة ، أعتقد
أنتي قدمت لك الان الدليل المحسوس على أنها تركت المخزن مفتواحا ، وقد كان
يحتوي ، فيما يحتوي من محفوظات على خمور ممتازة قيمتها خمسون ألف فرنك .
اما كم صندوقا اختفي من جرا ، ذلك فما علينا الا تصورها . وانما أعطتني المفاتحة
بحضورك لكي تغشني (تلتفت الى سيمون) قلت انت ذهبت نفسك الى المدرسة
تجرين السلل الملائى بالمؤونة . فكم قبضت ثمنا لذلك ؟ وأين هذا المال ؟

سيمون : لم أقبض شيئا ياسيدتي .

السيدة سوبو : لا تكذبي . وهناك ما هو أسوأ أبدا . ففي صباح اليوم الذي سافر فيه هنري .
هذه الرعاع من النازحين لأنه شاع بينهم أن السيارات سترسل الى مكان آمن .
انت التي أشعست هذا الغبر ؟

سيمون : أخبرت بذلك السيد العمدة ياسيدتي .

السيدة سوبو : ومن كان في مكتب العمدة عندما أخبرته بذلك ؟ نازحون ؟
نعم على ما أعتقد .

سيمون : آه . تعتقدين . وعندما جاء الرعاع الى النزل فماذا نصحتهم أن يفعلوا بمحفوظات
الفندق الذي أنت مستخلمة فيه ؟

(لم تفهم سيمون سؤالها)

السيدة سوبو : أشرت عليهم أم لا بأن يأخذوا كل ما يشاؤون ؟
سيمون : لا أدرى يا سيدتي .

السيدة سوبو : صحيح .

العمدة : ولكن ما قصدت من ذلك كله ياسيدتي ؟

السيدة سوبو : من كان أول الطاعمين من المحفوظات ياسيمون ؟ أبواك طبعا . وقد تناولوا كمية
حسنة منها .

روبير : هذا لا يطاق . (للسيدة سوبو) أنت نفسك وضعت العلب في أيدي أبويها وما
كانا يطلبان شيئا .

جورج : (في الوقت نفسه) أنت نفسك وضعت مدخرات النزل تحت تصرف السيد العمدة .
العمدة : هذا صحيح ياسيدتي . تذكرى ذلك .

السيدة سوبو : (من غير أن تضطر لما يقولون ، لسيمون) تكشفت عن نamaة كاذبة خارجة عن
الطاعة وعلى أثر ذلك صرفتك من الخدمة فهل انصرفت كما أمرتك ؟

سيمون : لا ياسيدتسي .

السيدة سوبو : وبدلا من ذلك ظللت تتسلعن في النزل ثم أحرقت معمل الاجر انتقاما لصرفك من الخدمة أليس صحيحا ؟

سيمون : (منفعلة) لكني فعلت ذلك ضد الامان .

روبيير : كل سان مارتان تعلم ذلك .

السيدة سوبو : نعم ، ضد الامان ! ومن قال لك أن الامان سيعلمون بأمر هذا الوقود ؟

سيمون : سمعت السيد النقيب يقول ذلك للسيد العمدة .

السيدة سوبو : تماما .. سمعت أنا نريد الإعلان عن هذا الوقود !

سيمون : نعم ، كان السيد النقيب يرغب في ذلك .

السيدة سوبو : واذن فقد أحرقت الوقود فقط كي لا تسلمه . هذا بالضبط ما أحببت أن أسمعه منك .

سيمون : (يائسة) إنما فعلت ذلك لأوجه ضربة للعدو . فقد كانت الدبابات الثلاث في ساحة البلدية .

السيدة سوبو : وترىدين أن توهمنا أن هذا هو العدو بالنسبة إليك ؟ ألم يكن العدو إنسانا آخر ؟

« تبدو في الباب راهبات يصعبهما شرطي »

العمدة : عم تبحث يا جول ؟

الشرطي : هاتان الاختان تعيشان وفق القانون الصارم لرهبنة (سانت ارسول) .

النقيب : اتصلت هاتفيه بماوى « سانت ارسول » باسمك ياشافز (للراهبات) أيتها الاختان هذه هي سيمون مشار .

العمدة : وبأي حق ... ؟

النقيب : لن يكون في نيتك على كل حال ياسيد شافز أن ترك سيمون تنتقل بحرية .

(بلهجة) ان لضيوفنا العق في ان ينتظروا منا على الاقل أن تظهر « سان مارتان » من العناصر التي تشكل خطرا عاما . ولا يبدو عليك انك فكرت طويلا في الخطبة التي القها مارشالنا المكرم . فرنسا تمر بمرحلة المخاطر . وعليينا يقع عبء ابادة بذور العصياني التي هي شديدة العدوى . بورة من نوع سيمون كافية لأن تدعى « سان مارتان » .

موريس : آه ، وعليينا نحن أن نقوم بهذا العمل القذر لمصلحة الامان ! وننقوم به برضانا ؟ أليس كذلك ؟

السيدة سوبو : (باردة) ومن الطبيعي ابني ساذب الى تور . لاحصل على اذن النيابة العامة في نقل سيمون . فسيمون أحرقت المعمل ، وهو ملك النزل ، لدوافع شخصية دينية .

جورج : سيمون دوافع شخصية .

العمدة : « مهزوزاً » ولكنك تتعاملين كثيراً على هذه الطفلة .

روبير : (مهدداً) من الذي يريد أن ينتقم هنا ؟

المعلم : لا تعذبوا بعث الموضوع من جديد . سيمون فاقرة . وستوضع تحت اشراف الراهبات . هذا كل شيء .

موريس : (ساخطاً) تحبسونها في سجن « سانت ارسول » !

سيمون : (تصرخ) كلا .

العمدة : سيمون ، لماوى « سانت ارسول » مع المعتوهين ؟ مؤسسة التعذيب النفسي هذه ، لهذا الجحيم ؟ أتعلمون أنكم تحكمون عليها بموت مؤكد ؟

موريس : (مشيراً إلى الراهبات بوجهيهما القاسيين) تطلعوا اليهما (يظل وجهها الراهبتين جامدين كأنهما قناعان)

جورج : كان من الأفضل لكم لو تركتم الآلان يعلمونها .

سيمون متسللة : هناك أيها السيد العمدة حيث يضربون الانسان حتى يتورم رأسه ويُسْبِل اللعاب من فمه . هناك حيث يربطون الانسان من يديه ومن رجلية .

العمدة : (بقوة) ياسيدة سوبو ، سأشهد أمام المحكمة في تور وساين الدوافع الحقيقة لهذه الطفلة . كوني مطمئنة ياسيمون . فكل الناس يعلمون أنك تصرفت بدافع الوطنية .

السيدة سوبو : (منفحة) آه حارقة البترول الصغيرة تتغول إلى يطل قومي . وهذا هو المخطط الذي تصورتموه ؟ تم انقاد فرنسا ؟ اذ أشعلت فيهار النار . هاهي ذي الدبابات الالمانية وتلك هي سيمون ماشار ابنة خادم المزارع .

النقيب : ليس ماضيك ياسيد شافز من المكانة التي تتيح لقضاء الدولة الفرنسية الجديدة أن يعبروا شهادتك كبير وزن ، على كل حال ، الطريق من هنا إلى « تور » أصبحت محفوفة بالخطر لناس من شاكلتك .

موريس : (بمرارة) اتضح كل شيء الآن . انهم يريدون تبييض سمعة سان مارتان من شبهة مريبة وهي أن يكون هاهنا فرنسيون !

السيدة سوبو : فرنسيون ؟ (تقبض على سيمون وتهزها) تريدين أنك تعلمنا الوطنية ؟ إن آل سوبو يديرون هذا النزل منذ مائة عام . (للجميع) أتريدون أن تروا وطنيا ؟ (تشير إلى النقيب) هذا أحد الوطنين . نحن في الوضع الامثل الذي يتبع لنا أن نقول لكم متى تكون الحرب ضرورية وممتى ينبغي أن نؤثر السلم . أتريدون أن تعملوا شيئاً فرنسا ؟ طيب . نحن فرنسا . مفهوم ؟

النقيب : لا تحتملي ياماري هات سيمون إليها السيد العمدة .

العمدة : أنا ؟ يبدو لي أنك استوليت على السلطة هنا (يستعد للانصراف) .

سيمون : (جزعة) لا تنصرف يا سيدتي العدة .
 العمدة : (عاجزاً) ليكن رأسك مرفوعاً أبداً يا سيمون ! (يذهب وهو يتربح وقد هد هداً)
 السيدة سوبو : < بعد صمت ، للنقيب > ضع حداً لهذه الفضيحة يا هونوري !
 النقيب للشرطى : انتي احمل مسؤولية ذلك كاملة . (يمسك الشرطى بسيمون)
 سيمون : (بهدوء وهي في أشد جزعها) لا ، لا تاخذونى الى سانت اورسول .
 روبيير : القذرون (ينوي الانقضاض على الشرطى)
 موريين : (يوقفه) ايak والعمادة يا روبيير . فنحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً لها . ان لهم
 شرطتهم ومعهم فوق ذلك الامان . مسكنة سيمون . كثراً الاعدا ، عليها كثرة لاتطاق .
 السيدة سوبو : سيمون ، اذهبى واحملى متاعك .
 (تنقل سيمون نظراتها حولها . يظل أصدقاؤها ساكتين ، مطرقين . تدخل شاردة
 الى المخزن) .
 السيدة سوبو : (تشرح الأمر بهدوء للجميع ولكن الكلام يتوجه خاصة الى المستخدمين) هذه طفلة
 كبيرة الرأس ، وهي غير مؤهلة . لأن تعرف بآية سلطة من أي نوع . وقد وجدنا
 أنفسنا ملزمنا أن نربيها على احترام النظام والطاعة .
 (تعود سيمون ومعها صرة صغيرة ووزرتها على يدها . تعيد الوزرة الى السيدة سوبو)
 السيدة سوبو : والآن افتحي صرتك لنرى كل ما أخذته من عندنا .
 المعلم : لهذا ضروري يا أمي ؟
 (تفتح احدى الراهبتين الصرة وتسحب منها كتاب سيمون)
 سيمون : لا . لا تاخذني الكتاب : (تناول الراهبة الكتاب للسيدة سوبو)
 السيدة سوبو : هذا الكتاب ملك النزل .
 المعلم : أنا أعطيتها أيام .
 السيدة سوبو : للنفع الذي جنته منه (لسيمون) سيمون ودعني موظفي النزل .
 سيمون : وداعاً يا سيد جورج .
 جورج : كوني شجاعة يا سيمون .
 سيمون : اطمئن . يا سيد جورج .
 موريين : اعتنى بصحتك جيداً .
 سيمون : نعم يا موريين .
 جورج : لن أنسى ابنة عمك .
 (تبتسم سيمون له . ترفع يصرها الى سطح المراقب . يقل الضوء ويختت وجهه .
 موسيقى تعلن تجلی الملائكة . تنظر سيمون أبداً الى سطح المراقب وتشهد الملائكة) .

الملائكة : يا بنت فرنسا لا تخافي . ليس بين أعدائك من هو خالد . واليد التي رفعوها عليك
سترتد يابسة عما قريب . لا تبالي أينما اقتادوك . فعبيثما تكوني تكون فرنسا .
فرنسا التي ستبعث عما قريب في كل بقائها .
(يختفي الملائكة . وتضيء خشبة المسرح من جديد . تمسك الراهبات سيمون من
ذراعها تقبّل موريس وروبير . تقتاد . ينضر الجميع إلى المشهد بصمت) .
سيمون : (تتعجب بياس عند البوابة) كلا . كلا ! لنذهب ! ساعدوتني ويعكم ! لنذهب
إلى المأوى ! اندرية ! اندرية ! (يسبعونها)

السيدة سوبو : نوبات النقرس ياهنري .
المعلم : (متوجهة) موريس ، روبيير ، جورج ، عم غاستاف ، إلى العمل ! الآن زمن السلم
لا تنسوا .

(يرافق المعلم والنقيب السيدة سوبو إلى التزل . يخرج موريس وروبيير من البوابة .
يدحرج العم غاستاف إطاراً عبر الفناء . يتفحص جورج ذراعه المتشلولة . بدأ
السماء تصطبح بلون أحمر . ينبه العم غاستاف جورج إلى ذلك . يسرع المعلم
إلى الخارج .

المعلم : موريس ! روبيير ! ابحثا لي فوراً عما يحترق . (يبتعد)
العم غاستاف : هذه باحة المدرسة . النازجون ! هذا يثيرهم ، كانوا ...
جورج : من المؤكد أن العربية لم تصل إلى سانت أورسول ، بعد . وفي هذه الحالة تستطيع
أن ترى ذلك من نافذتها ، سيمون ...

انتهت

ستار

مع الكتاب

قصص من بلغاريا

أبو الفتح محمد اديب عزت

ثمة قول فرنسي ماثور :

« اصدار صحيفة يعادل افتتاح مدرسة » .. ومن هنا يمكن القول أيضاً :

ترجمة كتاب أدبي هام من لغة إلى لغة يعادل إضافة قنديل ، فتح نافذة للشمس والضوء والغاية ، واضافة تير ، تشيري وتفتح آفاقاً جديدة ، ودرباً جديدة تشق ..

وليست الترجمة بالعمل السهل ، فان الشاعر الروسي الكنسندر بوشكين كان يقول :

الترجمة ؟ انها من أصعب الفنون الأدبية على الاطلاق ..

و .. تحتاج الترجمة كما هو معروف إلى ثقافة فسيحة عميقه ، وإلى مقدرة لغوية وفنية ، كما تتطلب الكثير من جهد المترجم بالارتفاع إلى مستوى الكاتب أو إلى التجانس فيما .. بينهما بالروح الفني والمفهوم الأدبي والانساني إضافة إلى بذل جهد ليس ضئيلاً بالتأكيد بل شاقاً ومجهداً من أجل الوعي الكامل للنص

ولروحية الكاتب وشخصياته دون اغفال أسلوبه وكلماته المختارة والعزيزية على الكاتب والتي تمثل فيما تمثل شيئاً لصيقاً به ..

وثمة أيضاً للترجمة الى جانب ذلك ، ومع كل ذلك هدف نبيل آخر ، ولنستمع معاً الى بيوتر فيازمسكي ، يشرح الدوافع والأسباب التي حدثت به الى ترجمة رواية ادولف من تاليف بنيامين كونستانس .. يقول الشاعر الروسي المترجم فيازمسكي : اذا تركنا جانبنا ، رغبتي بتعريف القارئ الروسي الى هذه الرواية ، فقد كان لدى أيضاً هدفي الخاص أن أدرس ، أن أعمم عود لفتنا ، أن أدرها بل أسرها لاكتشاف مدى ما تستطيع تحقيقه في ميدان الاقتراب من لغة أجنبية ، بطبيعة الحال دون تشويها ، دون وضعها على سرير بروكست ..

وبروكست هو قاطع الطريق المشهور في آتيك اليونانية القديمة الذي كان يعترض درب المسافرين فيجردهم مما يحملون ثم يمددهم على سرير من حديد فما تجاوز من أطرافهم طول السرير قطعه ، وما كان أقصر من السرير شده ومطه الى أن ظفر به البطل تيزي فعرضه لنفس العذاب والعقاب ..

ولعل العديد من المתרגمين في وطننا العربي انما يضعون الآثار الأدبية التي يترجمونها على سرير بروكست ، فيتصرون بالأش الأدبي المترجم تصرفات شتى من حذف أحياناً ومن اضافات ليست موجودة بالنص أحياناً .. وقلة من المתרגمين العرب يقومون بدورهم في الترجمة بدقة وأمانة وبوعي لأهمية وخطورة دور الترجمة ..

وفي مكتبة الآداب الأجنبية كتاب أدبي مترجم جديد ، ويحمل الكتاب اسم قصص من بلغاريا ٣١٨ صفحة قطع عادي .. قام بترجمته عدد من الأدباء العرب السوريين ، الذين سبق لهم وأن ترجموا آثاراً أدبية دون أن يمددوا ما ترجموه على سرير بروكست وهم الأساتذة :

ميخائيل عيد ، وليد داؤد ، حسين راجي ، خيري الذهبي ، علي كنعان ، وليد القوتلي ،

و .. قد صممت غلاف الكتاب الفنانة التشكيلية الشابة سمر موسى باشا

كما يضم الكتاب دراسة جادة عن القصص المترجمة ، وعن القصة البلغارية كتبها د. أحمد سليمان الأحمد الشاعر والمنظر المعروف ورئيس تحرير الأداب الأجنبية .

ولقد بدأت قصص كتاب قصص من بلغاريا بترجمة قصة « بلغارية » د. الكتاب الكلاسيكي الكبير إيفان فازوف ١٨٥٠ - ١٩٢١ وترجم القصة ميخائيل عيد ووليد داؤد ويتحدث الكاتب في هذه القصة عن نضال الناس العاديين بالبطء عن نضال جماهير الشعب البلغاري في فترة النهوض القومي في بلغاريا ونقرأ في القصة عن اضطهاد الاستعمار التركي آنذاك لفقراء الشعب عبر بطلة القصة العجوز إيلتسه د. التي تحمل حفيدها المريض لتذهب به إلى الامير، وتلتقي وهي في طريقها إلى الدير :

« حين اجتازت غابة البلوط لتهبط نحو إيسكرا : « خرج إليها فتى في ثياب غريبة مشدودة وشرائط على صدره وبارودة . وكان وجهه شاحباً منغطف اللون ، الخبز يا جدتي ! أموت جوعاً ! » قال لها وهو يعترض طريقها ، تذكرت حالاً : « انه من الذين يطاردونهم الآن .. »

وتعطيه بعض الكسرات اليابسة المتبقية في أسفل الحقيقة ويسأله ان كان بإمكانه أن يختبئ في هذه القرية فتخشى عليه من الأعداء وتطلب منه : « اختبئ الآن في الغابة يابني فقد يراك أحد ، وانتظر عودتي الليلة ، سأراك هنا ، سأجلب لك الخبز وبعض الملابس الأخرى ، بهذه الثياب لا يجوز أن تبقى ،

وتذهب إلى الدير ومعها الطفل في حالة سينية ، وتأخذ من الراهب خبزاً وتنطلق بسرعة نحو إيسكرا حيث ينتظرا المتمرد ، وتعاني الكثير في طريقها إليه فهي بحاجة إلى عبور نهر إيسكرا ، ولللوصول تبحث عن صاحب الزورق فلا تجده وهي لا تعرف أن تقود الزورق لوحدها ، ومع ذلك تخاطر وتقود الزورق ومعها الطفل المريض ، و تستطيع بمشقة أن تصعد وتذهب إلى الغابة . وتعطي المقاتل ما حملته معها من خبز ، وفي الطريق يكاد يموت الطفل من المرض والعذاب ، وتمر الأيام ويجيء الانتصار ، ويختم المؤلف قصته :

« ماتت إيلتسه منذ زمن بعيد ولكن الطفل نصف الميت قد عاش ، وهو الآن مشوّق قوي البنية برتبة عقيد ، حين روت له المرحومة جدته هذه الحادثة قالت له أنها مؤمنة بأن الفضل في شفائه لا يعود لصلوات الراهب بقدر ما يعود للجميل الذي لم تستطع فعله ، والذي رغبت في أن تفعله بكل جوارحها ، وفي قصة الجد يوتسو يموت يوتسو بعد حياة طويلة عاشها وهو يشهد بلاده تنطلق بعد كفاح دام من ، وبعد أن ظل طويلا يقف على صخرة من الصباح إلى المساء يصفي إلى الضجة والانفجارات وضربات المعاول وتدحرج العربات والعركة والضجيج المختلط للعمل الضخم . وذات مساء لم يعد الجد : « لم يعد الجد يوتسو ذات مساء . خرج ابنه مع الفجر ليبحث عنه فوق الصخرة ، ظن أنه قد وقع في الهاوية ، ولكنه وجده ميتاً هناك والقبعة في يده . لقد مات الجد يوتسو وهو يعيي بلغاريا الجديدة ص ٣٥ . »

وفي قصة مربي الدببة تأليف بيتكو يودروف ترجمة حسين راجي يعكس الكاتب قصة فولكلورية عن الجدة تسينا . وفي قصة خطيئة إيفان بيلين تأليف يوردان يوفكوف ترجمة ميخائيل عيد . نلتقي بایفان بیلين الذي يعبّر أن يتأمل كل شيء بأمعان ونتعرف على حياته مع الرعاة والفتىان ونلتقي بنماذج عديدة من الريفيين الانقياء في حبهم وكرههم وحياتهم الشعبية البسيطة . وفي قصة على الأسلاك ليوردان يوفكوف ترجمة ميخائيل عيد نتعرف إلى حياة بيتر موكانين ورفاقه في القرية وعداياتهم بحيث لا نملك إلا نظر معه إلى السماء ونهاه معه :

الهي ، كم من الألم في هذا العالم يا الهي ! ص ٦٥

وتتابع قصص الكتاب :

أندريشكو تأليف إيلين بيلين ترجمة ميخائيل عيد
في العالم الآخر لنفس الكاتب وترجمة : نفس المترجم
موهيتان لجورجي استمتوف ترجمة : خيري الذهبي
كاراجاكار لجورجي رايتشيف ترجمة : حسين راجي
خدجية تأليف : ليودميلا ستويانوف ترجمة : حسين راجي
يوم بيوم تأليف : كونستانتين كونستانتينوف ترجمة : خيري الذهبي

أمام الصورة تأليف : جيورجي كاراسلاقوف ترجمة : حسين راجي
سترونا تأليف : آنجل كاراليتشيف . ترجمة : ميخائيل عيد
بعد الصيد تأليف : أميليان بستانيف . ترجمة : حسين راجي
خطيئة تأليف : أورلين فاسيليف . ترجمة : ميخائيل عيد
حدث في ليلة مظلمة . بافيل فيجينوف . ترجمة : خيري الذهبي
سيدة شابة (يونغ فراو) بوغوميل رينوف . ترجمة : خيري الذهبي
دروب . نيقولاي خايتوف . ترجمة : ميخائيل عيد
آنخن . إفайлلو بيتروف . ترجمة : علي كنعان
أزمنة ملحمية . يورдан راديتشكوف . ترجمة : وليد القوتلي
أشياء من حولنا . دونتشو تسونتشيف . ترجمة : علي كنعان

و .. نجد في كل هذه القصص تلك العقوبة لدى هؤلاء الكتاب البلغار، وذلك
الحس الانساني الصادق والتفاعل مع الأحداث وأفراح وأحزان الناس والمسكون
بهموم الوطن ونهوض الشعب ، وعبر معاناة واضحة في قصص هؤلاء الكتاب
والرموز في القصص بسيطة وواضحة ، ويختزل في قصص الكتاب حب الأرض بحب
الوطن والناس .. بحب المرأة الأم والأخت والرفيق والعبيبة وينصر هذا العب
بالإيمان بالعمل والإيمان ومواصلة النضال من أجل أن يزداد فرح الناس
وفرح الوطن ..

ويقول الدكتور أحمد سليمان الأحمد في دراسته لقصص الكتاب بشكل خاص،
وللقصة البلغارية بشكل عام . يقول في دراسته التي يختتم بها كتاب قصص من بلغاريا:

إن علينا ونحن أمام القصة البلغارية أن نوجه الانتباه إلى الاهتمام المتزايد بعالم
الأبطال الداخلي حيث تمتزج المشاكل المعنوية بالقضايا العivoية وبأبراز الظواهر
الاجتماعية في الحياة المعاصرة وقد أتاح هذا للكتاب الموهوبين أن يتوجلوا بمزيد
من العمق في نفسية انسان العصر وأن يكشفوا عن تعقد وتناقض في المواقف التي
تصرطع غالباً في النفس البشرية وعن غنى وتنوع التغيرات العميقة التي تقتضيها
الحياة في الطبيعة البشرية .

ويعد هؤلاء الكتاب إلى تجاوز الوصفية التقليدية ، والسلسل الزمني ،
ويطمحون إلى التحدث للقارئ بروح الألفة ، وهم لا يتجنبون الاتجاهات الاجتماعية
المختلفة أو الوجدانية التي تحفل بها الابداعات ، لا بل لهجة الموعظة ، ولكن بالضرب
على الوتر الاجتماعي وبنبرة شعرية .

وفي بعض الأحيان يكون التشديد على الاستهلال الوجداني في النثر تعبيراً عن
الحاجة إلى مزيد من الحرية في الألفة مع القراء ، وال الحاجة إلى قدر أكبر من الاستقلال
في الكشف عن وجهة نظر المؤلف .

وبات النش البلغاري المعاصر أكثر تنوعاً وأكثر مرونة وأقرب إلى الحياة في
الواقع ، وتحددت قضايا تمثيل الأشكال ، وقضايا الحقيقة العivoية في قالب جديد ،
دون أن يؤدي ذلك إلى فقدان فكرتها وأهميتها الاجتماعية العميقه . وهكذا تم
التوصل بشكل طبيعي طوعي إلى المسائل الهامة في الإنسانية الاشتراكية .

ويبقى هذا الكتاب المتميز «قصص من بلغاريا» كتاباً هاماً وفيه جهد واضح
ويظل مرجعاً لدراسة القصة البلغارية وتطورها وهمومها وآفاقها عبر مختارات
لأبرز كتابها وعبر الدراسة العميقه بعنوان «في القصة البلغارية» والتي كتبها
د. أحمد سليمان الأحمد في ختام هذا الكتاب ٠٠ الاضافة .



في المجالات الأدبية

مجلة لakanzin الفرنسية

وعدها الخاص عن النساء

إعداد : صلاح دهني

أصدرت المجلة الأدبية الفرنسية « لakanzin » عدداً خاصاً تحت هذا العنوان : « النساء » . كانت المهمة صعبة ، اذ لا يمكن لأي عدد من مجلة أن يعيب بكل ما تمثله المرأة : مهمتها ، دورها في العائلة وفي المجتمع ، الأمور المختلفة التي يُخصُّها لها مجتمع يدور فيه كل شيء حول العنصر المذكر ولصالحه . اقتضى الأمر أخيراً تجديد مجموعة كبيرة من الاختصاصيين في ميادين مختلفة ومتعددة : اقتصادية ، اجتماعية ، بيولوجية ، سياسية ، أدبية وحتى في ميدان التحليل النفسي ، فيما يأتي العدد موفياً على الغاية بنحو ما .

كان القصد كما تقول افتتاحية العدد ، فتح سبل للتفكير في الوقت ذاته الذي بدأ فيه تفكير النساء بأحوالهن يشكل مادة تستحق الاعتبار في المسار التاريخي

للمرأة ، أي في مسارنا التاريخي جمِيعاً . المرأة في زماننا تطالب بحقوقها بنحو لم يعرف من قبل ، وأقل ما تريده المساواة بالرجل . وحركات المطالبةأخذت شكلاً جماعياً وأحياناً عنيفاً هنا وهناك في العالم . مجتمعاتنا كانت أبوية ، السلطة فيها للرجل ، على هذا ربينا وكبرنا واعتبرنا الأم قدرأ ، والنسوة قبلن بالتبعية ووجدن فيها مجالاً للرضا . وما زالت النساء يكررن كلمة ماركس الشهيرة القائلة بأن تقدم الإنسانية يمر حتماً عبر تقدم المرأة . لكن بعضهن لا يكتفين بها لأنها في نظرهن تتضمن أن هذا التقدم عمل يتحقق الرجال ، في حين أن المرأة لن تتقدم إلا بالأعتماد على ذراعها !

بعضهن أيضاً ، في اعداد متزايدة على الدوام ، في أوربا وفي أمريكا ، لم يعدن يكتفين بالبقاء الأسئلة على المجتمع الأبوي ، لا يكتفين بما تحقق لهن الانتفاضات التي قد تقوم هنا أو هناك ، أو في هذا الميدان أو ذاك . انهن ينظمن الصفوف ، يعملن ، يتظاهرن ، وباختصار يفرضن على الجميع أن يأخذوا حركاتهن مأخذ جد . وبهذا بدأ العلاقات التاريخية بين المرأة والرجل تتعدل ، وتتغير .

ولدت التحركات الأساسية للمرأة في قلب المجتمعات الاشتراكية ، في الاتحاد السوفيaticي ، الصين . . . كذلك في الولايات المتحدة الأمريكية حيث بدأ انتاج أدب نسائي يطالب بالتحرر وبحق للمرأة بأن تمتلك جسدها وتتصرف به . ومن هذه النقطة تتبع بغزاره فائقة حقوق أخرى . . . وتساؤلات لا تنضب .

في مجال الخلق الفني والأدبي يتساءل العديد من المشاركين والمدارك في هذا العدد من المجلة : هل ترى يكتب الرجل بشكل يخالف الشكل الذي تكتب به المرأة ؟ لماذا وكيف ؟ الرجل والمرأة في مواجهة نص ما ، هل يخوضان فيه بصفة هذا رجلا ، وصفة تلك امرأة ؟ هل يعيان حاليهما أم لا ؟ ولللغة ذاتها في مجتمع أبي ، كيف خلقت ولصالح من ؟ ويكتفي أن نلقي سؤالاً كهذا : « هل للنص الأدبي جنس ؟ » حتى نلاحظ أن هناك أموراً عديدة من بعد ستقتضي أن يعاد فيها النظر .

ألقت المجلة هذا السؤال على كتاب من الرجال والنساء . أجبت الكاتبة مارت روبير : « ليس للأدب جنس ، لسبب واضح هو أن الجنس يلعب فيه دوراً غامضاً بمقدار ما هو حاسم » .

وقال الكاتب ادمون جابيس : « إن الكتاب ما ان يكتب حتى يستبعد كاتبه، رجلاً كان أم امرأة » .

وقال آخر : « ان اللاشعور لا يعرف فارق الجنسين » .

في حين أثبتت الكاتبة كلودين هرمان في عمل لها بهذا العنوان : « فراداة الذهن النسائي » أن الرجل يخضع دون أن يدرى لميثولوجية مذكورة في الكتابة .

أما الكاتب جوليان غراك فيسأل : « كيف نقطع في قضية يقف فيها كل شخص، ما دام ينتمي إلى أحد الجنسين ، موقف القاضي والطرف؟ » .

وترد الكاتبة فيفييان فورستر : « ولم يقع على المرء أن يفكر وهو يكتب بأنه رجل أو امرأة ، لا أنه جبل ، أو مقطع من زمن ، أو مسار رتيلاء؟ » .

محتوى العدد

ص

- معجم الأساطير اليونانية والرومانية
ترجمة وإعداد: سهيل عثمان
عبدالرازق الأصفر ١٥٤
- قصيدة السلام الذي لا يصدق
للساعر البلجيكي: جورج لانز
ترجمة: سعد صائب ١٧٧
- من القصص الفيتنامي
ترجمة: عبد المعين الملوحي ٢١٥
- رؤى سيمون ماشار - مسرحية
تأليف: بر تولت بريخت
ترجمة: صباح الجheim ٢٢٨
- مع الكتب - قصص من بلغاريا
أبو الفتاح - محمد أديب هرت ٢٩٤
- في المجالات الأدبية
إعداد: صلاح دهنى ٣٠٠

ص

- كلمة المجلة
رئيس التحرير ٣
- مختارات من الشعر اليوغسلافي المعاصر
ترجمة: د. أحدى سليمان الأحمد ٥
- إ. م. فورستر - قصص مختاراة
ترجمة: د. منير صلاحى الأصبجى ٤٠
- لادا غالينا - قصص
ترجمها عن البلгарية: ميخائيل عبد ٦٧
- تنويع الشاعر الإيطالي -
أيوجينيو مونتالي
عيسى الناعوري ٩٩
- قصيدة إلى جوانى
للشاعر: بوب ديلان
ترجمة: خلدون الشمعة ١٣٨

الموزعون

سورية : مكتبة حسين نوري - دمشق
الملكة الأردنية الهاشمية : وكالة التوزيع الأردنية
الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
تونس : الشركة التونسية للتوزيع
بقية الأقطار العربية : الشركة العربية للتوزيع - بيروت

الاشتراك السنوي

في الجمهورية العربية السورية :

٢٤ ل.س.
٤٨ ل.س.

■ البريد العادي
■ البريد المسجل

في البلاد العربية :

■ للأفراد ١٥ ل.س.
■ للدوائر الرسمية ٣٦ ل.س.

نضاف تكاليف الطائرة في حالة الاشتراك بالبريد الجوي

الاشتراك يرسل حواله بريدية أو شيئاً أو يدفع سقراً إلى محاسب اتحاد الكتاب العرب

سعر العدد

فلس ٦٠٠	عدن	ق.س ٢٠٠	سورية
ريالات ٦	السعودية	ق.ل ٣٠٠	لبنان
درهم ٣٧٥	ليبيا	فلس ٤٥٠	الكويت
مليم ٧٠٠	تونس	درهم ٩	أبو ظبي
درهم ١٠	المغرب	درهم ٩	دبي
دنانير ٦	الجزائر	درهم ٩	ال الخليج العربي
مليم ٧٥٠	السودان	فلس ٤٠٠	الأردن
فلس ٤٠٠	العراق	ريالات ٦	قطر
مليم ٥٠٠	مصر	فلس ٦٠٠	البحرين

تصميم : سعر موسى باشا

السعر : ٣٠٠ ق.س

مطابع ألف باء - الأديب - دمشق